جـامعة عمار ثليـجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 35
جوان 2015

ISSN 1112-4652


بسم الله الرحمن الرحيم

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلّة دراسات - العدد: 35 - جوان 2015

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الأنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث.

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك.

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.

8- البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.

9- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

10- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

11- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

التوقيعات في كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " للقلقشندي
" دراسة تاريخيّة موضوعيّة

د.ثامر إبراهيم محمّد المصاروة
كلية العلوم والآداب بالقريات جامعة الجوف
- المملكة العربية السعودية

الملخّص
يتناول البحث موضوعًا من موضوعات النثر العربي القديم، وهو (فنّ التوقيعات)، ويحاول أن يدرسها دراسة تاريخية موضوعيّة من خلال كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي، الذي يعدُّ مصدرًا ثرًّا من مصادر الأدب العربي .
عالج الباحث في المحور الأول مفهوم التوقيعات لغة واصطلاحًا، وفي المحور الثاني عالج تطوّر فنّ التوقيعات، تبيّن من خلاله أن نموّ جنس التوقيعات كان في ظلّ قيام الدولة الإسلامية بتناغمٍ منطقي، أمّا الحور الثالث عُولج فيه موضوعات التوقيعات من خلال الكتاب المدروس، وفي المحور الأخير خُصّص للحديث عن مصادر التوقيعات بناءً على موضوعاتها .
وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج ذُيلت في نهاية البحث .
الكلمات المفتاحية: نثر قديم، صبح الأعشى، القلقشندي، التوقيعات

Abstract
This research deals with one of the topics of ancient Arabic prose-the 'Art of signing'. It attempts to study that topic historically and objectively through Alghalghashand's book The Morning of nyctalopic the Craft of Composition- Subh- Alasha fi fan Alinshaa, which is considered one of the rich sources in Arabic literature
In the first axis the researcher takled the concept of 'signing', explaining its linguistic and technical meanings. In the second axis he discussed the development of the 'art of signing' and it is has become obvious that the evolution of the 'art of signing' as a genre had been in perfect harmony with rise of Islamic State. In the third axis the topics of 'signing' was treated through the book under investigation.In the last axis the researcher talked about various sources of topics of 'signing'
Key words: Old prose, Sobh A'sha, Kulqhanda, signatures

المقدمة
تعدّدت الدراسات التي تبحث في النثر العربي القديم، ونتج عن هذا التعدد تباين في الآراء والموضوعات، ومن بين الموضوعات التي استهوتني " التوقيعات في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقلقشندي فمهدت لدراسة هذا الموضوع دراسة تاريخية موضوعية تجلّى فيها أن هذا اللون النثري لا يقلّ أهمية عن ألوان النثر العربي القديم.
وتكاد تجمع المراجع والبحوث التي تناولت التوقيعات على أن هذا الفن الأدبي فنٌ عربيٌ خالص إلا أن العرب لم تعرفه في جاهليتها، إنما انتشر في ظل تشكّل الدولة الإسلامية .
أمّا سبب اختياري لهذا الموضوع ؛ رغبة من الباحث في إبراز موضوعات التوقيعات في كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" الذي يُعد مصدراً من مصادر الأدب العربي؛ ولأنّه كان جامعاً مانعاً لأغلب التوقيعات التي تعود إلى عصور مختلفة، و قد سعى الباحث جاهداً إلى الإحاطة بجوانب هذا الموضوع، محاولاً استقصاء التوقيعات منه، ودراستها دراسة تاريخية موضوعية .
وقد اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي؛ لطبيعة الموضوع وهدف البحث وإشكاليته التي تسعى

وراء استنباط التوقيعات من كتاب القلقشندي وتحليلها .

وجاءت هذه الدراسة في أربعة مباحث على النحو الآتي :

المبحث الأول : تحدث عن مفهوم التوقيعات لغةً واصطلاحاً، واتضح من خلاله أن معاني التوقيع اللغوية تدور حول معنيين هما: إضافة الشيء والتأثير فيه، وارتباط المعنى الاصطلاحي في فلك المعنيين السابقين؛ وأمّا المبحث الثاني فتحدثتُ فيه عن تطور التوقيعات، وتبيّن أن نموّ جنس التوقيعات كان في ظل قيام الدولة الإسلامية بتناغمٍ منطقي، وجاء المبحث الثالث لدراسة موضوعات التوقيعات، فجمعتُ كلّ منها حسب موضوعها الرئيس، ولعل من أبرزها ما يخص شؤون العمال والولاة والوزراء والكتّاب وجباة الأموال وغيرها .

في حين جاء المبحث الأخير للحديث عن مصادر تلك التوقيعات، ولعلّ الملاحظ في هذا الجانب أن الموقعِّين كانوا من أكثر الناس معرفة واطلاعًا؛ لهذا تعددت مصادر توقيعاتهم بين القرآن والحديث والشعر والأمثال وغيرها .

المبحث الأول : مفهوم التوقيعات لغةً واصطلاحاً

الفرع الأول : التوقيع لغةً

تدور معظم المعاني التي أوردتها المعاجم القديمة في مادّة "وقع" حول ترك الأثر في الشيء أو إصابته، وإبراز تأثيره فيه وسقوطه عليه، فوردت في المعجم الوسيط بمعنى " أن يصيب المطر بعض الأرض ويُخطئ بعضها"[1] وجاء في معجم لسان العرب " سمعتُ لحوافرِ الدواب وَقعًا ووقُوعًا، وكذلك وَقعَ المطرُ وقُوعًا"[2]، فهذه الأشياء مما يترك أثرًا فحوافر الدواب تترك أثرًا في الأرض عند مشيها، وكذلك المطر يترك أثرًا في الأرض بعد وقوعهِ .

أما التوقيعُ فوردت له معانٍ متعددة لكنها تدور حول معان قريبة من معناه الاصطلاحي، فالتوقيع " رميٌ قريبُ لا تباعدَ بينه، وكأنك تريد أن تُوقعَه على شيء"[3]، وكذلك التوقيع " الإصابةُ وتظّني الشيء وتوهُمهُ" [4].

وهذه المعاني تُشير إلى محاولة إصابة الشيء على الوجه الذي تريد أو بذل الجهد لاختيار الوجه الصائب، فالرامي يبذل جهده لإصابة هدفه وكذلك من يبذل جهدًا في التفكير في الأمر؛ ليصل إلى الوجه الأكثر صوابًا حتى يتخذ قراره، وكذلك "التوقيع سحجٌ في ظهر الدابّة" وهو الأثر – الجرح – الذي يظهر نتيجة الركوب أو الأحمال فهو يشكل علاقة بارزة في ظهر الدابة، وهذا المعنى يشابه المعنى الآخر "إصابة المطر بعض الأرض وإخطاؤه بعضها" فإن المطر في هذه الحالة يترك أثرًا واضحًا بين الأرض الممطرة من غيرها، وكذلك من المعاني التي وردت للتوقيع التأثير في الشيء "إقبال الصقيل على السيف بميَقعتِهِ يحدِّدُه" فهو يترك أثرًا في السيف عند الضرب ليحدده .

وعلى هذا فإننا نرى أن معانيَ التوقيع اللُّغوية تدور حول معنيين هما، إضافة الشيء والتأثير فيه، وهما

([1]) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (وقع).

([2])ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم (951هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (وقع)، ج8، ص405.

([3]) المصدر نفسه، ج8، ص406.

([4]) المصدر نفسه، ج8، ص407.

معنيان قريبان من المعنى الاصطلاحي كما سنرى .
وقد ورد تعريفه صريحًا في اللسان وهو تعريف قريب من المعنى الاصطلاحي، والتوقيع في الكتاب إلحاق شيء في بعد الفراغ منه وقيل هو مشتق من التوقيع الذي هو مخالفة الثاني للأول [1]، فهو هنا أن يلحق الكاتب نفسُه بعض العبارات بعد أن يفرغ من كتابة النص الأصلي والصلة واضحة بين المعاني اللُّغوية السابقة وهذا المعنى كون التوقيع يترك أثرًا في الشيء يختلف عن الأول لكنه ليس نفس المعنى الدقيق للتوقيع كما عُرّف، وكذلك أورد صاحب اللسان نقلاً من الأزهري تعريفًا آخر يقترب من المعنى السابق، " قال الأزهري : توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب وهو أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول وهو مأخوذ من توقيع ظهر البعير" فكأنَّ العباراتِ المُزادة بين سطور الكتاب تشبه الدبر في ظهر البعير.

الفرع الثاني : التوقيع اصطلاحًا

أمّا التعريف الاصطلاحي فقد تناوله القدماء أيضًا وهو قريب من المعاني التي ذُكرت في لسان العرب وتهذيب اللغة، فالسيد البطليوس يعرفّه بقوله: "أمّا التوقيع فإن العادة جرت أن يُستعمل في كل كتاب يكتبه الملك، أو من له أمر ونهي في أسفل الكتاب المرفوع إليه أو على ظهره أو في عُرضه بإيجاب ما يُسأل عنه أو منعه"[2]، وكذلك وردت إشارات له عند الجاحظ في البيان والتبيين في حديثه عن الإيجاز، يقول : " ذُكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى فقال : قد قرأتُ لأم جعفر توقيعاتٍ في حواشي الكتب فوجدتّها أجود اختصارًا وأجمع للمعاني"[3]، كما ورد عند ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: "التوقيع هو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصلهِ ويوقّع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها مُتلقّاه من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه، فإمّا أن تصدر كذلك وإمّا أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصّة"[4].

ويرى الباحث أن مفهوم التوقيعات كان حاضرًا ومتبلورًا في أذهان القدماء بصورة واضحة، وخير دليلٌ على ذلك كلامهم يتفق مع ما ذُكر من خصائص التوقيع من حيث كتابتها وتميزها بالاختصار، وكذلك مع إجادة المعنى .

كذلك ورد ما يُشير إلى هذا المفهوم عند الشعراء في تلك الفترة، كما نجد عند أبي نواس في رقعتهِ التي يلتمس فيها العفو من الأمين فقد ورد فيها :

([1]) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم (951هـ): لسان العرب، مرجع سابق، ج8، ص407.

([2]) ابن السيد البطليوسي، أبو محمّد، محمّد بن عبدالله(ت 520هـ): الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، تحقيق: مصطفى السقا، الهيئة العربية للنشر، القاهرة، ط2، 1981م، ص243.

([3]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255 هـ): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1960م، ج1، ص107.

([4]) ابن خلدون (808 هـ): المقدمة، تحقيق: د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1981م، ص247.

أمـــــين الله إن الســــجن بـــــاس وقـــد وقعـــتَ لـــيس عليــك بـــاسُ [1]

فهذا يُشير إلى انتشار هذا المفهوم وتداوله بين النّاس ضمن التعريف الاصطلاحيّ السابق، والذي يبدو لنا أنه يعتمد على ثلاث ركائز هي :

أ. الاختصار، فلا بدّ من أن يكون التوقيع مختصرًا وجامعًا للمعاني .

ب. أن يكون التوقيع جوابًا على رقعة أو مسألة لصاحب الأمر.

ج. أن يُكتب التوقيع على الرقعة المرفوعة نفسها في أسفلها أو بين سطورها وفق ما يراه الموقِع مناسبًا.

ويورد القلقشندي معنى التوقيع في اصطلاح الأقدمين من الكتّاب على أنه : "اسمٌ لما يُكتب في حواشي القصص لخط الخليفة، أو الوزير في الزمن المتقدم"[2]، وهذا ما نجده كذلك عند الثعالبي، حيث ذكر أن التوقيع لا يزيد على الشرط الواحد في أغلب الأحيان، وغالبًا ما تكون حكمًا أو أمثالاً أو مأخوذة من آية كريمة أو حديث شريف [3].

ولقد أشار الباحثان د. محمّد الدروبي و د. صلاح جرار إلى وجود بعض المفاهيم الأخرى التي وردت للتوقيع مع مرور الزمن خاصة بعد القرن الرابع الهجري، ومن أبرز هذه المفهومات أنّ التوقيع أصبح يُطلق على ما يُشبه المرسوم أو المنشور الطويل الذي يُصدِره الحاكم، ومن ذلك ظهير التعيين في وظيفة من وظائف الدولة، أصبح يسمّى توقيعًا، كما أن ضربًا من التعليقات الشفاهية حمل اسم التوقيع " [4].

وفي رأي الباحث أن هذه التعريفات بعيدة عن المفهوم الشائع للتوقيع وتفتقد لأهم ميزاته وهي الاختصار وضرورة كونه مكتوبًا على رقعة مرفوعة إلى صاحب الأمر، وباعتقادي أن سبب تسمية مثل هذه المفاهيم بالتوقيعات؛ لأنها جاءت نتيجة الحكم على كاتبها دون النظر إلى المضمون، وهذا يتخالف مع المفهوم المعروف للتوقيع وخصائصه الموجودة .

أمّا تعريفات المحدثين فهي تدور حول المفهوم الشائع للتوقيعات من حيث كونها ما يكتبه صاحب الأمر في الدولة من ردٍّ على ما يُرفع إليه من رقاع بين سطورها أو في حواشيها أو على ظهرها بما يراه مناسبًا في أمرها .

فقد عرّفه عمر فروخ بأنّه "ما الخلفاء يثبتونه من الجمل القصار في أعقاب الرسائل المرفوعة إليهم التي تَرد إليهم من الولاة وسائر الناس ليجيزوا ما في هذه الرسائل" [5].

([1]) جرار، صلاح والدروبي، محمّد: جمهرة توقيعات العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2001م، ج1، ص302.

([2]) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (240 هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، ج11، ص114.

([3]) الثعالبي، عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل: خاص الخاص، شرحه وعلّق عليه: مأمون بن محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994، ص123-139.

([4]) صلاح جرار، ومحمّد الدروبي: جمهرة توقيعات العرب، مرجع سابق، ج1، ص13 .

([5]) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1965م، ج1، ص254.

وكذلك عرّفه محمّد نبيه حجاب "التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها" [1]، وقد حدد محمّد الدروبي وصلاح جرار في كتابهما التوقيعات الفارسية مفهوم التوقيعات بشكلٍ دقيق بعد استعراضهم للمفاهيم المختلفة له بقولهم: "على أنّ مفهوم التوقيع الذي نُعنى بدراسته هنا يختلف عن سائر المفهومات السابقة، فهو يُطلق على ما يكتبه الرؤساء على اختلاف مراتبهم تعليقًا على الرسائل المرفوعة إليهم، كأن تُكتَب عبارةُ إنشاء أو اقتباسًا في حاشية الرسالة المرفوعة على الرئيس في أمرٍ ما، فتكون هذه العبارة جوابًا يُعمل بمقتضاه" [2].

وباعتقادي أن التعريفات السابقة تحدد التوقيع بشكلٍ دقيق ضمن مفهومها الشائع، إلاّ أنّ ما اختلّ فيها وانحرف عن السياق هو تخصيصًا صاحب الرقعة بأنّه من الخلفاء أو الرؤساء – على اختلاف مراتبهم -، وهذا أدّى إلى خروج طائفة من التوقيعات التي تعود للكتّاب واللغويين والشعراء والنساء، فهي توقيعات تنطبق عليها جميع الخصائص الفنيّة للتوقيعات كونها جوابًا على رسالة مرفوعة مسبقًا بروز صفة الاختصار فيها إلاّ أنّ كاتبها ليس من أصحاب الأمر والنهي، وهي تتناول موضوعات متعددة بين هذه الفئات كتبادل الهجاء والتهاني والرسائل العشق وغيرها .

وفي رأي الباحث أنّ التوقيع هو تعليق على رسالة مرفوعة بالإيجاب أو السلب، سواءٌ أكان كاتبها خليفة أم رئيس أم لُغوي أم كاتب أم امرأة، وأن يكون مختصرًا وموجزًا، وبهذا التعليق تُجاز الرسالة المرفوعة .

المبحث الثاني : تطوُّر التوقيعات

تكاد تُجمِع المراجع والبحوث التي تناولت التوقيعات على أنّ هذا الفنُّ الأدبيّ فنٌ عربيٌّ خالصٌ إلاّ أنّ العرب لم تعرفه في جاهليتها، إنما نما وانتشر بعد بداية الإسلام وبالأحرى بعد تشكّل الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ الذين أُثرت عنهم بعضُ التوقيعات التي تتناول بعض شؤون الحكم، وهي تعطينا إشارة واضحة على نحو هذا الجنس الأدبي بتناغم منطقي مع نشوء الدولة الإسلامية وتكوُّن المؤسسات فيها والمراسلات بينها وبين الدول الأخرى، أو داخل الدولة نفسها كتوقيعات أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب – *رضي الله عنهما* – للعمال والولاة.

وباعتقادي أنّ نمو جنس التوقيعات في ظل نشوء الدولة الإسلامية، حيث أصبحت ذو كيان مستقل من الداخل والخارج، يُفسر لنا ولو جزئيًا عدم وجود التوقيعات في الجاهلية، إذ إنّ وجود الدولة بالمعنى الحقيقي كما هي عليه في العصور الإسلامية أمرٌ غير موجود في الجزيرة العربيّة، إضافة إلى عدم انتشار المراسلات المكتوبة ين الملوك وعمالهم، وإن كانت فمعظمها شفوية .

وهذا يقودنا إلى الخروج إلى أنَّ التوقيعات فنٌ مرتبط بالدولة وقيامها، فهو جنس مختص بقيام دولة ذات أبعاد محددة، فلا يمكن أن ينشأ بمعزل عن قيام دولة معينة.

وقبل المضي في تتبع تطور التوقيعات عبر العصور الإسلامية، فإنني أودُّ أن أُشير إلى ما أورده الكتاني في كتابه " نظام الحكومة النبويّة " إلى ما حدث أيام النبي ﷺ ما يشبّه نظام التوقيعات من اتخاذ الخليفة كاتبًا

---

(1) حجاب، محمّد بنيه: بلاغة الكتّاب في العصر العباسي، المطبعة الفنية، القاهرة، ط1، 1965م، ص59.

(2) جرار، صلاح، والدروبي، محمّد: توقيعات الفارسية المعرّبة، منشورات جامعة آل البيت، ط1، 2002م، ص14.

يُجيب عنه " قال الحافظ في كتاب الأحكام من الفتح بإسناد صحيح حسن وخرّجه أيضًا أنه كتب إلى الرسول ﷺ كتاب فقال لعبد الله بن الأرقم : أجب هؤلاء عني، فأجابهم ثم جاء يعرضه على النبي ﷺ فقال : أحسنت بما كتبت "[1].

وباعتقادي أنّ هذه الحادثة لا تعني أنّ التوقيعات كانت معروفة في زمن الرسول ﷺ إنما تساعدنا في فهم تطور التوقيعات بصورة طبيعية مع نشوء الدولة الإسلامية كونها حاجة بديهية تتعلق بأمور إدارة الدولة .

ومع بداية العصر الأموي زاد الاهتمام بالتوقيعات، وكثُر عددها عما نجده في عصر الخلفاء الراشدين [2]، ويلاحظ ذلك من خلال عدد التوقيعات التي تنسب لأوائل خلفاء بين أُمية، معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، والتوقيعات في هذا العصر لم تعد مقتصرة على الخلفاء كما كانت في عهد الراشدين، " بل أخذ يتعاطاها الأمراء والولاة والقادة والكتّاب على السواء"[3] وبالنظر في تواقيع هذا العصر الممتد إلى سنة مائة واثنتين وثلاثين . وعليه يمكن القول عن هذا الفن قد ترسّخ واتضحت ميزاته الفنيّة بشكل واضح يميزه عن غيره من الأجناس الأدبيّة الأخرى في هذا العصر وأصبح متداولاً بين أفراد الطبقة الحاكمة، أي أنّه وصل إلى مرحلة الاكتمال الفني؛ إذ لا يجد الباحثُ فروقًا فنيّة بين هذه التوقيعات والتوقيعات التي تنتمي إلى الفترات اللاحقة .

وفي العصر العباسي زاد الاهتمام بالتوقيعات بشكلٍ أوسع من خلال قيام مؤسسة ترعى شؤونه وتعتني بشؤون الموقعين، وحظيت التوقيعات في هذا العصر بقسط أوفر من العناية الحقيقية فقد تأسس في هذا العصر ما يُعرف بديوان التواقيع.

وديوان التواقيع نظم شؤون هذا الفن ورسّخ قواعده، ورعى أعلامه بشكل لم يسبق له مثيل [4]، وهذه الرعاية يمكن أن يُطلق عليها الرعاية التنظيمية الإدارية التي اهتمت بشؤون هذا الفن، وشؤون العاملين به على غرار النقابة المهنية في عصرنا الحالي نتيجة للتوسع الذي طرأ في استخدام هذا الفن وتناوله مواضيع لم يتناولها في العصرين السابقين وازدياد عدد الموقعين وتعدد فئاتهم، حتى أنه أصبح شائعًا بين طبقات بعيدة عن شؤون الحكم والأمور الرسمية كالشعراء والكتّاب والأصدقاء والجواري، كما أنني وجدتُ توقيعات تتناول أمور أُسرية خاصة، مما يدل على انتشار هذا الفن وتجذّره في حياة النّاس وانزياحه عن موضوعه الأصلي إلى شؤون أخرى لا تمت للحكم بصلة . ويرى الباحث أنّ ذلك التطور الذي طرأ على موضوعات التوقيعات، ما هو إلاّ نتيجة التطوّر الدلاليّ للمصطلح، حيث أصبح أكثر عمومية وشمولية، من السابق، فاللفظة انتقلت من حقلها الخاص إلى الحقل العام .

ومن الطبيعي أن يتزامن مع تطور التوقيعات في الفترة العباسية تطوّرُ هذا الفن في الأندلس، فالوثائق

---

(1) الكتاني، عبد الحي : نظام الحكومة النبوية، " التراتيب الإدارية " دار إحياء التراث العربي، ص357.

(2) انظر : محمّد الدروبي، وصلاح جرار: جمهرة توقيعات العرب، ج1، فقد ورد خمسة عشر توقيعًا منسوبًا لعهد الخلفاء الراشدين بينما هناك خمسة وسبعون توقيعًا منسوبًا للعصر الأموي .

(3) جرار، صلاح، ودروبي، محمّد: جمهرة توقيعات العرب، مرجع سابق، ج1، ص6.

(4) جرار، صلاح، ودروبي، محمّد: جمهرة توقيعات العرب، مرجع سابق، ج1، ص6+7.

الحضارية كانت متصلة بين مشرق الدولة الإسلاميّة ومغربها من خلال تعلّق الأندلسيين بآداب المشرِق، وتنقل العلماء بين الأمصار الإسلاميّة، واتجاههم للهجرة للأندلس لطلب الرزق، ونيل صلات أمرائها الأغنياء، وتوقعات الأندلسيين لا تختلف عن التوقيعات في المشرق فنيًّا وموضوعيًا، إلاّ أنّ ما يلاحظ عليها قلّة التوقيعات التي يشكو فيها أصحابها من الفقر ويطلبون المال؛ ولعلَّ ذلك يعود إلى المستوى الاقتصادي وحياة الترف التي كان ينعمُ بها أهل الأندلس[1].

أمّا في عصور الدول والإمارات فقد أشار مؤلفا الجمهرة إلى ملاحظتين هما:

أ. نزارة التوقيعات التي وصلت إلينا عن تلك الفترة " وعلى الرغم من بقاء هذه الحركة في اندفاعها إلاّ إن المرء يكاد يفاجأ بنزارة توقيعات السّامانيين والحمدانيين والإخشيديين والزياريين والخوارزميين والسلاجقة " [2]، باستثناء الدولة الفاطمية التي أُثر عنها عدد غير قليل من التوقيعات .

ب. أمّا الملاحظة الأخرى فهي مخالفة التوقيعات الفاطمية لأهم خصائص التوقيعات وهي الاختصار " مخالفةً بذلك ملمح الإيجاز الذي يُعدّ بحق جوهر التوقيع وملاكه وأهم ما يميزه عن الأنواع الأخرى " [3].

وعند الحديث عن تطوّر التوقيعات لا بدّ من الوقوف عند قضيّة اختلفت آراءُ الدارسين فيها، وهي أصالة التوقيعات وعلاقتها بالتوقيعات الفارسية السابقة عليها زمنيًا، فهناك فريق من الباحثين ذهب إلى أنّ التوقيعات فنٌّ عربيٌّ خالص نشأ بصورة طبيعية مع انتشار العمران وتوسع الدولة الإسلاميّة ولا علاقة لها بما عُرف عن الفرس من توقيعات، والمتأمل في آرائهم يجدها تعتمد على ثلاث حجج.

أولاً : النشأة المبكِّرة لفن التوقيعات عربيًا زمن الخلفاء الراشدين، وهو زمن قبل الاتصال بين الفرس والعرب بكثير[4]

ثانيًا : الطبيعة الفنيّة للتوقيعات المعتمدة على الاختصار والإيجاز، وهذا ما يتوافق مع ما عُرف عن العرب من ميلٍ للإيجاز والاختصار .

ثالثًا : التفسير الطبيعي المنطقي لنشوء التوقيعات مع اتساع الدولة الإسلامية وحاجتها للمراسلات داخليًا وخارجيًا وإدارة شؤون الدولة .

ومن الباحثين الذين ذهبوا هذا المذهب، محمّد بنيه حجاب الذي يقول : " إن توقيعات الراشدين وخلفاء بني أُمية تجعلنا نقول مع القائلين بعربيتها الأصيلة وإنها انبعثت من الصدور العربية ؛ لأنها من ضرورات الملك واستجار العمران فضلاً عن طابعها الموجز "[5]، وكذلك محمّد المقداد الذي ناقش هذه القضية نقاشًا

([1]) لم يرد في التوقيعات الأندلسية أيُّ توقيع يُشير إلى طلب العون المادي أو ما عُرف بالتوقيعات في شؤون المستمنحين في التوقيعات المشرقية، وهذا يدل على عدم اهتمامهم بالجوانب المادية وطلب العون .

([2]) جرار، صلاح، والدروبي، محمّد : جمهرة توقيعات العرب، مرجع سابق، ج1، ص7.

([3]) المصدر نفسه، ج1، ص7.

([4]) للاطلاع على هذه الحجج انظر مثلاً : فيصل، شكري : مناهج الدراسات الأدبية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1973م، ص112.

([5]) حجاب، محمّد نبيه: بلاغة الكتّاب في العصر العباسي، مرجع سابق، ص97.

مستفيضًا حاول من خلالها أن يُثبت النشأة الطبيعية للتوقيعات في البيئة العربية وإن وجدت عند أمم أخرى، لِما في أسلوبها من إيجاز يُناسب ما عُرف عن العرب، والحاجة الطبيعية لها عند كل الأمم كما في الرسائل .

فناقش المقداد آراء القائلين بتأثير الثقافة الفارسية، فيقول : " ويمكن القول باختصار إن التوقيع كالرسائل نفسها، نشأ نشأة طبيعية عامة عند الأمم، إذ لم تنقل أمةٌ عن أمة أخرى استعمال الرسائل بمختلف أشكالها وسيلة من وسائل الاتصال"[1].

أمّا الفريق الآخر فذهب إلى أنّ التوقيعات العربية نشأت بفعل التأثر بالحضارة الفارسية التي سبقت العرب إلى هذا الفن، يقول جرجي زيدان : " وقد اقتبست العرب التوقيع على هذه الصورة من الفرس ؛ لأنهم سبقوهم إليه"، والعامل الزمني – كما هو واضح – هو عمادُ حجتهم فيما ذهبوا إليه، ويرى محمّد الدروبي وصلاح جرار أنّ هذا الرأي لا يصمد أمام المناقشة العلمية " وواضح أنّ هذا الدليل الذي يستند إليه زيدان لا يصعد أمام النظر العلمي ؛ لأنّ التوقيع نشأ عند الأمم نشأة متزامنة أو متعاقبة دون أن يكون الأمر محتاجًا إلى لون من التقليد، والمحاكاة والتأثر"[2].

ومن هؤلاء الباحثين شوقي ضيف فيرى أنّ التوقيعات عُرفت عند ملوك الفرس ووزرائهم، وقد تعوّدوا أن يوقّعوا بها على ما يُقدّم إليهم من تظلّمات الأفراد في الرّعية وشكاواهم، وحاكاهم خلفاء بني العبّاس ووزرائهم في هذا الصنيع[3].

ولا يذهب الباحث مع رأي شوقي ضيف، حيث يرى فيه كثير من المغالطة والمبالغة التي تُميت نشأة فن عربي خالص، فالتوقيعات عربيّة النشأة وظهرت في عصر الخلفاء الراشدين، وهو كغيره من الفنون التي نشأت في ظروف متعاقبة أو متزامنة، فالعرب عرفت ذلك الفن ونشأ نشأةً طبيعية، ومن المعقول القول إنها تأثرت بالفرس وليس كما ذهب شوقي ضيف بأنها حاكت الفرس بتوقيعاتهم .

ومن هنا نرى أنّ هؤلاء الدارسين يؤكدون سمة الإيجاز والميل إلى الاختصار عند العرب في رسائلهم وكتاباتهم حتى إذا ناقشوا التوقيعات نسبوها إلى الفرس، وكأنّ العرب لم يعرفوا هذه السمة، ومن نافلة القول أن أُشير إلى أنّ لا أحد ينكر – بمن فيهم الذين قالوا بأصالة التوقيعات عربيًا – تأثيرَ العرب بالحضارة الفارسية .

وكما نعلم أنّ عصور الامتزاج الحضاري بين العرب والفرس في العصر العباسي، لكن أن يُنسب فنٌّ عربيٌّ نشأ واكتمل قبل هذا العصر بكثير ويوافق في خصائصه الفنيّة الأسلوب العربي إلى الثقافة الفارسية بحجة السبق الزمني، فهذا باعتقادي أمرٌ أقلُّ ما يمكن أن يُقال عنه إن فيه مبالغة ويحرم أهل الفصاحة والبيان من فن نشأ بصورة طبيعية في بيئتهم ولا يحتاج إلى جهد كبير لتفسير هذه النشأة .

وبناءً على ما سبق فإنني أرى أنّه يجب أن يُفصل بين أمرين في هذه المسألة : مسألة نشأة التوقيعات وأصالتها

---

(1) المقداد، محمود: تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص399.

(2) جرار، صلاح، والدروبي، محمّد: التوقيعات الفارسية المعربة، مرجع سابق، ص79.

(3) ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، ط6، دار المعارف، مصر، 1966 م، ص489.

في عهد الراشدين والعهد الأُموي من بعده، ومسألة تأثرها بالتوقيعات الفارسية في العصر العباسي فيما بعد، فمن ناحية النشأة فإنني أرى – وكما ذهب العديد من الدارسين – أنه لا شك في نشوئها بشكلٍ طبيعي في البيئة العربية الإسلامية، ولا أدلّ على ذلك من تدرجها في التطور زمن الخلفاء الراشدين وبدايات العصر الأموي إلى أن اكتملت ونضجت فنيًّا قبل نهايته وهو عهد سابق على الاتصال الثقافي بين العرب والفرس – كما مرّ - .

ولا يذهب الباحث مع ما ذهب إليه عيسى العاكوب من أنّ التوقيعات في هذه الفترة تبدو خَدِجةٌ غير واضحة القسمات [1]، إذ لا يلحظ المتتبعُ لحركة التطوّر هذه أيَّ تطورٍ فنّي على التوقيعات بين العصر الأموي والعباسي، وإنما الملاحظ هو ازدياد عدد التوقيعات وتنوّع مجالاتها وهو أمرٌ ايجابي يدل على انتشار هذا الفن لكنّه في الحقيقة يحسب على الكم لا على النوع .

أمّا في ما يتعلق بالمسألة الأخرى وهي تأثير التوقيعات كفن قائم ومعروف بالتوقيعات الفارسية في العصر العباسي وما شهده من حركة نشطة في مجال الترجمة ونقل علوم الأمم الأخرى، ودخول أبناء الثقافات المختلفة في خِضم الحضارة الإسلاميّة المزدهرة، فهو أمرٌ محتمل ومحاولة نفيه تبدو مسالة ليس لها ما يدعوها، ولا تخلو من تعصّب وتعسّف يجافيان الروح العلمية، فمن المعقول أن تتأثر التوقيعات كأيِّ جنسٍ أدبي شبيهه في الآداب الأخرى دون أن يكون ذلك تقليدًا ومحاكاة، خاصةً أنّ بعض كبار الموقعين في العصر العباسي كانوا من أصول فارسية، أو ربما يكون هناك تشابه بين التوقيع العربي والفارسي .

المبحث الثالث : موضوعات التوقيعات

نظرًا لأنّ هذا الجنس الأدبي مختصٌّ بأُولي الأمر والنهي في الدولة، وكانت الرّقاع تُعرض على رأس الدولة أو الوالي ومن يوقِّع باسمه ؛ فإنه من الطبيعي أن تكون قد شملت الكثير من نواحي الحياة السياسية والإدارية التي تتعلق بالدولة كتعيين الولاة وعزلهم وإدارة شؤون الجيوش والمعارك والفتوحات المنطلقة في أرجاء الدولة الإسلامية، والقضايا القضائية التي يُلجأ فيها إلى صاحب الأمر عندما يشعر أحد أفراد الرعيّة بالظلم الذي لحق به خاصة إذا كان هذا الظلم من أحد الولاة أو الأعيان المتنفذين من أقارب السلطان، فلا يجد المتظلِّم طريقة إلاّ رفع قضيته في رقعة إلى الخليفة حتى يرفع عنه الظلم وينصفه من الذي سلبه حقه، وفي الحقيقة فإنَّ التوقيعات تعكس هنا وجهًا مشرقًا من أوجه الحكم الإسلامي عندما يقف الخليفة إلى جانب المظلوم ويُعيد إليه ما سُلب منه بغير وجه حقّ .

ويمكن تصنيف مضامين التوقيعات التي وردت في كتاب " صُبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي " إلى الموضوعات التالية :

أولاً : التوقيعات في شؤون العمال والولاة والوزراء وقادة الجيوش .

استأثرت هذه المواضيع بالعدد الأكبر من التوقيعات، وهي تتناول مضامين كثيرة كتعيين الولاة على الأقاليم المختلفة، أو عزلهم عندما يرى الخليفة ذلك لسبب ما، ومن ذلك توقيع كُتب به لقاضي القضاة تقيّ الدين، ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن نبت الأعز، ومن إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، "فحمده على

---

[1] العاكوب، عيسى: تأثير الحِكَم الفارسيّة في الأدب العربي، دار طلاس، دمشق، 1989م، ص362.

نعمٍ ألهمت وضع الأشياء في محلّها، واستيداعها عند أهلِها، وتأثيرها بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكلُه مناسب لشكلها، فالحمد لله على أن أعطى قوسَ ذلك المحراب باريها، وخصَّ بشقٍّ سهامها من لا يزال سعده مباريها، وجمَّل مطلَع تلك السماء ببدركم باتت عليه الدُّرر تحسُد دراريها، وألهم حسن الاختيار أن يجري القلمُ بما يحُسن بالتوقيع الشريف موقعُه، ويجملُ في أثناء الطروس وضعُه وموضعُه " [1].

ويُصدِرُ أمرَ السّلطان بصيغته الرسمية، ويحدّد موقع المدرسة، ويعمد دائمًا إلى اختيار الأشخاص المناسبين لتولّي مناصب الدولة المختلفة : " فرُسم بالأمر الشريف العالي، المولويّ السّلطانيّ – أجراه الله بالصواب، وكشفَ بارتيائه كلّ ارتياب، ولا زال يختارُ وينتقي للمناصب الدينيّة كلّ عالمٍ بأحكام السّنّة والكتاب – أن يفوّض إليه " [2].

ومن التوقيعات التي جاءت بالتعيين في مناصب الدولة، توقيع القاضي ناصر الدين أبن النّشاتي إلى قضاء قضاة الحنفيّة بدمشق، " فليباشر ذلك بعمله المأثور، وحُكمه المشهور، وإنصافِه الذي يعدل فيه، واتصافه بالحق الذي ما برح يوفيه، قاضيًا بين الخصوم بما أمر الله عز وجل، مراقبًا لخشية الله على عادته، مُذيقًا للملّةُ الحنفيّة أنواع إفادته " [3]. ولا يخلو التوقيع السابق من الوصايا لذلك القاضي، " والوصايا كثيرةٌ ومِلاكها التقوى، وهي مادّته، وطريقُه المستقيم وجادّتُه، وما زالت عُمدته التي يعتمد عليها، وعدّته التي يستند في إسناد أمره إليها ؛ والله تعالى يجمِّل الأيام بأحكامهِ، ويبلِّغه من خير الدنيا والآخرة غاية مراده ومرامه، إن شاء الله تعالى " [4].

وقد يحمل التوقيع في طياته إصدار الحكم بالعزل والتنحي عن المنصب، وتقليد الأمر لمن يُحسن القيام به، ومن التوقيعات التي كُتبت في هذا الغرض أنّ صاحب أرمينيّة كتب إلى المنصور إن الجند قد شطبوا عليه، وطلبوا أرزاقهم، وكسروا أقفال بين المال، وأخذوا ما فيه، فأمر بعزلِهِ، ووقّع في كتابه : " اعتزل عملنا مذمومًا، فلو عدلت لم يشغبوا، ولو قويت لم ينهبوا" [5].

ومن أمثلة التوقيعات التي تُظهر تعيين الولاة وعزلهم، توقيع كُتب للقاضي ناصر الدين بن أبي الطيب، " توقيع كريمٌ بأن يستقر المقر الشريف، الناصريُّ، محمّد بن أبي الطيب العمري، العثمانيّ، الشافعيّ، صاحبُ ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشاميّة المحروسة، عظّم الله تعالى شأنه، في وظيفة التصدير بالجامع الأُمويّ المعمور بذكر الله تعالى، عوضًا عن القاضي صدر الدين عبد الرحمن الكفريّ الشافعيّ، بُحكم وفاتِهِ إلى رحمة الله تعالى، بما له من المعلوم الذي يشهدُ به ديوان الوقف المبرور، حسب ما رُسم به، على ما شرح فيه " [6].

([1]) صبح الأعشى، ج11، ص231-233.

([2]) نفسه، ج11، ص234..

([3]) صبح الأعشى، ج11، ص189.

([4]) نفسه، ج11، ص189.

([5]) جرار، صلاح، والدروبي، محمّد: جمهرة رسائل العرب، مرجع سابق، ج4، 370-371.

([6]) ج12، ص197 . وللمزيد انظر: ج12، ص298.

ويلاحظ على مثل هذه التوقيعات في شؤون الوزراء والأمراء التي وجهّت إلى العمال والوزراء وجوب العدل بين الرّعية، وردّ المظالم إلى أهلها، وضرورة معاملة الناس بالرّفق واللين، ومن ذلك ما وقّع به أحد الأمراء إلى ناحية وإقطاع بلادها، " وليكُن العدل ربيئته ورائده، والأمرُ بالمصروف دليله وقائده، وليقم فيما ينط به حقَّ القيام، ويشمّر في حفظ ما استدعيناه من ساق الأحكام، ويعلم أنّ منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها، ومرتبته لدينا أبهجُ المراتبِ وأبهاها، ومحلَّه عندنا السامي الذي لا يضاهيه سامي، ومكانه المكانُ الذي ليس له في الممكن أن يفترع علمه سامي، فسبيلُه علمٌ ذلك وتحقيقُه، وتيقُّنُه وتصديقُه، وسبيل كلِّ واقفٍ على هذا المثال، من سائر العُمّال، وأرباب الولايات والأعمال" [1].

وقد يكون التوقيع رسمًا وطريق هداية للوالي أو العمّال من يتقيّدون مناصب الدولة، فيتضمن التوقيع النهج الذي يجب أن يسير عليه فيما يتولاه، ومن ذلك نسخة توقيع بنظر الدّواوين، " وليتأمّل وجوه الإخراجات، ومبلغ الإطلاقات والإدرارات، ويسترفعه من مظانّه، مفصلاً بجاهته، منسوبًا إلى أرباه، ويتقدم بكتب مؤامرةٍ جامعة لذلك التفصيل، دالة على المقدار المطلق في كل سنة محكّم النظر الدقيق دونَ الجليل، وليعتمد في إطلاق ما يُطلق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم، ويلزمه كلٌّ من نوّاب الديوان"[2].

ونلحظ من التوقيع السابق الذي صدر من الأمير إلى موظفي الديوان (نوّاب الديوان) النهج الذي يجب أن يُختطى في جلب أموال الزكاة وغيرها، وهذا يدل باعتقادي على أنّ التوقيع أصبح بمثابة كتاب سامي يجب الأخذ به .

ومن التوقيعات الخاصة بالجيش والنظر فيه " الحمدُ لله الذي تَحدّق [3] بالأكفاء مصالح الجنود، وصرَّف أقلامهم فيما نُقطعه من الجود، واجتبى لمراتِب السيادة من تحمدُه الأقلامُ من العطايا البيض والسيوفُ في الخطوب السَّود[4].

وكما جاء الحديث في التوقيعات عن تولّي قيادة الجيوش، ومنها توقيع الشريف الذي يفوّض إليه بذلك، " فليباشر هذه الوظيفة المباركة، وليحُلَّ ذراها الأسمى وليجمل اطّلاعه على الجيوش المنصورة حتّى لا يُغادر منها اسمًا، لتغدو مصالحها وريقه الفِراس باسقة، وعقودها نفيسة الفرائد متناسقة، وليُجرِ نظره المبارك فيما صرّفناه فيه، آخذًا بعين السّداد من فعلهِ وحُسِن التنفيذ من فيه" [5].

ومن التوقيعات في ذلك الشأن – النظر في الجيش -، " وبعدُ، فإنَّ أحوال جيوشنا يتعيّن حُسنُ النظر في أمرها، والقيام بموادّ نصرها، وإسعافُها بناظر يحرّر جهات أرزاقِها، ويضبطها مخافة افتراقِها، ويأمرُ بنظم

([1]) صبح الأعشى، ج11، ص34 .

([2]) نفسه، ج11، ص68.

([3]) تَحَدَق: جمع .

([4]) صبح الأعشى، ج131/11.

([5]) نفسه، ج11، ص322.

جرائد أسمائهم واتفاقِها، ... " [1].
والمُمعن النظر في التوقيعات التي جاءت متعلقة بالجيش وقادته، يجد أنها جاءت مفصّلة الحديث عن طريقة النهج في التعامل مع القائد وجيشه، فهي في الحقيقة باعتقادي وصايا من أمير إلى قائد جيش يُنظر بها في جيشه المنوط .
ومن الموضوعات المتعلقة بالجيش الأسلحة المستخدمة، فشملت التوقيعات الحديث عن خزائن السلاح، ومن ذلك توقيع ابن نُباته، " رسم بالأمر الشريف – لا زالت أسنّه نجوم السَّعد من سلاحهِ، وصواعقها من أعوان صفاحهِ وسماكّها الرامح من أنصار رماحهِ، ولا برح يُعمل معادن الأرض حتّى يغنى ذهبها وحديدها على يدي بأسه وسماحه ... على رغم القائل : (أصبحت لا أحملُ السِّلاح ولا) والخبير بمحاسن الاقتراح، والكافي ولا عجب إذا سلّمت له ذوو الوظائف وألقت عليه السلاح ! ذو العزم الأشد، والرّأي الأسدّ، والذّكُّي الذي إذا تناول بعض الأسلحة وانتسبت شجاعته رأيتَ القوس في يد عُطاردٍ في بيت الأسد" [2].
فالمُوَقع هنا يستخدم القوة والبأس والشدة في الحرب إذ جاء حديثه لخازن السلاح باللهجة الصارمة، والتي نأخذ منها وصاياه له من حيث كيفية الاستخدام والاستعمال للمخازن .
كتوقيع كُتب به لناصر الدين بن أيتبك، " فليباشر ذلك سائرًا في الجنود أحسن سيره، مُراقبًا الله تعالى فيما يبديه من القول والفعل والعلانية والسّريرة، مُلازمًا ما يلزمه من حقوق هذه الوظيفة، قائمًا بما يجب من أداء الخدمة الشّريفة، ولينفذ ما يؤمر به من الأوامر، عالمًا بما يتعيّن من حقوق المأمور والأمر، وليجتهد في جمع العساكر وإعلامِهم بالمُهمّات، وليتفَقَّد أحوال الجُند في سائر الأوقات، وليسفِر النِّقاب عن الوجوه بالحِيلة يوم العرض " [3].
وجليٌّ ما في هذا التوقيع من وصايا واضحة لقائد الجيش وحامي البلاد، فالتوقيع يُبيّن للقائد طريقة التعامل مع الجيش وحتى مع الرّعية، فيرسم له مخططه في السّير في وظيفته تلك .
وقد يبّن لنا التوقيع كيفية تعامل الوالي مع الرّعية في حالة الفساد وانتشاره بينهم، ومن ذلك ما يكتب من توقيعات عن نواب السلطنة بالممالك، " وقد بلغنا أنّ جماعةً من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرّروه، وبثّوه في العامّة ونشروه، واتخذوا دينًا يعتقدونه ... وإنهم يُسبُّون خيرَ الخلق بعد الأنبياء والمرسلين ويجمعون بين الأختين في النكاح، ويتديَّنون بالكفر الصُّراح، فأنكرنا ذلك غاية الإنكار وأكبرنا وقوعه أشدّ إكبار، وغضبنا لله تعالى أن يكون في هذه الدولة للكُفر إذاعه، وأردنا أن نجهّز طائفةً من عسكر الإسلام، وفِرقةً من جُند الإمام، تستأصل شأفة هذه العُصبة المُلحدة وتطهرُ الأرضَ من رِجس هذه المفسدة، ثم رأينا أن نقدِّم الإنذار، ونسبق إليهم بالإعذار " . [4].

([1]) نفسه، ج11، ص323.
([2]) صبح الأعشى، ج12، ص310.
([3]) نفسه، ج12، ص432.
([4]) صبح الأعشى، ج13، ص17-18.

ويتبادر لنا من التوقيع السابق الطابع الحضاري الإسلامي للوالي وحامي الديار، سياسة الخلفاء للرعية في مثل هذه الظروف الصعبة، وكيفية إرساء قواعد الحكم الصحيح العادل الذي يرضي الجميع ويحفظ للدولة وقارها وهيبتها، ويحفظ الدين الإسلامي دين الدولة من التشويش والاعتداء .

وقد تشمل التوقيعات في طياتها الثناء على من أثبت كفايته من رجال الدولة، حيث أبرزت هذه التوقيعات الصفات التي يتحلّون بها، وأبرزت كفاءتهم أمام الرعية، وحبُّ الوالي في استمرار خدمتهم، ومن ذلك توقيع بهاء الدين أبي بكر بن غانم، " لا زال إحسانُ كرمِه يزين بهاء حسنه المكارم، وكرم إحسانه تتراكم سحائبُه الهاميةُ فتزري بالسُّيول وتهزأ بالغمائم، وفي نواله يُقم في أوليائنا خلَفًا بعد سَلَف فهم من فضله بين غانم وابن غانم – إن يستقر مرتَّب المجلس السامي..."[1].

ومن تلك التوقيعات التي جاء في طياتها الثناء على الوالي، وحثّه على الاستمرار بعملهِ والضرب على يديه من أجل تحقيق ما حققه في حكمه، " وأعلم أنه قد كثُر الحواسدُ لما مددناه من صُنعك، وبسطناه من ذرعك، فأشجِ حلُوقهم بالسَّعي لاستحقاق المزيد، وأرقَ في درجات الصُّعود وألزمهم صفحة الصَّعيد"[2].

ويطولُ بناء الكلام لو أردنا تتبّع هذا الموضوع من التوقيعات، فقد أخذ نصيب الأسد من مجمل التوقيعات ويعدُّ الموضوع الرئيسي فيها .

ونخلص مما سبق، ومن خلال حديثنا عن التوقيعات التي جاءت في إطار ذلك الموضوع والمتعلق بالولاة والأمراء والقضاة والجيش، ويمكن أن يسمّى بالأمور الإدارية والسياسية والحكم والقضاء في الدولة، أنّ مجمل التوقيعات جاءت في إطار اللغة الإدارية الرسمية، حاملة في طياتها الوصايا التي لا يخلو منها توقيع ما، وهي باعتقادي بمثابة الخطط المنهجيّة والمدروسة التي توجّه إلى من يتولّى المنصب في الدولة، للقيام بعملهِ بأفضل قيام، ورسم الخُطّة الاحترازية من خلال الوصايا أمام عمله .

ويرى الباحث أنّ موضوع التوقيعات ذلك قد أخذ الحيّز الأكبر من التوقيعات بشكلٍ عام، وهذا بسبب ارتباط نشأة التوقيعات بقيام الدولة، فالدولة لا بدّ لها من مكاتبات بين الولاة والرؤساء والعمال، فكانت التوقيعات خير مساجلات لما بينهم.

ثانيًا : التوقيعات في شؤون الكُتَّاب والتدريس

تُعدّ وظيفة الكُتّاب من أهم الوظائف في الدولة الإسلامية وأكثرها حساسية، فهم لسان الدولة في مخاطبة الآخرين، ووسيلة الاتصال بينها وبين الأطراف الأخرى، سواء في الداخل أم في الخارج، ومن هنا نجد أنّ عددًا كبيرًا من التوقيعات توّجه إلى هؤلاء الكتّاب، فتحثهم على التدريس، والحرص على العلم، وكذلك إقامة المدارس والدرس فيها .

ومن أمثلة هذه التوقيعات التي تحث على التدريس نسخة توقيع كُتب به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، " ونحن نُوصيك أيُّها العالم – وفقّك الله – بالمداومة على ما أنت بصدده، والمذاكرةِ للعلم فإنّك لا تُكاثِر العلماء إلا بمدده، والعمل بتقوى الله تعالى في كل قصد وتصدير، وتقريب

---

(1) صبح الأعشى، ج13، ص47.

(2) نفسه، ج13، ص149.

وتفرير، وتأثيل وتأثير، وتقليل وتكثير، فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرافعيُّ لك به الراية، ويأتُّم بك إمامُ الحرمين في النهاية، فقد أمسيت جار البحر فاستخرج جمانه " [1].

فالتوقيع يحثُ العالم والكاتب على التدريس والقيام به خير قيام، حيث يوصيهِ على إفادة الطلبة لما يرفع الأمم ويعزها ويجلّها، فهي مهنة أعزّها الله، ويصبغ الموقّع صفات العالم التقي الذي يخاف الله في مهنته وعمله آنذاك، وكذلك توقيع للشيخ شعبان الدين أحمد الأنصاري، " فليتقّ ما القي إليه بالقبول، ويستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول، وليبيّن من معاني كتاب الله عز وجل ما أجمل، ويوضِّح من خفِّي مقاصده ما أشكل، وليسلك في تفسيره أقوم سنن، ويُعلن بأسراره الخفيّة فِسرُّ كتاب الله أجدرُ أن يكون عن علن، وليبحرِ فيه على ما أُلِف من تحقيقاته فإنه إذا لم يحقّق المناظرة فمن ؟ وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان، ويخصُّ شبابهم على التوبة ليُحبَّهم الله إليه فيتصل في المحبة سندُهم..." [2].

والملاحظ على التوقيع السابق، أنه جاء يحث على تعليم كتاب الله وتفسيره خير تفسير، والتزود بالدين والسنة، وأغلب التوقيعات جاءت بمثلهِ جادةً في تدريس القرآن وتعليمه وتفسيره وتحقيقه والتزود به خير زاد، وامتثال الطلبة بما فيه من قيم روحيه تجعله على اتصالٍ مع ربه .

ومن التوقيعات التي جاءت تَختصُّ بالتدريس، توقيع القاضي شمس الدين محمّد ابن المرحوم شهاب الدين أحمد الدّفري المالكي، " فحمدُه على أن صرَف إلى القيام بنشر العلم الشريف اهتمامنا، وجعل بخيرتهِ العائدةِ إلى التوفيق في حُسن الاختيار اعتصامنا، ونشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله أوفرُ البرية في الفضل سهمًا، القائلُ تنويهًا بفضيلة العلم : " لا بُورك لي في صبيحةِ يومٍ لا أزدادُ فيه علمًا " صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الذين حُلُّوا من الفضل جواهره الثمينة" [3].

وبما أن موضوع التوقيع التدريس، فشرع الكاتب بالحمد لله فيشير لنعمةٍ قد حلت، فجاء الحمد على التعييز بين العلماء بسوابق الأفكار، وجعل المدرسين في توقيعه ورثة الأنبياء، والإشارة للنبي كمعلم، والصحابة كدارسين ومدرسين للفقه، وهذا من أجل غرس العلم وحبه في قلوب الطلبة والإشادة بمهنة التدريس .

ويرى الباحث أنّ مجمل التوقيعات التي جاءت في صدد هذا الموضوع ذا علاقة وطيدة بالدين، ولهذا جاءت توقيعاتهم بلباسٍ ديني يبرز فيه التقوى والإخلاص للعلم في سبيل الله، وإعطاء أمثلة للصحابة رضي الله عنهم أصحاب العلم والتقوى .

ويظهر اللباس الديني في التوقيعات من حيث تضمينها الآيات القرآنية، والحديث عن القرآن وفضائله، وخصَ العلم الديني الباقي، وبقاء الدولة من بقاء العلم بالدين ونشره في المدارس، " والبركةُ التي لدولتنا الشريفة منها نصيبٌ وافر، والتصميمُ الذي اقترن بغزارة العلم والوقار الظاهر، فهو – أعز الله أحكامه – من العلماء العاملين، وله البشرى بما قاله أصدقُ القائلين، في النبأ الذي يتمُّ به الزيادةُ والنماء، " إنما يخشى اللهَ من

([1]) صبح الأعشى، ج11، ص228-229.

([2]) صبح الأعشى، ج11، 252.

([3]) نفسه، ج11، ص249-240.

عِبادِهِ العلماءُ " صدق الله العظيم " [1].

ومن التوقيعات التي حثت على التدريس وأهمية العلم، توقيع في المدرسة المالكية للقاضي جمال الدين يوسف البساطي، " الحمدُ للهِ الذي جعل جمالاً تهافت على دركة محاسنُ الفضائل وتتواردُ على ثبوت محامدِهِ المتوارد قواطعُ الدلائل، وتحقّق شواهدُ الحال من فضلهِ ما يتلمّح فيه من لوائح المخايل، وأنّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدرًا، وأوّلهم في علوّ المرتبة مكانًا وإن كان آخرهم في الوجود عصرًا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الحائزين بقُربه أفخر المناقب، والفائزينَ من درجة الفضل بأرفعَ المراتب .. " [2].

ولم تقتصر التوقيعات على التدريس للقرآن الكريم فقط، بل جاءت للعلوم كلّها، فحثت على تدريس التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وغير ذلك، فشملت تلك التواقيع وصايا تختلف من كاتبٍ لآخر، ومن وصايا المدرسين التي جاءت في إطار التوقيعات " ولتُخف أضواءَ أولئك العلماء الذين هم كالنجوم كما تتضاءل الكواكبُ في مطالع الأقمار، وليبرز لهم من وراء المحراب كمينه، وليُفض على جداولهم الجافة معينه، وليقذف لهم من جنبات ما بين جنبيه دُرر ذلك البَحر العجّاج، وليظهر لهم من مكنُون علمهِ ما كان يُخفيه الوقار، وليهب من ممنون فضله ما يهبُ منه عن ظهر غنىً أهل الافتقار، وليربّهم كما يُربّي الوالدُ ولده، ولينشئ الطلبة حتى يُنمّيث منهم الغُروس، ويؤهل منهم من كان لا يُظنُّ منه أنه يتعلّم لأن يُعلِّم ويُلقي الدُّروس"[3].

فالكاتبُ يُظهر في نصه السابق قدر العلماء ومكانتهم في الدنيا، وكيفية الانتفاع بهم، والأخذ منهم، فيوصي الطلبة على النهل من علمهم الذي يروي الظمآن، وكما يوصي العلماء أنفسهم على حث الطلبة على العلم وتعليمهم العلم النافع .

أمّا ما جاء في الحديث والأخذ منه وتعلّمه وتعليمه للطلبة " وقد أصبح بالسُّنة النبويّة مضطلعًا، وعلى ما جمعته طُرقُ أهل الحديث مُطّلعًا، وهو يعلم مقدارَ طلب الطالب فإنه طالما شدّ له النّطاق، وسعى له سعيه وتجشّم المشاقّ، وارتحل له يشتدّ به حرصُه والمطايا مُرزمه، فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدةِ معاملةَ من جرَّب، وليُنشّط الأقرباء منهم ويؤنس الغرباء فما هو إلاّ ممن طلب الآونةَ من قريب وآونةً تغرّب، وليوضِّح لهم الحديث، وليُرح خواطرهم بتقريبه ما كان يُسار إليه السَّير الحثيث، ويبصِّرهم بمواقع الجرحِ والتعديل، والتوجيه والتعليل، والصحيح والمعتل .." [4].

فنلحظ منه أنه يوصي عالم الحديث بالسير في طلبه، والتحقيق من صحته، والأخذ به، كما يقرر تعليمه للطلبة والاستزادة منه بالدنيا، وشرحه وتفسيره وتعليله لهم، بل يبيّن لهم مواطن كثيرة قد لا تظهر لهم من مثل الجرح والتعديل والصحيح والمعتل وغير ذلك .

ويرى الباحث أنّ التوقيعات جاءت شاملة للعلوم والحث على تدريسها، فهي لم تقتصر على علمٍ بذاته،

---

(1) صبح الأعشى، ج11، ص230.

(2) نفسه، ج11، ص241-242.

(3) نفسه، ج11، ص247.

(4) صبح الأعشى، ج11، ص2483-250.

وباعتقادي أنّ سبب شموليتها لتلك العلوم لما لها من فائدة جليلة للعالم والمتعلِّم، ولأهميتها في عمارة الدنيا وبناء الدولة الإسلامية .

كما شملت التوقيعات الخاصة بالكتّاب والتدريس، الحث على تعليم الطلبة للنحو، لمَ له من أهمية كبرى يجناها المتعلم، ومن ذلك " وليعلِّمهم مثل ما ذُكر فيه من علم النحو نحوَ هذا وزيادة، وليكن للطلبة نجمًا به يهتدى، وليرفع بتعليمهِ قَدرَكل خَبر يكون له خبرًا وهو المبتدأ، وليقدِّم من صَلَح للتبريز، واستحقّ أنّ يُنصب إمامًا بالتمييز، وليورد من موارده أعذف النّطاف، وليجتر إليه كلَّ مضاف إليه ومضاف، وليحفّظهم المُثُل وكلماتِ الشعراء.. "[1] .

ونخلص مما سبق أنّ التوقيعات في هذا الموضوع جاءت مكتملة للعلم وتعلُّمه، والحث على التدريس، كما أشار بعض إلى إصلاح المدارس وتأهيلها للطلبة، ولم تقتصر كما أشرنا آنفًا على علمٍ بذاته، بل جاءت للعلوم كلّها، حِرصًا منها على انتفاع الطلبة لمَ يعود على الدولة باليمن والخير والاستقرار.

ولا يفوتني إلى القول إن التوقيعات هنا جاءت مندرجة أحيانًا تحت الوصايا، وتشمل على الكثير من الوصايا لأهل العلم، وذكر فوائده المرّجوة، فالتوقيع في صدد هذا الموضوع أشبه ما يكون بوصية عالم سواء أكان نحوي أم لغوي أم محدِّث لأهلهِ.

أمّا الصيغة التي جاءت عليها التوقيعات آنذاك، فهي تبدأ بالحمد لله، والاستهلال بذكره ونعمهِ، مسبوغة بالنتاج الديني الذي يتورع منه الإنسان، ويتقي بهِ خالقه، مضمّنة أحيانًا آيات من القرآن أو أحاديث أو شعر، جاء جلّه لأهمية العلماء والانتفاع بعلمِهم .

ثالثاً : التوقيعات في جباة الأموال (الأوقاف) المحتسب

كانت دار الخلافة أو الوالي بما تحتويه من أموال ركيزة أساسية يجب الحفاظ عليها، ومن المسميات التي كانت تطلق على بيوت المال الحسبة أو بيت المال المعمور أو الخزانة العالية، وجاء الهدف من التوقيعات لتلك البيوت هو الحفاظ عليها؛ لأنها المورد الوحيد للدولة، كما أنها مستودع أموال المملكة .

ومن التوقيعات التي جاءت بنظر الخزانة " وليعم أنّ خزائننا تُصبّ فيها سحائبُ التُحف والأموال والأصناف، من سائر الممالك والمدن والثغور والأطراف، ومنها يُخرج بجهاز مواهبنا وإنعامنا للأولياء الأشراف، وإنما هي لمصالح المسلمين في الجمع والائتلاف، وتقوية أهل الطاعة على أهل الاختلاف، ..."[2].

وكذلك توقيع المقِّر الشهابي بن فضل الله وهو خاص بنظر الأوقاف، " وبعد، فإنَّ الحسبة الشريفة هي قانون جوادِّ الأوضاع، ومضمون موادِّ الإجماع، تجمع إلى الشريعة الشريفة سياسةً يُرهبُ جِدُّها، ويُرهفُ حدُّها، وتخش الرعايا سطوات مباشرها وتتنحّى عما تصبُّه سيول بوادرها، ... ولكم ناب بحسن تدبيره عن الغمام، ونظرَ في الدّقيق والجيل للخاصِّ والعام، طالما انحطَّ به سِعرُ غلا أن يُقوّم، ووجدَ من الأقوات صِنفٌ لا يُوجد ولو بُذل من الشمس دِينارٌ والبدر درهم"[3].

---

(1) نفسه، ج11، ص250-251.

(2) صبح الاعشى، ج11، ص338.

(3) صبح الاعشى، ج12، 61-62.

ومن الملاحظ أنّ التوقيعات في هذا الشأن جاءت مخاطبة مسؤوليها للحفاظ عليها، فهي أموال دولة، وجاء بعضها مضمنًّا للحديث على من يتولاها وما هي الصفات التي ينبغي التوافر فيه، " فليرقَ هذه الرتبةَ التي هي من أجلّ ما يُرتقى، ويتلقَّ هذه الوكالة التي مدارُ أمرها على التُّقى وهو خير ما يُنتقى، ويُباشر هذه الوظيفة التي مناط محكمها في الورى الذي لا تستخفُّ صاحبه الأهواءُ ولا تستفزُّه الرُّقى، ولينهض بأعبائها مُستقلاً بمصالحها، مُحسنًا عن بيت المال الوكالة فيما جرّه الإرثُ الشرعيُّ إليه .. " [1].

كما جاء بعض التوقيعات في هذا الشأن للحديث عن أموال الرعية وكيفية التعامل معها، ومن ذلك توقيع للشهابي بن فضل الله، " واعتبر أحوال أرباب المعايش اعتبارًا يُصلحُ للناس أقواتهم ويُرغد أوقاتهم، ولا تدع صاحب سلعةٍ يتعدّى إلى غيرها أحلّه اللهُ له من المكاسب، ولا صاحب معيشةٍ على تخلُّل خللٍ في المآكل والمشارب، وأقصد التسوية بالحقّ فإنه فيه البائعُ والمشتري، ولا فرق بين الرّخيص والثمين، وأقم الموازين بالقسط حتى لا تتمكن كفّتاها أن تتحامل ولا تحمل " [2].

وطالما كانت بيوت المال أو كما تسمى الوكالة هي مصدر الدولة في الإنفاق، فكان من الطبيعيّ أن تشملها التوقيعات من حيث كيفية الإنفاق وكيفية الحفاظ عليها، وخاصة من يتولاها، وتبرز لنا أهمية تلك البيوت توقيع القاضي تاج الدين البارنباري للقاضي نجم الدين أبي الطيب، " وكالة بيت المال المعمور التي بها تُصان الأرض المقيسة، ومنها تستبصِر الآراء الرئيسة، وبها يؤمن الاستيلاء على المحالّ والأبنية من كلِّ جائر، وبها تُزاد قيمُ المبيعاتِ مما هو لبيت المال ما بين عامرٍ وداثرٍ " [3].

وكما شملت التوقيعات الحديث عن أموال اليتامى، وكيفية الحفاظ عليها، ومن ذلك توقيع لقضاة الشافعية، " وليكُن أمرُ أموال اليتامى المُهِمّ المقدم لديه، وحديثُ أوقاف البرّ من أوّل وأولى ما يصرف فِكره الجميل إليه، ويتعاهد كشف ذلك بنفسه، ولا يكتفي في عملهِ فعل اليوم باطّلاعه عليه بأمرهِ في أمسهِ، وهو يعلم أنّ الله يجعله بذلك مشاركًا للواقفين في الأجر المختصّ بهم والشكر المنسوب إليه" [4].

ويظهر لدينا أنّ بيت المال هو نظام الإسلام في مجمل التوقيعات، وخصّه بالحديث وعن ما يرتبط له من حيث المكان والزمان والشخوص، ومن ذلك توقيع فيه" وبعدُ، فإن بيت المال المعمور هو نظام الإسلام، وذخر الأنام، وفيه محصول المسلمين تحت نظر الإمام، وفيه مادّة المجاهدين في سبيل الله على تطاول الأيّام وإليه تجئ القناطيرُ المقنطرة من الأموال، وعنه تصدر المبيعاتُ من الأملاك ما بين أراضٍ وأبينه ومحال .. " [5].

ونخلص مما سبق أنّ التوقيعات في هذا المجال جاءت للحفاظ على أموال المسلمين وأحوال الدولة، وكذلك اليتامى والرعية، وإذا صُلحت صُلح أمر الرعية، كما شملت الحديث صاحب تلك الأموال وحاميها، وما به من صفات تجعله كفؤ لمثل هذا العمل الذي يتطلب منهم الكثير، وغالبًا تشمل على وصايا للحرص على إقامة

---

(1) نفسه، ج12، 69.

(2) نفسه، ج11، 63.

(3) صبح الأعشى، ج12، ص65.

(4) نفسه، ج12، ص184.

(5) نفسه، ج12، ص185.

العدل والتسوية، بين الرعية في جباة الأموال وتقسيمها والمحافظة على الأسعار وعدم استغلال الناس .

المبحث الرابع : مصادر التوقيعات

تُشير المصادر إلى أنّ الموقعين كانوا من أكثر الناس معرفة وإطلاعًا، فهذا الأمر " لا يعين له إلاّ من كان أديبًا بليغًا عالمًا باللسان العربي " [1]، ومن هنا يمكن أن نتوقع تعدد مصادر التوقيعات بما يتناسب وثقافة هؤلاء سواءَ أكانوا من الأمراء أم الكتّاب المشهورين أم الخليفة نفسه.

أولاً : القرآن الكريم

التوقيعات كباقي أجناس اللغة العربية الأدبية نجد فيها أثرًا كبيرًا للقرآن الكريم إن لم يكن من أكثر الأجناس الأدبية تأثرًا به، فالقرآن يحتلُ المرتبة الأولى من حيث الأهمية والعدد بين مصادر التوقيعات؛ وذلك لم يأتِ عرضًا إنما تطلبتّه طبيعةَ هذا الفن؛ وذلك لأن مضمون التوقيعات يتطلب ذلك فهي في الغالب عبارة عن نصائح وأوامر يقصد بها تقديم موقف يزخر بالحكمة، وهذا يتطلب الاحتجاج بالقرآن كلام الله الذي لا حكم بعده، إضافة إلى أن التوقيع بآيات من القرآن يضفي أهمية ووقار على التوقيع ويجعله أكثر قبولاً في النفس عند المُتلقي.

وفي غالب التوقيعات نجد أن الموقّع يضمّن آية قرآنية في نهاية توقيعه ذلك توقيع المولى زين الدين بن الخضر إلى تاج الدين محمّد الإفنائي، " والبركةُ التي لدولتنا الشريفة منها نصيب وافر، والتصميمُ الذي اقترن بغزارة العلم والوقار الطاهر، فهوَ أعز الله أحكامه – من العلماء العاملين، وله البشرى بما قاله أصدقُ القائلين، في النبأ الذي تتمُّ به الزيادة، والنماء : (إنما يخشى اللهَ من عِباده العلماء) [2].

ومن الملاحظ أن الآية الكريمة في التوقيع السابق جاءت في نهاية التوقيع ؛ لتمثّل خلاصة المعنى الذي يريده الموقّع؛ وليؤكد للقارئ على حدق كلامه جاء بكلام من الله وجعله مختتم الحديث .

ويرى الباحث أن ربما سبب جعل المدقِع الآية الكريمة في نهاية توقيعه، من أجل استمالة المتلقي، وانتباه عقل القارئ لما للآية من وقع على النفس، وجرس موسيقي خاص .

وكذلك توقيع لابن بناته، " علمًا بكفايته التي تقدمت، وشهامتِهِ التي تحكّمت، وإمامته التي سَلِمت فيما سلّمت، وهمّته التي وضحت شمسًا فلا تُنفس، - وقالت لقيامهِ - في المصالح " اخلع نعليك إنّك بالوادِ المُقدّس" [3].

وقد يأتي النص القرآني مدمجًا مع التوقيع في وسطه، ومن ذلك توقيع ابن نباته، " لا زال يزيد قِلاع الإسلام علاءً في السِّمة والاسم، وفي القوة والجِسم، وفي اعتناء يجمع لعقيلتها بين الحُسن والقِسم، فليباشر هذه القلقة التي علت بنفسها محلاً وسكنًا، وقال ساكنُ مغارها لثاني اثنين من حزمِه وعزمه : " لا تحزن إن الله معنا " ؛ واستعلى ثنّيتها " [4].

([1]) جرار، صلاح، والدروبي، محمّد: جمهرة توقيعات العرب، مرجع سابق، المقدمة، ص6

([2]) صبح الأعشى، ج11، ص230.

([3]) صبح الأعشى، ج12، ص331.

([4]) نفسه، ج12، ص330.

فالتوقيع يضمِّن آية قرآنية، تدل على عقلانية الموقِّع واحتكامه إلى الله في شدائد الأمور، ويدلنا التضمين على اطلاعه على آيات الله والإتكال عليه في الشدائد، وجاءت في وسط التوقيع.

وكذلك توقيع بولاية غزة لابن بناته، " لما عُرف عن عزمه الذي جرّد منه الإختيار الأختبار جميلاً، وكمال شخصهِ الذي اتّخذه التوفيق فلم يقل : ﭽ ليتني لم أتخِذْ فُلانًا خليلا ﭼ، واعتماد الذي يُصبح في المحامد ويمسي، وينافس مرباه"[1]. ونلحظ من الآية المضمنة في التوقيع السابق أنها ردع وتذكير بكلام الله، فالموقع يتحدث عمن أخذته العزة بغير الله، ولهذا جاء بآية من القرآن من أجل التذكير.

وتوقيع كَتبه شهاب محمود الحلبي للشريف شهاب الدين ناظر الصحبة، " فإن أولى من اخترناه لصحبتنا الشريفة على علم، وأعددناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرُّع إدراك في حُكم، وبسطنا له فيما عرفناه به من ذلك لسانًا ويدًا، وحفظنا به الأحوال "فمن يستمع الآن يجد له شِهابًا رصدا "، وادّخرنا أقلامه لمصالح كلّ إقليم يمرّ ركابُنا الشريفُ عليه" [2].

ومجمل القول إن التوقيعات جاءت مضمِّنة لآيات القرآن الكريم؛ لما له من أهمية كبرى في حياتنا اليومية، وجاءت الآية خير دليل واحتجاج بكلام لا حكم بعده، كما أن التوقيع بالآيات يُضفي الهيبة والوقار على التوقيع نفسه وعلى الموقع، حيث يجعله مقبولاً في النفس، ويجعله مضطلعًا على كلام الله الجليل .

ويرى الباحث أن التوقيعات جاءت خالية من نص قرآني دون أن يضيف إليها من كلامه شيئًا، بمعنى لم يرد توقيع بنصٍ قرآني وحده نهائيًا .

ثانيًا : الحديث النبوي الشريف .

للحديث النبوي الشريف مكانته الكبيرة في نفوس المسلمين كونه ثاني مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وكلام النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إضافة إلى مكانته اللغوية ؛ لأنه كلام النبي ﷺ الذي أُوتيَ جوامع الكَلِم، لكن في الحقيقة لم يرد الموقعون الأحاديث في توقيعاتهم، لذا فإن الحديث النبوي الشريف لم يشكِّل مصدرًا مهمًا من مصادر التوقيعات التي وصلت إلينا من حيث الكم، وأورده هنا التزامًا بمنهجية الدراسة في ترتيب المصادر.

ومن أمثلة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ما ورد في توقيع للقاضي شمس الدين محمّد ابن المرحوم شهاب الدين أحمد الدِّفري، " ونشهد أنّ سيدنا محمّدا عبدُه ورسوله أوفرُ البرية في الفضل سهمًا، والقائلُ تنويهًا بفضيلة العلم : " لا بُورك لي في صبيحةِ يومٍ لا أزدادُ فيه علمًا " ﷺ وعلى آله وصحبه حُلُّوا من الفضل جواهره الثمينة"[3].

وباعتقادي أن هذه المسألة تحتاج إلى تفسير وبحث عن أسبابها، خاصةً أن زمن التوقيعات واشتهارها في العصرين : الأموي والعباسي، جاءت بعد بداية تدوين الحديث في مطلع القرن الثاني الهجري على يد محمّد بن شهاب الزهري، فمكانة الحديث النبوي الشريف اللُّغوية معروفة، ولكن ربما يعود السبب – كما أرى –

([1]) نفسه، ج12، ص331.

([2]) نفسه، ج11، ص331.

([3]) صبح الأعشى، ج11، ص240-249.

إلى تحرّج المسلمين من رواية الحديث دون اتصال السند خوفًا من الوقوع في الخطأ وإذا ذكر الموقع وتتبع السند وضمنه توقيعه أدى إلى تطويل التوقيع والتوقيع يخلص إلى الإيجاز والاختصار.

ثالثًا : الشعر العربي

يُمكن أن يُصنف الشعر العربي الذي يرد في التوقيعات إلى صنفين، الصنف الأول : الشعر الذي يتمثل به الموقعون من شعر الشعراء الآخرين وهو ما نعتبره من مصادر التوقيعات، أمّا الصنف الآخر هو ما ينشئه الموقع من شعر في توقيعه ردًا على الرقعة التي تُرفع إليه خاصة إذا كانت هذه الرقعة شعرًا، وعادة ما تكون عن مقطوعة شعرية وأحيانًا تكون بيتًا أو بيتين، وهذه لا تُعدّ من مصادر التوقيع بل هي من إنشاء الموقع نفسه.

والصنف الأول من أهم مصادر التواقيع ويأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيثُ العدد؛ ولعلّ ذلك يعود إلى أن الشعر سهل الحفظ سريع الورود إلى الخاطر إضافة إلى تأثيره على النفس وحسن وقوعه عليها لما يختزنه من حكمة ومن مواعظ يحسن التمثُّل بها، ومن ذلك توقيع لابن بناته " واستعلى ثنيّتها فأنشد: " أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا "، ونادى بُقعتها : هذا عزمي وحزمي لا يقال ولا يازلاً يا " [1].

وكذلك توقيع الشيخ جمال الدين بن نُباته كتب به للشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب، "

وإنّي من القوم الّذين هُمُ هُمُ	إذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبه !
بُدور سماءٌ، كلّما غاب كوكبٌ	بدا كوكبٌ، تأوي إليه كواكبُه ! [2]

وتوقيعٌ آخر كُتب للشريف عز الدين أحمد بن أحمد الحُسيني، " وبلغ من العلوم الأمل : قؤوم تشبث بالمجَّرة وهو شامة في شامه المنسوب :

وَرِث السِّيادة كابرًا عن كابرٍ !	كالرُّمح أنبوبٌ على أُنبوب "[3]

وقد يأتي الشعر في نهاية التوقيع، ويكون بمثابة دعامة أساسية لما قيل، ومن ذلك توقيع الشيخ جمال الدين بن نُباته للقاضي عماد الدين بن الشيرازي، " ومن الوّقادين كلّ من لا يعاب بطول الفتيله، جاعلاً تقوى الله تعالى في كلِّ ما يأتي ويذر سائقة إلى الفوز ودليله، والله تعالى يُمدّه بالسداد، ويصلُ مفاخره بالسَّند ويحرسُ شرف بيته من السّناد، ويجعل كلَّ منصبٍ كريم باسمه وقلمه كما قال الأولُ : " رفيع العماد طويل النجِّاد"[4].

وكذلك توقيع آخر له للقاضي شرف الدين ابن عمرون، " وعلى أن يُنشد كلَّ يومٍ للتدّبير لا للتّبذير: لنا الجفناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ في الضُّحى" [5].

رابعًا : الأمثال

([1]) صبح الأعشى، ج12، ص330.

([2]) نفسه، ج12، 418.

([3]) نفسه، ج12، ص430.

([4]) نفسه، ج12،، ص342.

([5]) نفسه، ج12، ص395.

تُشكل الأمثالُ أحدَ مصادر التوقيعات في المواقف المشابهة التي يرى الموقع فيها أن المثل مناسبًا لها، ولمَ لها من دور في صقل شخصية المتلقي، وباعتقادي أن سبب تضمينها في التوقيعات ؛ لما فيها من حكمة يأخذ بها عند الحاجة، ولأنها من اللغة المحكيّة الأقربُ فهمًا لدى الناس، ومن ذلك توقيع شمس الدين بن القيسراني كُتب به إلى فخر الدين، " ويعلمُ أنّ هذا أوّلُ إقبالنا عليه (وأوّلُ الغيثِ قطرة ثم ينسكب) " [1]، وهذا من الأمثال المشهورة .

وكذلك توقيع الصّلاح الصَّفديّ للصاحب أمين المُلك، " وبعد، فإن أشرف الكواكب أعدّها دارا، وأجلّها سُرىً وأقلُّها سرارًا، وأعلاها منارا، وأطيب الجنّات جنابًا ما طالب أرجًا وثمارًا، وفجّر خلالهِ كلُّ نهرٍ " يروع قضاه ماليةَ العذارى " ورنّحت معاطِف غصونه سُلاف النّسيم فتراها سُكارى"[2].

فاستخدام الأمثال بما فيها من اختصار وتكثيف للمعنى يجعل التوقيع أكثر تأثيرًا وأوجز في العبارة ويقربه من الصفات المثالية للتوقيع التي تقوم على الإيجاز والتكثيف، كتوقيع خاص بنظر الجيش وتأهيله " هذا رامحٌ وهذا أعزل"[3]، وتوقيع ابن نُباته للقاضي تقيّ الدين أبن أبي الطيب، " حريصًا على أن يكون بابُها في الكرام كما يقال : سَهْلُ الحِجابُ مؤدَّبُ الخُدَّام "[4].

الخاتمة

إنّ هذا البحث كان محاولة لتقصّي موضوعات التوقيعات في كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي، ودراستها دراسة موضوعية تاريخية كان لها – في رأي الباحث - أثراً بارزاً لتتبع التوقيعات نشأةً وتطوراً في عصور مختلفة، تجسدت في الكتاب، و رسم ملامحها التاريخية والموضوعية، و خلص البحث إلى أبرز النتائج الآتية :

أولاً : كانت التوقيعات حاضرة بارزة في أذهان القدماء بصورة واضحة، إلا أنها لم تكن مصطلحاً مستقلاً بذاته.

ثانياً : إسقاط مجموعة من التوقيعات المتعلقة بالكتّاب واللغويين والشعراء والنساء من تعريفات المحدثين؛ لاعتقادهم أن هذه التوقيعات خاصّة بالرؤساء والخلفاء على اختلاف مراتبهم.

ثالثاً : التوقيعات فنٌ مرتبط بالدولة و قيامها، فهو جنسٌ مختص بقيام دولة ذات أبعاد محددة، فلا يمكن أن ينشأ بمعزل عن قيام دولة معينة .

رابعاً : حظيت التوقيعات في العصر العباسي بقسط أوفر من العناية الحقيقية، فقد تأسس في هذا العصر ما يعرف بـ (ديوان التواقيع) .

خامساً : إن التوقيعات فنٌ عربي أصيل نشأ في ظل الحضارة العربية، ومن المغالطة القول إنها حاكت التوقيعات الفارسية و إنما تأثرت بها، إذ إن التأثير من سمات أيّ جنس أدبي .

---

(1) صبح الأعشى، ج11، ص348.

(2) نفسه، ج12، ص87.

(3) نفسه، ج11، ص322.

(4) نفسه، ج12، ص390.

سادساً : أخذت التوقيعات المتعلقة بموضوع الولاة و الأمراء والقضاة والجيش الحيز الأكبر من التوقيعات بشكل عام؛ لارتباطها بقيام الدولة .

المصادر والمراجع:

1) إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (وقع) .

2) ابن السيد البطليوسي، أبو محمّد، محمّد بن عبدالله(ت 520هـ): **الاقتضاب في شرح أدب الكاتب**، تحقيق: مصطفى السقا، الهيئة العربية للنشر، القاهرة، ط2، 1981م .

3) ابن خلدون (808 هـ): **المقدمة**، تحقيق: د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1981م.

4) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم (951هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (وقع)، ج8.

5) الثعالبي، عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل: **خاص الخاص**، شرحه وعلّق عليه: مأمون بن محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994.

6) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255 هـ): **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1960م، ج1.

7) جرار، صلاح والدروبي، محمّد: **جمهرة توقيعات العرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2001م، ج1.

8) جرار، صلاح، والدروبي، محمّد: **التوقيعات الفارسية المعرّبة**، منشورات جامعة آل البيت، ط1، 2002م.

9) حجاب، محمّد بنيه: **بلاغة الكتّاب في العصر العباسي**، المطبعة الفنية، القاهرة، ط1، 1965م.

10) ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، ط6، دار المعارف، مصر، 1966 م. 11.

11) العاكوب، عيسى: **تأثير الحِكَم الفارسيّة في الأدب العربي**، دار طلاس، دمشق، 1989م.

12) فروخ، عمر: **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1965م، ج1.

13) فيصل، شكري : **مناهج الدراسات الأدبية في الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1973م.

14) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (240 هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، ج11.

15) الكتاني، عبد الحي : **نظام الحكومة النبوية**، " التراتيب الإدارية " دار إحياء التراث العربي.

16) المقداد، محمود: **تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، د.ت.

مكانة العقل في نقد الحديث عند علماء الحديث

أ.فتحي دادي بابا
جامعة تلمسان

الملخص

يأتي هذا المقال في محاولة لبيان الدور الهام للعقل في الحكم على الحديث؛ ويبين الدور الهام للسند وكيف أن الأمة، الممثلة في علمائها، لها الدور البارز في المحافظة عليه.

وسيبين هذا المقال ليوضح منهج المحدثين النقاد في تحقيق الأحاديث من خلال السند والمتن معا مع إعمال العقل. ويبين المقال، من خلال نموذج، كيف أن تحكيم العقل بمفرده في الحكم على الحديث أمر غير دقيق.

وينتهي المقال ببيان أن منهج علماء الحديث في دراستهم للحديث يعتمدون على الاثنين معا السند والمتن مع إعمال العقل والنظر. وبذلك يبرز المقال تكامل منهج علماء الحديث النقاد واستيفائهم جوانب البحث النقدي حيث كان للعقل دور بارز.

Abstract

This article deals with an important aspect of ¨hadith¨, and he will study usinng reason (mind) in order to judge ¨Hadith¨. And he will prove the important of ¨Sanad¨, and the role of the ¨Umma¨ to preserve it.

This article will gives the principles and procedures followed in assessing Hadith, and consentrates in the roles of reson in this regard . it shows, by an example, that assessing or judging ¨Hadith¨ solely by reason is not accurate. This article will gives an example where ¨Hadith¨ is judged by relying on reason alone.

The article comes to the conclusion that ¨Ulama¨ (theoligians) should be guided in their study of ¨Hadith¨ by the two : the principles of reason and ¨Sanad¨. This article demonstrates the integrated approach of ¨ El Mouhaddithin el noquad¨ which is proved through its fulfilment of all the required elements of scientific research.

مقدمة

لما كان الحديث النبوي المصدر الثاني للتشريع، كان لابد على علماء الحديث الاهتمام به والتفرغ له وبيان دقائق منهجه.

ومن هنا فقد قيض الله تعالى في كل عصر من العلماء من أفنى عمره لخدمة هذا العلم الجليل؛ بإبرازه وإظهاره وتنقيته والدفاع عنه وتمحيص الأحاديث التي يحتج بها بما يجعل الفقيه يطمئن حينما يستنبط الأحكام الشرعية.

لقد ظهر علم الحديث في وقت مبكر، وجاء كنتيجة ملحة لتأصيل القواعد بهدف الحفاظ على حديث رسول الله (ﷺ) من الدس والتحريف، إلى أن يكتمل هذا العلم شيئا فشيئا مع الزمن حتى أصبح علما دقيقا قائما بذاته، من خلاله يستطيع المتخصص أن يميز الحديث الصحيح من غيره، وذلك من خلال الإسناد أولاً، إذ أن الحديث الذي لا سند له لا يعتبر في عرف المحدثين حديثا، لأن قبوله أو رده يكون من جمع طرقه وأسانيده؛ ثم من خلال المتن ثانياً؛ ثم لابد من موافقة الحديث لروح الشريعة الإسلامية والنصوص الثابتة (القرآن والحديث الصحيح).

إلا أنه يظهر من حين لآخر بعض الأصوات المشككة - لقلة معرفتها واطلاعها على قواعد علم الحديث واستغلالها قلة معرفة الناس بدقة قواعد هذا العلم الجليل- التي تحاول التدليل على آرائها مستندة إلى مبررات عقلية ونقلية بحيث يتراءى للقارئ صدق هذه الدعاوى إذا اكتفى بالنظرة السطحية، لكنه إذا أمعن النظر ودقق وحقق لمعرفة الحقيقة فلن تفوته.

وسأحاول من خلال هذا البحث أن أتناول إحدى القضايا المهمة، وهي قضية الحكم على الحديث من خلال ما يقتضيه العقل فقط على سبيل الحدس والتخمين، وليس من خلال تطبيق القواعد الدقيقة لعلم الحديث على السند والمتن. وهي مسألة دقيقة.

ومن أجل توضيح هذا الموضوع ومعرفة المنهج الصحيح في النقد، سأتناول في بحثي – إن شاء الله – المباحث التالية:

المبحث الأول: السند وأهميته واعتناء الأمة به.

المبحث الثاني: العناصر الأساسية للحكم على الحديث وارتباطها بالعقل.

المبحث الثالث: دور العقل في نقد الحديث.

المبحث الرابع: أنموذج من نقد الحديث بواسطة العقل فقط.

المبحث الخامس: المنهج النقدي عند علماء الحديث.

نتائج البحث.

المبحث الأول: السند: أهميته واعتناء الأمة به

يعرف المحدثون السند بأنه الطريق الموصل إلى المتن، وأصله من السند وهو ما ارتفع وعلا من سفح الجبل.([1])

وعلماؤنا المسلمون الأوائل اعتنوا بالإسناد لنقد الأخبار والروايات، وبدأ التثبت من الحديث في عهده (ﷺ) فقد روى الحاكم بسنده عن البراء بن عازب قال: ما كل الحديث سمعناه من رسول الله (ﷺ)، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله (ﷺ) كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله (ﷺ) فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم وكانوا يتشددون على من يسمعون منه.([2])

---

[1]- الفيروز آبادي (ت817هـ)، **القاموس المحيط**، مادة سند 314/1. تح: مؤسسة الرسالة، بيروت. إشراف: محمّد نعيم العرقسوسي. ط8. 2005.

[2]- الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، **معرفة علوم الحديث**، ص:14. تح: أحمد بن فارس السلوم. دار ابن حزم، بيروت. ط1. 2003.

فمن الواضح هنا أن التشدد كان في عهد النبي (ﷺ) ثم استمر التثبت من سماع الحديث من راويه بعد وفاته (ﷺ) كذلك؛ فأبو بكر الصديق رضي الله عنه طلب من المغيرة بن شعبة في حديث أن للجدة السدس شاهداً، فأتى بمحمّد بن مسلمة([1])، ولذلك قال الذهبي في ترجمته: "وكان أول من احتاط قبول الأخبار"([2]).

وكان عمر بن الخطاب أيضا يطلب البينة على ذلك، روى ابن حبان بسنده: "أن أبا موسى استأذن على عمر ثلاث مرات فلم يؤذن له، فرجع فبلغ ذلك عمر، فقال: ما ردك؟ فقال: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إذا استأذن أحدكم ثلاث مرات فلم يؤذن له فليرجع([3]). فقال: لتجيئني على هذا ببينة وإلا – قال ابن حماد توعده- قال: فانصرف فدخل المسجد، فأتى مجلس الأنصار، فقص عليهم القصة، فقالوا له: لا يقوم معك إلا أصغرنا، فقام أبو سعيد فشهد، فقال له عمر: إنا لا نتهمك، ولكن الحديث عن رسول الله (ﷺ) شديد"([4]). ولذلك قال الذهبي في ترجمته: "وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب"([5]). وكذلك فعل جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس والتابعين([6]).

لقد نهج الصحابة وغيرهم الطرق التي تكفل لهم التحقق من صحة نسبة الحديث إلى رسول الله (ﷺ)، وليس هذا اتهاما من الصحابة لبعضهم كما يظن، وإنما هو رسم منهج لمن بعدهم، ليسيروا على ذلك النهج في تحري صحة الحديث إلى أن يطمئنوا إليه. فالحق أحق أن يتبع ولو كان الخطأ من صحابي.

إن هؤلاء الصحابة – أبا بكر وعمر علياً وغيرهم- قد وضعوا بذلك حجر الأساس في علم الإسناد، وأعطوا الإشارة لمن بعدهم من الصحابة والتابعين وأتباعهم، بأن يعملوا على التوثيق من الرواية والتثبت من أدائها كما جاءت ابتداء بالإسناد.

ويذكر علماء الحديث أن الإسناد مر بمراحل وكان في مجملها وليد الحاجة إليه من أجل التحقق من الحديث، يقول عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء "([7]). ويشير الشيخ اطفيش([8]) إلى السند وأهميته فيقول: " ولأن تأخذ مسألة عن فلان عن فلان عنه ﷺ خير من أن تأخذها

[1]– أخرجه الترمذي أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة(ت279هـ)، **الجامع الصحيح**، تح أحمد محمّد شاكر. كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الجدة. وأخرجه ابن ماجة ومالك.

[2]– الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمّد (ت748هـ)، دار الكتب العلمية، **تذكرة الحفاظ**، 2/1.

[3]– أخرجه البخاري أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل (ت256هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثا. وأخرجه مسلم.

[4]– ابن حبان، **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، 37/1. تح:حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 2000

[5]– الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 6/1.

[6]– ينظر: الحاكم، **معرفة علوم الحديث**، ص:15.

[7]– الحاكم، **معرفة علوم الحديث**، ص:6.

[8]– هو الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش (ت 1914م). عالم من علماء الجزائر. ولد بغرداية. له مؤلفات كثيرة من بينها: تيسير التفسير، وهميان الزاد، في التفسير. وكتاب شرح النيل وشفاء العليل في الفقه المقارن.

بدون ذلك "([1]). بل ويذكر إحدى الشخصيات المغمورة التي تأثر بها، وظفر منها برواية فيقول: (كذا وجدت الحديث يرويه أبو أم أبي، واسمه "يوسف بن محمّد، ويلقب بالطرابلسي" رحمه الله).([2])

وقد كان المحدث أحيانا – ربما في المراحل الأولى من مراحل ظهور الإسناد- يسند وأحيانا لا يسند، فإن سئل أسند، وإلا فإن عدالته وثقته تكفي السامع. ومما يؤكد ذلك ما رواه ابن سعد بسنده عن حماد بن سلمة قال: "كنا نأتي قتادة فيقول: بلغنا عن النبي (ﷺ) وبلغنا عن عمر، وبلغنا عن علي، ولا يكاد يسند، فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصرة، جعل يقول حدثنا إبراهيم وفلان وفلان، فبلغ قتادة ذلك، فجعل يقول: سألت مطرفا وسألت سعيد بن المسيب، وحدثنا أنس بن مالك فأخبر بالإسناد"([3]).

المبحث الثاني: العناصر الأساسية للحكم على الحديث وارتباطها بالعقل

يمكننا التعرف على هذه العناصر من خلال تعريف الحديث الصحيح، وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من مبدأ السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة ([4]).

ويشتمل هذا التعريف على نقاط أساسية لقبول الحديث، وهي: الاتصال، العدالة، الضبط، عدم الشذوذ، عدم العلة. وسنبين هنا مدى ارتباط عناصر هذا التعريف بالعقل.

الاتصال: فالاتصال أمر يخص السند بحيث يحكم على كل رجل من رجاله بأنه سمع من الآخر، أو تحمل الحديث بطريقة من طرق التحمل المقبولة عند علماء الحديث.

ومعرفة ذلك تتم بواسطة كتب الرجال ومعرفة التاريخ ولقاء المشائخ ورحلاتهم وكتب العلل، وهو أمر متيسر للباحث.

العدالة: والعدالة: تخص السند كذلك، إذ هي عبارة عن معرفة حال رجال الإسناد ومدى توافر هذه الصفة التي تحمل صاحبها على التقوى واجتناب الأدناس وما يخل بالمروءة عند الناس.

والتعرف على ذلك أيضا أمر ممكن من خلال كتب الجرح والتعديل وكتب الرجال، وكتب العلل، ومن هنا نشأ علم الجرح والتعديل وألفاظه ومصطلحاته وما يتعلق به.

الضبط: والضبط صفة من صفات ناقل الحديث وراويه، وهو من قضايا السند، ومن هنا كان العلماء يهتمون بمقارنة الروايات وامتحان الرواة، وتصنيفهم إلى مراتب بحسب تمكن هذه الصفة منهم؛ فكان منهم الحفاظ المتقنون، وكان منهم من يحفظ ويخطئ، ومنهم من يهم، ومنهم من فحش غلطه،...

---

[1]- اطفيش، **جوابات القطب**، ق1، جمع وترتيب فريق بحث مؤسسة عمي سعيد، غرداية. مراسلة رقم 111 إلى عيسى بن صالح الحارثي وعبد الله بن حميد السالمي. ص330.

[2]- اطفيش امحمّد بن يوسف (ت1914م)، **شرح النيل وشفاء العليل**، 333/2. مكتبة الإرشاد، جدة. ودار الفتح، بيروت. ودار التراث العربي، ليبيا.

[3]- ابن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ)، **الطبقات الكبرى**، 231/7. تح: علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001م.

[4]- ابن الصلاح، **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، ص:11-12. تح: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2001.

الشذوذ: وهو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، فربما يكون له علاقة بالسند وقد يكون له علاقة بالمتن.

العلة: وأما العلة فهي خلل يقدح في الخبر الذي ظاهره السلامة أطلع عليه بعد التفتيش، وقد قسمها علماء الحديث إلى قسمين: علة في السند، وعلة في المتن. وعلة المتن باب واسع جداً لنقد الحديث، وقد وضع له العلماء ضوابط وموازين دقيقة بواسطتها يمكن الكشف عن حقيقة الحديث.

ومن خلال هذا العرض الموجز يتضح لنا أن بعض هذه العناصر قد انصبت على نقد السند وهي الأولى والثانية والثالثة (الاتصال والعدالة والضبط)، وبعضها قد اهتم بنقد المتن – وإن كان لنقد السند أيضا فيها نصيب- وهي الرابعة والخامسة (عدم الشذوذ وعدم العلة).

ثم إن تلك العناصر الثلاث التي اختصت بالسند لا يمكن استخدامها أو تطبيقها إلا من خلال توظيف العقل؛ بعبارة أخرى أن نقد السند لا يتم بمعزل عن العقل، ولكن يتم من خلال تطبيق قواعد منضبطة تطبق على سند الحديث.

المبحث الثالث: دور العقل في نقد الحديث

يتضح مما سبق أن دور العقل في نقد الحديث يبرز من خلال أمرين رئيسيين:

الأمر الأول: توظيف العقل في تطبيق العناصر الثلاث الأولى (العدالة، الاتصال، الضبط) على الحديث، ثم بيان مدى العلاقة بين الحديث وبين تلك العناصر الثلاث، وهو لون من ألوان استعمال العقل وتحكيمه؛ ومما يؤكد ذلك أن بيان هذه العلاقة والكشف عنها والتثبت من وجودها وعدمه لا يتأتى لكل واحد، فلا يصل إلى هذه الرتبة إلا من بلغ مرتبة عليا في الحديث وعلومه، ورزق صبرا في البحث والتنقيب والمقارنة والاستنتاج.

الأمر الثاني: شرطان لهما علاقة وطيدة بالمتن، وهما الشذوذ والعلة.

أما الشذوذ: وهو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، ويسمى الحديث المرجَّح "محفوظاً"، ويحكم على الآخر بالشذوذ، مع ملاحظة أن السند الموصل إلى ذلك المتن قد يكون مقبولا عند محدث وذلك إذا اكتفى بالظاهر.

وأما دور العقل في هذا الشرط (الشذوذ) فيتبين من خلال الأمور التالية:

1- معرفة تعارض الحديثين في المعنى وهو أمر يحتاج إلى معرفة المعنى وإمعان العقل والنظر فيه بحيث يتبين إمكانية التوفيق أو عدم ذلك.

2- محاولة تأويل بعض هذه الأحاديث لتنسجم مع بعضها بعضاً، ومن هنا نشأ علم هام من علوم الحديث وهو علم "مختلِف الحديث".

3- النظر في مدى توافر شروط العدالة والضبط في الرواة ثم ترجيح أحدهما على الآخر بحيث يحكم لحديث بأنه محفوظ، في حين يحكم للحديث الآخر بالشذوذ. وهذه العملية لا تحتاج إلى إعمال العقل فقط بل تحتاج إلى إجهاده، وتقليبه في كثير من قضايا المنطق والعقل حتى يستقيم الأمر.

العلة: أما العلة، وخاصة علة المتن، فمجالها واسع جدا، وقد قسم المحدثون علة المتن إلى أنواع كثيرة. يقول الدكتور همام سعيد في كتابه شرح علل الترمذي: يمكننا أن نرجع علل المتون إلى الأنواع التالية:

الأول: ما كانت علته إحالة المعنى كلياً أو جزئياً.

الثاني: ما كانت علته تحريفا في لفظ من ألفاظه.

الثالث: ما كانت علته مخالفة الراوي الذي رواه لمقتضاه.

الرابع: ما كانت علته إدراج كلام آخر فيه ليس منه.

الخامس: ما كانت علته أنه لا يشبه كلام النبوة.

وقد وضع علماء الحديث ضوابط ووسائل أخرى متعددة يمكن من خلالها الكشف عن الحديث وتمييزه عما ليس بحديث، وذلك من خلال استعمال العقل وتحكيمه في الحديث، ومن هذه الوسائل:

1- أن يكون الحديث مخالفاً لدلالة القرآن القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي مع عدم إمكانية الجمع.

2- ركاكة الحديث المروي لأن رسول الله (ﷺ) أوتي جوامع الكلِم، فحديثه غاية في البلاغة والفصاحة.

3- مخالفة العقل بحيث لا يقبل التأويل كالجمع بين الضدين وغير ذلك.

4- الوعيد الشديد على أمر هين أو الأجر العظيم على عمل قليل.

فهذه الوسائل وتلك الأنواع، وغيرها مما لم نذكره اختصارا، قد شملت جميع وجوه النظر العقلي في الحديث، بحيث جعلت أمام الباحث ميدانا واسعا يصول فيه ويجول لنقد الحديث من هذه الزاوية، بل نرى أن علماء الحديث قد ذهبوا إلى وجوب هذا المنهج النقدي.

وروى الخطيب بسنده عن الأوزاعي: "كنا نسمع الحديث ونعرضه على أصحابنا كما نعرض الزائف، فما عرفوا أخذناه، وما أنكروا منه تركناه"([1]).

فلا يتأتّى لكلّ أحد أن ينقد الأخبار إلا عن دراية وخبرة ومرتبة عالية في هذا المجال. فكما أنّ الصائغ يكتشف الزائف من الذهب، فكذلك العالم بالحديث تتكون لديه ملكة علمية يستطيع من خلالها معرفة ذلك.

وهذا بخلاف ما نراه اليوم، فقد فتح الباب على مصراعيه ليلج منه من دب ودرج ليخوض في هذا الميدان، وهو ليس ميدانه ولا اختصاصه، فيقع في متاهات لا أول لها ولا آخر؛ فيرد من الحديث لأنه لا يوافق هواه أو اجتهاده العقلي، أو يصحح الحديث بناء على رواة السند الواحد من خلال ما قاله علماء الجرح والتعديل في كتاب واحد، متسرعا دون روية، وقد يوصل هذا بالبعض إلى إلغاء الحديث. وكل هذا سببه الجهل بقواعد علم الحديث.

المبحث الرابع: أنموذج نقد الحديث بواسطة العقل فقط

ظهرت بدايات هذا المنهج النقدي في العصر الحديث من خلال كتابات بعض المستشرقين، ثم تبعهم البعض في بلاد المسلمين كأمثال محمود أبو رية، ثم رأينا في أيامنا هذه من يحاول أن يردد تلك الشبه، بهدف التشكيك في حديث رسول الله (ﷺ) أو بدافع الحرص على تنقية السنة والذود عنها. وسأعرض أنموذجا لهذا المنهج النقدي تاركا القارئ الحكم على هذا الأمر.

<u>الأنموذج الأول</u>: ويتمثل في اعتبار حديث: "توفي رسول الله (ﷺ) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير" من الأكاذيب المدسوسة على الأحاديث النبوية، وذلك لعدة أسباب اختصرها فيما يلي:

---

[1]- البغدادي الخطيب (ت463هـ)، **الكفاية في معرفة أصول علم الرواية**، ص:605. تح: إبراهيم بن مصطفى الدمياطي، دار الهدى، القاهرة، ط1، 2003.

1- لا يعقل أن يقدم الجندي سلاحه لعدوه، يرهنه عنده، مهما كان السبب فكيف بالقائد؟ بل كيف بالنبي(ﷺ)؟

2- ليس من المعقول أن ينتهي الأمر بالنبي (ﷺ) في آخر أيامه بحيث لا يجد قوته، بعدما أصاب المسلمون الثراء العريض والمال الوفير.

3- لا يعقل أن يصيب الفقر الرسول (ﷺ) في هذا الوقت لأنه له خمس الغنائم، والله تعالى أمره بعدم بسط اليد، وعدم الإسراف في النفقة.

4- لا يعقل أن تصل الحاجة برسول الله (ﷺ) إلى هذا الحد دون أن يقدم له أصحابه المال والطعام، من أمثال عثمان وأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أغنياء الصحابة.

وكما نلاحظ، فهذا المنهج النقدي يعتمد على المعقول، والمعقول يتفاوت بتفاوت العقول، فالذي يراه بعض الناس معقولا قد يراه آخرون غير معقول، ومن هنا كان اختلاف العلماء في كثير من الأمور الاجتهادية التي تبنى على الدليل العقلي. لذا فإنه من المناسب أن أبين وجهة نظر أخرى:

أولاً: الحديث حكم عليه عدد من العلماء بالصحة، حيث روي بعدة طرق عن عدة من الصحابة منهم: عائشة، وعبد الله بن عباس وأسماء بنت يزيد وأنس بن مالك.

فحديث عائشة من طريق الأسود بن يزيد عنها بلفظ: توفي رسول الله (ﷺ) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير. ([1]).

وأما حديث ابن عباس فمن طريق عكرمة عنه: قال: توفي رسول الله (ﷺ) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير لأهله. ([2]).

وأما حديث أسماء بنت يزيد، فمن طريق شهر بن حوشب عنها: أن رسول الله (ﷺ) توفي يوم توفي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود بِوَسْقٍ من شعير.([3]).

وأما حديث أنس رضي الله عنه فمن طريق قتادة عنه أخرجه البخاري والترمذي وغيرهما. ولفظ الترمذي: مشيت إلى النبي (ﷺ) بخبز شعير وإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، ولقد رهن له درع عند يهودي بعشرين صاعا من طعام، أخذه لأهله، ولقد سمعته ذات يوم يقول: ما أمسى في آل محمّد صاع تمر، ولا صاع حب، وإن عنده يومئذ لتسع نسوة.([4]). وأخرجه أحمد لكن عن طريق الأعمش عن أنس بلفظ: كانت درع رسول الله (ﷺ) مرهونة، ما وجد ما يفكها حتى مات.

---

[1]– أخرجه البخاري وغيره.

[2]– أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح.

[3]– أخرجه الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت360هـ)، **المعجم الكبير** برقم: 444. تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1998م. وأخرجه أحمد وغيرهما. وشهر بن حوشب تكلم فيه عبد الله بن أحمد بن عدي الجرجاني (ت 365هـ)، **الكامل في ضعفاء الرجال**، 39/4، دار الفكر، بيروت، ط3، 1988.

[4]– رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

والأعمش مدلس وقد رواه بالعنعنة، وهو لم يسمع من أنس. يقول الشيخ اطفيش عنه: (... وكان الأعمش إماما في العلم.... ويعرف بالكوفي ويقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس ابن مالك وكلمه ولكن لم يرزق السماع منه وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه من أصحاب أنس) ([1]). وقد يكون الشيخ اطفيش قد أخذ هذا الحكم عن ابن المديني كما في المراسيل لابن أبي حاتم: والأعمش لم يسمع من أنس بن مالك إنما رآه بمكة يصلي خلف المقام، فأما طرق الأعمش عن أنس فإنما يرويها عن يزيد الرقاشي عن أنس.([2]) اهـ

ثانياً: هناك حكم كثيرة وفوائد جمة يذكرها الشيخ اطفيش نقلا عن بعض العلماء([3]) من هذا الفعل للنبي (ﷺ)، من أهمها:

- ففي هذا الخبر دلالة على جواز الرهن فى البيع. وفيه دلالة أن للمسلم أن يشتري من كل بائع: من مسلم، أو كافر، إذا كان البيع صحيحا.

- وفيه دلالة على غلط من ترك تجويز بيع من كان في يده، مال حلال أو حرام، لأنه إذا جاز الشراء من المشركين، كان من المسلمين أجوز.

- وفيه دلالة، على جواز الحلف بالله، لمن حلف صادقاً.

- وفيه دلالة، أن للمرء أن يرفع نفسه إلى حيث يستحق المدح والوصف، إذا احتاج لذلك.

- وفيه دلالة على ما أمر به الإسلام من الزهد والتقلل من الدنيا، وكان (ﷺ) المثل الأعلى في هذا.

- وفيه دلالة، على جواز حبس الطعام أكثر من قوت يوم، لأن ثلاثين صاعاً. اقتاتها الرسول (ﷺ) وعياله ثلاثين يوماً.

- وفي دلالة على أن الرهن جائز أخذه، عند البيع، فى الحضر والسفر، لقول الله تعالى: "وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة". وجوازه في الحضر ودون شهود، بالرواية التي تقدم ذكرها، لأن النبي (ﷺ) رهن درعه وهو بالمدينة.

أما في الرد على الشبه المطروحة حول الحديث، فيذكر أحد العلماء([4]) ما يلي:

- الحكمة في عدول النبي (ﷺ) عن معاملة الصحابة إلى معاملة اليهود، لأنه يمكن عندهم طعام إذ ذاك، فاضل عن حاجتهم، أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمنا أو عوضا.

---

[1]– اطفيش امحمّد بن يوسف، مخطوط أ و 5 **حاشية القناطر** من الأول إلى قنطرة العلم ص: 362 ظ. نسخة منه في مكتبة جمعية أبي اسحاق للمحافظة على التراث، غرداية.

[2]– ابن أبي حاتم الرازي أبو محمّد بن عبد الرحمن(ت327هـ)، **كتاب المراسيل**، ص:82. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م.

[3]– ينظر اطفيش، **شرح النيل**، الكتاب الثالث عشر، في الرهن حيث ذكر الحكم المستنبطة من هذا الحديث نقلا عن ابن السبكي وغيره.

[4]– هو أستاذنا الدكتور أمين القضاة، أستاذ بالجامعة الأردنية في مقالة بعنوان: نقد الحديث بين سند النقل وحكم العقل. نشر في مجلة دراسات، المجلد السادس عشر، 1989، العدد العاشر، ص 249.

- إن التساؤل عن أموال الرسول (ﷺ) وأين أنفقها يدل على عدم معرفة سيرته (ﷺ)، حيث كان ينفق كل ماله في سبيل الله وليس على نفسه حتى يوصف ببسط اليد، أضف إلى ذلك أن الرجل الموسر قد تمر عليه أحوال لا يحضره فيها مال، وله من المال الكثير فيحتاج إلى أن يقترض وإلى أن يرهن....

أما قولهم: هل يعقل أن يقدم الجندي سلاحه لعدوه يرهنه عنده. فينبغي أن يعلم أن النبي (ﷺ) كان عنده عدة أدرع وليس درعا واحدة فقط، فقد كان في بعض مواقف الخطر والشدة يلبس أكثر من درع ([1]).

المبحث الخامس: المنهج النقدي عند علماء الحديث

إن الباحث الذي يتعرف على طريقة علماء الحديث ومنهجهم في الحكم على الحديث صحة أو ضعفا، يلاحظ أنهم قد حكَّموا موازين منضبطة، أشبه بالطريقة الرياضية، بشرط أن تطبق تطبيقا سليما ودقيقا، لكي تكون النتيجة كذلك.

ولتوضيح هذا الأمر نفترض أننا نريد أن نحكم على حديث روي لنا بسبعة رواة في السند، فهو يحتاج إلى أن يقوم المتمرس في الحديث وعلومه بعدد كبير من العمليات المتعلقة بالحديث ورجاله على النحو التالي حتى يصل إلى نتيجة سليمة ودقيقة:

1-إثبات عدالة الراوي:

لابد من توفر أربعة شروط في كل راو حتى يوصف بالعدالة، وهي أن يكون مسلما بالغا عاقلا، سليما من أسباب الفسق وخوارم المروءة. فيكون مجموع العمليات التي لابد من القيام بها لإثبات عدالة جميع رواة ذلك الحديث: 4x7=28 عملية على الأقل.

2-إثبات ضبط الراوي:

والضبط نوعان، ضبط صدر وضبط كتاب، ثم لإثبات الضبط لابد من مقارنة روايات كل راو بروايات الثقات الأثبات من رواة الحديث المشهورين، وأيضا لابد من التأكد من كونه غير مختلط، فهذه أربع عمليات لا غنى عنها لإثبات ضبط كل راو فيكون المجموع: 4x7=28 عملية على الأقل.

3- إثبات اتصال السند:

وذلك من خلال معرفة وفاة الراوي، ولقاءاته ورحلاته ومشائخه وتلاميذه، فهذه أيضا أربع عمليات لا بد من القيام بها في كل علاقة اتصال بين راويين، وبما أن عدد علاقات الاتصال ست، فيكون مجموع العمليات في هذه الحالة: 4x6=24 عملية على الأقل.

4- يحتاج الناقد إلى القيام بعمليات أخرى منها ما يلي:

- البحث في روايات الحديث الأخرى، وذلك من أجل إثبات عدم شذوذ الحديث.
- التأكد من عدم وجود علة في المتن، وغالبا ما يكون مجالها العقل.
- التأكد من عدم وجود علة في السند.

مجموع العمليات التي قام بها ناقد الحديث هي:

28+28+24+3=+83 عملية، وكل عملية قد تحتاج إلى عمليات فرعية أخرى.

[1]– أخرجه الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الدرع.

فلو كانت نتيجة هذه العمليات إيجابية في سبعين منها، وسلبية في واحدة لما استطاع العالم بالحديث أن يحكم على الحديث بالصحة، بل يكون برتبة أدنى من ذلك، وهذا يبين لنا مدى دقة منهج علماء الحديث.

نتائج البحث

1- لقد اهتم علماء الحديث بنقد الحديث من حيث السند ومن حيث المتن، وليس كما يتوهم أن اهتمامهم كان ينصب على نقد السند فحسب، فقد كان للعقل في منهجهم دور بارز.

2- الاعتماد على السند وحده لا يكفي، بل لابد من الاعتماد على السند والمتن معاً، فهما خطان متوازيان لا يغني وجود أحدهما عن الآخر، مع إعمال العقل وذلك من خلال توظيفه في مدى دقة تطبيق شروط الحديث الصحيح.

3- الحكم على الحديث من خلال ما يمليه العقل فقط دون اعتبار لمنهج علماء الحديث أمر غير منضبط، وذلك لتفاوت مدارك الناس ونظرتهم إلى كثير من القضايا المتعلقة بالشريعة والحياة.

قائمة المصادر والمراجع:

- البخاري أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل (ت256هـ)، **الجامع الصحيح**، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ
- البغدادي الخطيب (ت463هـ)، **الكفاية في معرفة أصول علم الرواية**. تح: إبراهيم بن مصطفى الدمياطي، دار الهدى، القاهرة، ط1، 2003.
- ابن أبي حاتم الرازي أبو محمّد بن عبد الرحمن(ت327هـ)، **كتاب المراسيل**. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م.
- ابن حبان، **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**. تح: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 2000م.
- ابن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ)، **الطبقات الكبرى**. تح: علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001م.
- ابن الصلاح، **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**. تح: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2001.
- الترمذي أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة(ت279هـ)، **سنن الترمذي**. تح أحمد محمّد شاكر.
- الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، **معرفة علوم الحديث**. تح: أحمد بن فارس السلوم. دار ابن حزم، بيروت. ط1. 2003.
- الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمّد (ت748هـ)، **تذكرة الحفاظ**. دار الكتب العلمية.
- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ)، **المعجم الكبير**. تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1998م.
- اطفيش امحمّد بن يوسف (ت1914م):

***جوابات القطب**، ق1، جمع وترتيب فريق بحث مؤسسة عمي سعيد، غرداية.
***شرح النيل وشفاء العليل**. مكتبة الإرشاد، جدة. ودار الفتح، بيروت. ودار التراث العربي، ليبيا. ط2.
*مخطوط أ و5 **حاشية القناطر**. نسخة منه في مكتبة جمعية أبي اسحاق للمحافظة على التراث، غرداية.
- عبد الله بن أحمد بن عدي الجرجاني (ت 365هـ)، **الكامل في ضعفاء الرجال**، دار الفكر، بيروت، ط3، 1988.
- الفيروز آبادي (ت817هـ)، **القاموس المحيط.** تح: مؤسسة الرسالة، بيروت. إشراف: محمّد نعيم العرقسوسي. ط8. 2005.

بنية النص الشعري العربي المعاصر وتحولاته

د. حنان بومالي
المركز الجامعي لميلة. الجزائر.

الملخص:
ينطوي النص الشعري العربي المعاصر في تشكيله على مضمون شكلي وشكل مضموني غاية في التداخل والتفاعل والانعكاس، وتتبع حركته الداخلية المشحونة بالقلق والانفعال والتوتر يستدعي الوقوف عند الحال الشعرية في أنموذج نظامها وسياق تركيبها على مستوياتها المختلفة، بحيث تتألف العناصر التركيبية في النص الشعري المعاصر تآلفا يشحنه التجديد والتجريب في إطار وحدة متناغمة تنغمس فيها اللغة والصورة والإيقاع، ولعل هذه المقاربة أن تكشف بنية النص الشعري العربي المعاصرة لغة وصورة وإيقاعا وتحولات هذه البنية.

Abstract:
Contemporary Arabic poetic text carries in a substance highly configurable and substantively overlap and interaction, reflection and internal movement tracking the shipment and the emotion and tension calls stand when the case in poetic form and context system installed on different levels, consisting of synthetic elements in the contemporary poetic text corrupted ship him renewal and experimentation within a harmonious unit in which language and image indulge rhythm, perhaps this approach to uncover the structure of poetic text of contemporary Arab language and rhythm shifts this structure.

مقدمة:
يعد الشعر العربي المعاصر انعطافة شعرية لم يعرف الشعر العربي مثيلا لها في مسيرته من قبل، ذلك أنه لم يتغير على مستوى المضمون فحسب بل على مستوى الشكل أيضا، وهذا ما لم يستطع الشعر العربي في مراحله السابقة تحقيقه وإن مهد له، وهذه الثورة الشاملة في الشكل والمضمون معا جعلت بنية النص الشعري العربي تتغير في جميع مستوياتها، كما حققت تغييرا جذريا في طبيعة هذا الشعر وبناه ومضامينه بعد أن دمرت الحدود الفاصلة بين هذه الأمور جميعا.

والحقيقة أن حركة الشعر المعاصر أعلنت منذ البدء رفضها المطلق محاولة الفصل بين الشكل والمضمون وأكثر من ذلك فقد دعا أحد روادها إلى تجاوز الأنواع الأدبية في إطار ما يسمى الكتابة الأدبية، وهذا التجاوز أحدث نوعا من التداخل والتمازج بين اللغة الشعرية واللغة النثرية، وكذا حضور المكونات القصصية والسردية في النص الشعري، إضافة إلى استغلال جميع أنواع الإيقاع الشعري وغير الشعري.

أولا- بنية اللغة الشعرية.
يعدّ الشعر تجربة وجدانية عميقة، تتصل باللغة بوشائج متينة، وترتبط عضويا بأعمق مكوناتها، فاللغة «وسيلة تفاهم بين الناس، بها يتم التعبير عن خوالج النفس ودقائق الفكر، ولها صلة بالمجتمع، فهي شأن

عام، والإنسان لا يمكن أن يفكر من دون لغة ينقل بها إلى المتلقي أفكاره فتؤثر فيه، وبذلك تتم عملية الفهم والإدراك وقضاء الحاجات، وبذا تكون وسيلة اتصال وطريقة تفكير»[1].

واللغة في الشعر لها نظامها وخصوصيتها، حيث تتميز بألفاظها وصورها، فهي في الشعر تستعمل استعمالا مزدوجا بوصفها وسيلة وغاية في وقت واحد، أي أنها تصبح عند الشاعر غايته التي يروم نقلها في الجمل والكلمات، وبذلك يرتفع بلغته من عموميتها ويتحول بها إلى صوت شخصي ينظمها على وفق رؤيته وموهبته،[2] لأن اللغة عند الشاعر تحكمها قوانين منها: الموهبة، والبيئة، والثقافة، وهي تختلف من شاعر لآخر حسب وسائله التعبيرية وقدرته اللغوية.

ولم تكن اللغة الشعرية تنمو وتتطور في اتجاه واحد في النص الشعري المعاصر، بل كانت عملية نموها ترسم في اتجاهات مختلفة، يتعلق بعضها بنمو لغة كل شاعر بمفرده، ويرتبط بعضها الآخر بالروابط الوراثية التي تربط بين شعراء كل إقليم، أو بالروابط الثقافية الأجنبية التي تميز كل زمرة من هؤلاء الشعراء عن غيرها.

يضاف إلى هذا التباين الواضح بين التجارب لهؤلاء الشعراء الأمر الذي جعل عملية نمو اللغة وتطورها لا تنتهي بالدارس إلى استخلاص خاصة أساسية واحدة تميز لغة الشعر الحديث والمعاصر، بل تفترض وجود أكثر من خاصة مفردة مهما بلغت هذه الخاصية المفردة من الأهمية.[3]

والمتأمل في بنية اللغة الشعرية للنص الشعري المعاصر يسجل ملاحظة مهمة؛ وهي أن رواد الشعر المعاصر حاولوا التجديد في الشعر من خلال تجديد لغته كما أرادوا أن يجددوا لغته ويغنوها من خلال احتكاكهم بالحياة الجديدة، ولقد وجدوا أن اللغة التقليدية جامدة وعاجزة عن مواكبة حركة الحياة، فثاروا عليها، كما وجدوا أن القاموس الشعري قد أصبح مجرد ألفاظ ميتة تحمل معاني محددة مكررة لا تمت إلى حياتهم بصلة.

ومن ثم كان لابد من تجديد اللغة على ضوء تجربة جديدة وفهم جديد للحياة، لقد أيقنوا أن كل تجربة لها لغتها، وأن التجربة الجديدة ليست إلا لغة جديدة أو منهجا جديدا في التعامل مع اللغة،[4]فلم يعد الشعراء المعاصرون يتجاوزون المفردات في استعمالات مخصوصة، وخارج العلاقات المرسومة حتى أصبح الشعر مجرد صناعة وكلمات تستعمل في هذا الغرض أو ذاك.

ولأن الشاعر المعاصر يحس دائما أن ثمة أشياء تند عن التجديد والوضوح، فإن اللغة العادية بمحدوديتها وتناهيها عاجزة عن استيعاب التجربة الشعرية والتعبير عنها، ومن هنا كان سعيه الدائب وراء اكتشاف لغة أخرى تتسع للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره اللامحدودة التي يحسها ويشعر بعجز اللغة العادية عن استيعابها، أو بتعبير آخر كانت محاولته المتصلة في سبيل إبداع لغة داخل اللغة.

لقد كان إحساس الشعراء المعاصرين بهذه المشكلة عميقا وحادا، ومن ثم كان سعيهم وراء اكتشاف اللغة الجديدة، أو تزويد اللغة العادية بطاقات إيحاء جديدة تعيد لها قدراتها الأسطورية الأولى، بنفس القدر من العمق والحدة.[5] وإذا كانت اللغة الشعرية هي الوعاء العام لكل الأساليب والأدوات الأخرى، فإن ثمة مجموعة من الإمكانات اللغوية التي وظفها الشاعر المعاصر والتي أسهمت في تحول بنية النص الشعري العربي المعاصر وبخاصة ما يأتي:

1- الثورة على اللغة التقليدية:

لقد انتهى عهد الكلمة الغاية عند الشعراء المعاصرين، وانتهى معه «عهد تكون فيه القصيدة كيمياء لفظية، أصبحت القصيدة كيمياء شعورية... والشعور هنا حالة كيانية يتوحد فيها الانفعال والفكر، والقصيدة إذن تركيب جديد ينعرض فيه من زاوية القصيدة وبوساطة اللغة، وضع الإنسان»[6]، وهذا ما يفسر ثورة هؤلاء الرواد على اللغة التقليدية، والبحث عن لغة جديدة من خلال إغناء اللغة الشعرية.

ينضاف إلى هذه الثورة ثورة أخرى على فكرة القاموس الشعري الذي قرر كلمات شعرية وأبعد كلمات بدعوى عدم شعريتها، فالشعر ليس له موضوع محدد يخوض فيه، وليس له ألفاظ محددة لا يتجاوزها، إنه «يأخذ من كل المعارف والعلوم ويخوض في كل قضايا الحياة والوجود، ومن ثم يستطيع أن يستعين بمختلف الألفاظ التي يراها مناسبة لموضوعه ويتطلبها سياقه الشعري.»[7] وهذا يعني أن «لغة الشعر ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة خلق.»[8]

ومن أهم مؤخذات الشعراء المعاصرين على لغة الشعر القديم انحسارها في التقاليد الشكلية والزخرف الخارجي، مقابل إهمالها للجانب الفكري، وفي هذا يقول أدونيس: «لغتنا السائدة هي لغة أوضاعنا السائدة، وهذه أوضاع متخلفة على جميع المستويات، لهذا كانت لغتنا متخلفة على جميع المستويات، إنها لغة بدائية صنعية زخرفية.»[9]

وبهذا تغيرت نظرة الشاعر المعاصر إلى اللغة الشعرية، والتي كانت تعد في النظرة القديمة وعاء خارجيا يحتوي على الفكر والتجربة، فأصبحت عند الشاعر المعاصر ورؤيته الجديدة جزءا من التجربة بما تحمل من خصائص فنية وجمالية،[10] بمعنى آخر لقد «تحول الشكل اللغوي من كونه الوعاء الذي يضم الزخرف البياني أو التزيين المجازي ليصبح في تشكيله الجديد جوهر اللغة الحدسية، ووسيلة لإيصال مشاعر غائصة في مضمر التجربة الفنية.»[11]

لقد ثار الشعراء المعاصرون على اللغة التقليدية، لأنهم لم يحسوا بالكلمة على أنها مجرد لفظ صوتي له دلالة أو معنى، وإنما صارت الكلمات تجسيدا حيا للوجود، ولم تعد اللغة في النص الشعري المعاصر «وسيلة ترجمة للوجود أو للتجربة، ولم يعد الشعر كما كان التصور من قبل ترجمانا للمشاعر والأفكار، وإنما صار الشعر بالنسبة للشاعر ولنا هو الوجود، وهو التجربة، وهو الحياة.»[12]

ويصبح الفرق الأساسي بين اللغتين القديمة والحديثة هو أن المعنى في اللغة القديمة موجود مسبقا، والكاتب يصوغه بشكل جديد، لكن المعنى في اللغة الحديثة ينشأ في الكتابة وبعدها، «فالمعنى فيها بعدي لا قبلي»[13] والكلمة الشعرية ليست مجرد صوت له دلالة، وإنما هي وجود وحضور وكيان وجسد، وهذا التلاحم بين لغة الشعر والوجود هو الذي يستنفذ جهد الشاعر المعاصر، ويشكل القدر الأكبر من معاناته للغة.[14]

2- ظاهرة اللغة اليومية:

أثار رواد الشعر المعاصر العلاقة بين لغة الحياة والشعر متأثرين بنظريات جاءتهم من الغرب والشرق، ولقد كانت دعوة إليوت إلى الاقتراب بالشعر من الواقعية اللغوية أو لهجة الحديث العادي من أهم الأسس التي أخذ بها شعراؤنا في فن التوقيع –يقصد شعر التفعيلة-، وفي الوقت نفسه كانت دعوة الواقعية الاشتراكية تهب بقوة على الأدب العربي، وكان أثرها في الشعر العربي مشابها لأثر إليوت في اعتماد لغة الحديث اليومية.

إن كل مرحلة من مراحل التجديد تثار فيها علاقة اللغة بالحياة أو العصر أو قربها من الواقع، على أن قربها من الحياة لا يعني أنها تكون مثل لغة الناس، ولكن بمعنى أنها تحمل نبض الحياة الجديدة، فهي قريبة من روح العصر وروح الناس، وليست لغة الناس في الوقت نفسه، وهو ما يقيم علاقة تواصل بين الشاعر والمتلقي.[15]

إن الشعر لا يقلد لغة الناس وأصواتهم لأنها لغة نثرية، ولكنه يقترب من روح العصر ونبض القلوب وحركة الواقع ليعيد خلق ذلك فنيا، و«الشعر ليس كلاما عاديا أو حديثا يوميا، بل يرفع لغة الكلام إلى الشعر، فهو يستفيد من النبرات والأنغام في لغة الحياة ويقوم بتهذيبها والسمو بها إلى لغة الشعر، ولغة الشعر تأخذ من لغة النثر العادي وأسلوب الحديث اليومي، وإن كانت تزيدها تنظيما وتركيزا وإجادة وإرهاقا.»[16]

وانفتح المجال أمام شعرائنا للتجريب اللغوي بعيدا عن المقياس النوعي التقليدي الذي كان يقيس اللغة بفخامتها وجدتها، واكتسب النص المعاصر بذلك ثراء لغويا، لقد أفاد الشعراء من التجربة الغربية في استثمار كلمات العامة نحو: التايبيست، وعلب الصفيح، والغسيل المنشور، والأطقم الداخلية، والجوارب، والشباشب، والصحون... وغيرها، ليؤكدوا أن هذه الكلمات هي الكلمات الفريدة التي تستطيع نقل الصورة التي هدف إليها الشاعر.

وبهذا تراجعت نظرية اللغة الشاعرة "واللغة" غير الشاعرة" في حد ذاتها، وأصبحت صفة تطلق على المفردات في قلب التجربة لا خارجها، وأكد الشعراء المجددون أن الشاعرية أو الشعرية حالة تلحق عناصر التجربة كافة بما فيها اللغة، ثم إن هذه الشاعرية ليست طبيعة دائمة تتمتع بها بعض المفردات، وتخلو منها أخرى[17]، والشاعر المعاصر في لغته الشعرية، إنما يقوم بتحطيم الطبيعة الوظيفية التلقائية للغة الحديث اليومي، ولا يحتفظ من تلك العلائق سوى بحركتها وموسيقاها.

وإذا كان رواد الشعر المعاصر قد أرادوا إغناء لغة الشعر بالعودة إلى الحياة اليومية، فإنهم قد اختلفوا في فهم هذه العلاقة، حيث «كان تأييدهم لها نابعا من رفضهم للتقسيم السياسي التقليدي المتبع في التعامل مع اللغة بوصفها فصيحة ودارجة، ومن ثم رفضهم للانحياز لأي قسم منها انحيازا إيديولوجيا»[18].

ثم إن منطلقهم إلى اللغة الدارجة مختلف، فمنهم من دعا إلى الاستفادة من ألفاظ عامية فصيحة الأصل، وتحسين ألفاظ عامية لإدماجها في النص الشعري كما هو الحال لدى صلاح عبد الصبور وخليل حاوي، ومنهم من دعا إلى كتابة الشعر باللهجة العامية كما ينطقها المثقفون لمواكبة حركة الحياة مثل: يوسف الخال، وثمة رفض تام للمذهبين انطلاقا من أن الشعر غير الحياة، وأن اللغة الشعرية غير اللغة العادية كما هو رأي أدونيس، في حين وقف بقية رواد الشعر المعاصر ضد استعمال اللغة العامية، وعلى رأسهم نازك الملائكة.[19]

إن المتلقي للنصوص الشعرية المعاصرة، يتبدى له التحول الذي أحدثه توظيف اللغة اليومية في بنية النص الشعري العربي المعاصر، كما يظهر له أن الشاعر المعاصر يتخير التجربة الشعرية التي يعبر عنها بهذه المفردات اليومية، فمعظم هذه التجارب تعبر عن شريحة اجتماعية بسيطة موقعها الهامش من مركزية المجتمع والواقع، وهي في الأغلب الأعم من واقع ريفي بسيط يحاول إحداث تجانس كلي بينها وبين لغة القصيدة.

ثانيا- بنية الصورة الشعرية:

لقد كان التركيز في الدراسات البلاغية على الطبيعة الزخرفية للصورة منطلقة من تصور أنها عنصر خارجي في العمل الفني، غير أن النقد الحديث يتجاوز هذا التصور، فقد وصلت دراسة الأبعاد الأخرى للفن الشعري، إلى أن «الصورة بنية تتشابك فيها العلاقات وتتفاعل لتنتج الأثر الكلي الذي ينفتح على العمل الفني ويضيء أبعاده، كما أنه يضاء بأبعاد هذا العمل».[20]

ولقد أكد شعراء الحداثة خلال تجريبهم أن الشكل الشعري ليس الوزن والقافية فقط، ولهذا أثبتوا من محاولاتهم لإبداع الشعر أنه يقوم على حركة داخلية تجعل من الشكل والمحتوى وحدة، وأن تلك الحركة تتولد من الصورة الشعرية، ومن تداخل الصور بالإضافة إلى حركة الإيقاع، فارتقت الصورة عندهم من كونها عنصرا إضافيا تزيينيا إلى عنصر بنائي مكون يوازي العنصر الإيقاعي، ويشارك في عملية السحر الشعري.

وما غنى الشعر المعاصر بالحقول الصورية والرموز إلا تعبير عن تحول هذا الشعر إلى فعل وجود وحالة حضارية، وما عادت بنية الشعر بنية واضحة مباشرة، بل أخذت شكل شبكة تفيض بالصور،[21] والصورة الشعرية واحدة من الأدوات الأساسية التي يستخدمها الشاعر المعاصر في بناء قصيدته، وتجسيد الأبعاد المختلفة لرؤيته الشعرية، فبواسطة الصورة يشكل الشاعر أحاسيسه وأفكاره وخواطره.

إن مفهوم الصورة الشعرية عند الشعراء المعاصرين يتجاوز الصورة البلاغية، لأن الاستعمال المجازي للغة وسيلة من وسائل الصور الكثيرة، فالصورة عندهم تشمل الصورة البلاغية كمل تشمل الصورة الرمزية والأسطورية بل تتعدى ذلك لأن الصورة رؤيا كلية، ولهذا يحاول هؤلاء تحديد مفهوم الصورة، لأن القصيدة ذاتها صورة أو رمز أو أسطورة. بل إن الصورة قد تكون بالمفردات دون لجوء إلى مجاز لنقل جو معين أو وصف حركة معينة أو حالة نفسية، أو استحضار عناصر واقعية لعالم الطفولة وإعادة تركيبها في مشهد محدد،[22] والشاعر إذ يمتلك الخيال والوجدان يمتلك القدرة التصويرية، لأنه يقتنص المرئيات والمشاهد عن طريق الخيال، والأكثر من هذا يؤلف بينها علاقات وفق رؤيته للحياة، ويوحد بين أجزائها توحيدا دالا على تجربته.

لقد اكتسبت الصورة الشعرية هذه الأهمية، وبدا الوعي بها واضحا في الشعر العربي المعاصر الذي أدرك أبعادها النفسية والفكرية، وعلاقاتها الوطيدة بالتجربة الشعرية، ومدى مسؤوليتها عن وضوح الرؤية واكتمال التجربة، لقد بدت هذه المفاهيم واضحة في الوعي الشعري العربي المعاصر مع تعقد الحياة وتطور مفهوم الإبداع الشعري، وتوسل الشعر وامتياحه من مسارب معرفية كثيرة فلسفية وعلمية وإبداعية.

ومن ثم وضح مفهوم الصورة الشعرية ووظيفتها وعلاقتها بعناصر التجربة الشعرية عامة، بما لم نعهده في الشعر العربي القديم الذي كادت الصورة فيه أن تكون تسجيلا للأشياء لا انفعالا بها، أما في الشعر العربي المعاصر فقد أصبحت الصورة عضوا فعالا في التجربة الشعرية، أو لنقل إنها هي التجربة الشعرية.[23]

ففي القصيدة المعاصرة لا نستطيع أن نصف الصورة ونبين علاقاتها دون أن نسترشد بالرؤية الكلية للشاعر، خاصة وأنه لم تعد المشابهة بين أطراف الصورة وعناصرها هي العلاقة الأساسية بين هذه الأطراف والعناصر في القصيدة المعاصرة، فالصورة في النص الشعري المعاصر «إبداع خالص للروح، وهي لا يمكن أن تتولد من التشابه، وإنما من التقريب بين حقيقتين متباعدتين كثيرا أو قليلا، وكلما كانت الصورة الصلات

بين الحقيقتين اللتين يقرب بينهما الشاعر بعيدة ودقيقة كانت الصورة أقوى، وأقدر على التأثير وأغنى بالحقيقة الشعرية.»[24]

يفكر الشاعر بالصور بخلاف العالم، لأنه يرى الأشياء من الداخل، أما العالم فيراها من الخارج، إن ذهن الشاعر تندمج فيه الذات بالموضوع، فيدرك العلاقات الكامنة بين الأشياء أو عناصرها، ويقيمها بواسطة الصور مثل الطفل الذي يرى الظل على الأعشاب، فيصيح إن الأعشاب تبكي،[25] فالشاعر يعبر عن علاقته بالأشياء أما العالم فيهتم بالأشياء ذاتها.

ومن هنا يمكن أن نميز بين «لغة الشاعر التي هي استعمال تصويري للكلمة، وبين لغة العالم التي هي استعمال حرفي للكلمة، كما يقول هيلين»[26]، فلغة النص المعاصر لغة تصويرية، لأنها تعكس رؤية خاصة وعلاقة خاصة بالعالم، أما اللغة العلمية فهي لغة تصور عقلي محدد للعالم.

لقد ركز الشاعر المعاصر على رؤيته المتميزة للعالم، وعلاقته الخاصة به من جهة، وقدرته على إعادة تركيب هذه الرؤى والأحاسيس من جهة أخرى، فالشعر تصوير لعلاقة خاصة بأشياء العالم، يعتمد الخيال في بناء عالمه الخاص، ويقوم هذا الخيال بعملية التحليل والتركيب، فهو يبني ويهدم علاقات قديمة، ليخلق علاقات جديدة وبالتالي يخلق صورة جديدة مغايرة للمألوف، ولما استقر في الذهن أيضا، ليستفز ذهن المتلقي ويفتح أفق توقعه على كثير من المدلولات.

إن الصورة الشعرية وفق هذا المنظور لا تنشأ من فراغ، وإنما من عناصر توجد في الواقع، يقوم الشاعر بتحويرها أو الحذف منها أو التركيز على جانب منها دون الآخر، ثم يعيد تركيب ذلك على ضوء انفعاله الخاص ليصل إلى صورة جديدة،[27] ومثلما تأخذ الصورة بعض عناصرها من الواقع وتعيد تشكيله على ضوء رؤيا الشاعر تأخذ كذلك بعض عناصرها من اللاشعور، ومن النماذج الأولى التي تعكس اللاوعي الجمعي.

ويذهب أدونيس إلى أن الإبداع الفني الخلاق إنما ينطلق من اللاشعور عالم الرغبات والقلق والأحلام، لا من عالم الشعور، فالشعور عنده يمثل الحياة اليومية، أما اللاشعور فهو الحركة التي تقابل الثقافة السائدة، وتتطلب هذه الحركة واندفاعها الأسمى لغة مغايرة للغة الثقافة السائدة، ومهمة الشاعر هنا هو إبداع عالم يتطابق مع التطلعات الكامنة في اللاشعور ويكون امتدادا لها.[28]

وبفعل البناء الصوري استطاع الشعر المعاصر أن يتخلص من التقريرية والنثرية حيث أدرك الشعراء المعاصرون أهمية بناء الشعر بناء صوريا، لأنه «لم يكن بإمكان الشعراء أن يعبروا عن الحالات المعقدة عن طريق الشعر المباشر، فلجأوا إلى الصور والأساليب المواربة من إشارة ورمز وفلكلور وأسطورة، وقد ساعدهم تأثرهم بالشعر الغربي المعاصر الفني بالصورة في اجتياز العتبة من الأساليب القديمة إلى أسلوب جديد.»[29].

ولما كان الشعر رؤيا والرؤيا عالم مغاير أو حلم متحرك، فقد استعصى التعبير عنها بواسطة التعابير المستنفدة والصور المألوفة الجاهزة التي فقدت حرارتها، لذا لجأ الشعراء المعاصرون إلى الصور المدهشة، لأن الصورة هي الجزئي الذي يشكل مفاتيح متعددة للعالم الشعري، وهي المجال الأساسي للرؤيا الشعرية لأنها تشكل مسار هذه الرؤيا، فيصبح العالم في أشيائه وعلاقاته ميدان فعل جديد، أي أن الصورة هي التي تؤسس الدهشة والمفاجأة والحلم داخل العمل الشعري.

هذا ويركز الشعراء المعاصرون على الوظيفة الإيقاعية للصورة، فقد سعوا إلى تحطيم الموسيقى الخارجية وكان تركيزهم الأساسي على بناء الشعر على الموسيقى الداخلية، ومن هنا كان تركيزهم على الصورة إذ أصبحت مقياسا أساسيا لقدرة القصيدة على الإحاطة بالشعر،[30] وعليه فإن التطور الحاصل في الصورة الشعرية في النص الشعري العربي المعاصر، أحدث تحولا أيضا على مستوى بنية هذا النص وعلى مستوى عناصره الأخرى، فلم تعد البلاغة بتشبيهاتها واستعاراتها ومجازاتها هي التي تصنع الصورة، وإنما استعار مكونات أخرى كالرموز والأساطير والأقنعة... وغيرها ليصنع صوره التي تعبر عن تجربته الشعرية والشعورية.

ثالثا- بنية الموسيقى الشعرية:

تطورت موسيقى الشعر، فلم تعد مجرد موسيقى تقوم على القافية، والوزن الخليلي الصارم من خلال أحد بحور الشعر، بل دخلت إليه عناصر جديدة كل الجدة، بالإضافة إلى الأساس الأول القائم على القافية والوزن، ولما كان الإيقاع يقوم على التناسب والتتابع، وعنصر المفاجأة في الشعر، ويقوم الوزن على التنظيم الجاهز، والتكرار والفواصل المحددة وفق نظام معروف، فإن الشاعر في النص المعاصر صار بإمكانه أن يجرب الأصوات المتباينة ويعيد خلق أصوات جديدة.

كما أتاح نظام التفعيلة إمكانيات واسعة لاستخدام كل إمكانات الإيقاع، وتشكيلاته المعبرة عن الجو النفسي المطلوب، والتعبير الموسيقي المناسب والملائم للموضوع باختيار عدد التفعيلات المناسب، وربط التفعيلات بعضها ببعض وفق نظام تحدده التجربة الشعرية عبر قدرات الشاعر في الصياغة والتعبير.[31]

ولا ريب في أن أهم ما يميز الإطار الموسيقي الجديد هو تفتيت الوحدة الموسيقية القديمة التي تتمثل في البيت الشعري ذي الشطرين المتساويين، ولقد بلغ من تفتيت الشعراء له، أنهم أربكوا الدارسين والنقاد، بأن وضعوهم أمام مسألة اصطلاحية تتعلق بتسمية ما يقابل البيت في الإطار الموسيقي الجديد للقصيدة، فنازك الملائكة مثلا، وهي رائدة الشعر المعاصر تؤثر استعمال كلمة شطر، ويتوافق معها عز الدين إسماعيل في هذا الرأي مع إضافة لفظ شعري، فيسميه "شطرا شعريا"، في حين يفضل محمّد النويهي كلمة "بيت"، ولا ريب في أن لكل واحد منهم مبرراته في اختيار المصطلح.

غير أن هناك حقيقة ستظل قائمة، وهي أن هذا الذي يقابل البيت في الشعر المعاصر يختلف اختلافا كليا في أنه لا يعتبر وحدة موسيقية ذات طول ثابت، بل يتعلق طوله وقصره بما يتضمن من نسق شعوري وفكري، فقد يقصر ذلك النسق حتى لا يحتاج في التعبير عنه موسيقيا إلا إلى تفعيلة واحدة، وقد يطول حتى ينتظم تسع تفعيلات أو يزيد عنها، وهذا الاختلاف بين طبيعة البيت في النص الشعري القديم، وبين ما يقابله في النص الشعري المعاصر ترتب عنه اختلاف آخر بين طبيعة البناء الموسيقى العام للنصين الشعريين.[32]

إن الاختلاف السابق يقابله اختلاف آخر عند رواد الشعر المعاصر وهو فهم الشعر انطلاقا من موسيقاه، فمنهم من «فهم الشعر إيقاعا دون تحديد هذا الإيقاع الشعري ومدى تميزه من الإيقاع النثري، فأدخل في الشعر ما ليس منه كما هو الحال عند أدونيس ويوسف الخال، ومنهم من حدد الإيقاع وضبطه حتى يكون وسما على الشعر دون سواه، فميز بين الإيقاع الموزون والإيقاع المنطلق مثل البياتي وخليل حاوي، وهناك من ركز على الوزن في تحديده للشعر من دون أن يميز بين الإيقاع والوزن مثل نازك والسياب.»[33]

لقد أدرك رواد الشعر المعاصر أن هناك علاقة بين الموسيقى والشعر والواقع الجديد، وما ثورتهم على موسيقى البحر وخروجهم إلى موسيقى التفعيلة، أو خروجهم من موسيقى البيت إلى موسيقى القصيدة إلا نتيجة تجربة جديدة في الحياة، فالموسيقى الجديدة في الشعر الحر تعبر عن علاقة جديدة بالعالم، لهذا تذهب نازك إلى أن الأوزان الحرة تتيح للشاعر أن يعبر عن تجربته في واقعه الجديد خارج القيود القديمة التي تكبل طاقته الفكرية والشعورية»[34]

وعليه فإن الموسيقى الشعرية وليدة انفعال الشاعر بما حوله من خلال اللغة، لهذا تكون اللغة الشعرية في القصيدة موزونة، فالانفعال هو المصهر الذي تتحول فيه كل العناصر المكونة للعمل الشعري، ومن هنا كان الإيقاع مرتبطا بالمعنى والصورة، وبالشكل والمضمون، فالإيقاع موجود في علاقة العناصر بعضها ببعض، وليس وقفا على عنصر معين، والعنصر يأخذ موسيقاه من المجموع لأن الإيقاع نظام علائقي وشمولي.

ثم إن العلاقة بين الموسيقى الشعرية والمعنى في الشعر من النقاط التي أدركها الشاعر المعاصر وكان لها دور في تغيير بنية القصيدة العربية المعاصرة، خاصة وأن القانون الموسيقي سياقي يشمل القانونين الصوتي والصرفي، بل إن القانون الموسيقي لا يقف عند النظامين المذكورين لأنه يشمل النظام النحوي والنظام الدلالي، فالأصوات في الشعر ليست مفرغة من الدلالات، والموسيقى الشعرية ليست مجرد تناسب أصوات وتواليها دون معنى.[35]

وكما ارتبطت موسيقى الشعر بالمعنى في الشعر المعاصر ارتبطت باللغة أيضا، فالوزن ليس «عنصرا مضافا إلى اللغة، بل هو عنصر في اللغة، والوزن يكتسب قيمته من طبيعة اللغة ذاتها، فإذا تطورت اللغة تطور الوزن وأصبح عنصرا جديدا.»[36] ذلك أن اللغة ليست مجرد أصوات، وإنما هي «الصوت وما يشير إليه، أي الكلمة ودلالتها معا، إن الصوت الموسيقي يحمل منذ البداية طابعا غفلا بالمعنى الذي يقال فيه عن بعض الوقائع الخام.... أما صوت الكلمة في الشعر فلا يحمل مثل هذه الطبيعة الغفل، لأنه محمل منذ البداية بالمعنى.»[37]

وعندما قام الشاعر المعاصر بتحطيم الوحدة العروضية للبيت، تلك الوحدة التي «كانت تعرض على الشاعر حركة في اتجاه معين، لم تكن في أغلب الأحيان هي الحركة الأصيلة التي تموج بها النفس، استطاع أن يتحرك نفسيا وموسيقيا وفق الحركة التي تموج بها نفسه، وقد تكون حركة سريعة ما تلبث أن تنتهي، وعندئذ ينتهي الكلام أو ينتهي السطر... وقد احتفظ الشاعر بخاصية الوزن، فالسطر الشعري سواء طال أم قصر مازال خاضعا للتنسيق الجزئي للحركات والسكنات المتمثل في التفعيلة، أما عدد التفعيلات في كل سطر فغير محدد وغير خاضع لنظام ثابت.»[38] لقد أصبح في وسع الشاعر المعاصر أن يعبر عن حالات من الحزن والفرح، وحالات نفسية أخرى معقدة ويعبر عن تقلبات النفس مستخدما الإيقاع الملائم للحالة النفسية، كما استطاع أن يطور الإيقاع القائم على العلاقة بين الكلمات والحروف وما يجاورها، في ملاءمتها مع الحالة النفسية التي يمر بها،[39] إن الموسيقى الشعرية في النص الشعري العربي المعاصر بمثابة الروح التي تسري في القصيدة، وتعتمد على النشاط النفسي للشاعر، وترتبط بالتجربة الشعرية بكل ما فيها من ثراء وخصوبة.

ومن العناصر الإيقاعية التي أسهمت في تحول بنية الموسيقى الشعرية، وبالتالي تحول بنية النص الشعري العربي المعاصر عنصر القافية، وعلى الرغم من ثورتهم على القافية الموحدة، فإنهم لم ينبذوا استعمال

القافية بطرائق جديدة تتلاءم مع الشكل الجديد أو محاولة استبدالها بما يقوم مقامها، ومن ثم فقدت القافية دورها التقليدي لتقوم بدور جديد بحسب ما يتطلبه نمو القصيدة في رحلتها إلى الذروة.[40]

لقد أصبحت القصيدة وحدة متماسكة أو بنية عضوية، وهذا يتطلب توزيع القافية بطريقة جديدة وبحسب ما يقتضيه تشكيل القصيدة، ولهذا لم يتخل عنها الشاعر المعاصر، فهي عنصر إيقاعي مهم في إبراز الموسيقى الشعرية، والتخلي عنها يضعف هذه الموسيقى، كما قدمت القافية المتنوعة دورا بارزا في نقل الإحساس بالملل والرتابة والاغتراب والقلق الذي يحسه الشاعر المعاصر.

خاتمة:

هكذا نجد أن الشاعر المعاصر أحدث تغييرا جذريا في بنية النص الشعري العربي المعاصر على مستوى اللغة والصورة والموسيقى الشعرية، فحقق له تطورا على صعيد اللغة وعلى صعيد التصوير البياني، إلا أن أكثر ما يلفت النظر هو التطور الذي أصاب أسسها الموسيقية والإيقاعية، والمتلقي للنص الشعري المعاصر يدرك العلاقة الجديدة التي نشأت بين مفردات اللغة فأكسبتها دلالات رمزية تنحو بالأسلوب منحى تصويريا مركزا.

إن شاعر اليوم كما يقول زكي أحمد كمال: «لا يريد أن يقلد لينجو من آفة الخطابة، إنه يريد لغة ليست هي لغة العامة كما يزعم أي زاعم، وإنما لغة تتمرد على الرقابة التي تنجم عن ضياع أبعاد الصورة، وهذا هو سر تحطيمه لرتابة الوحدات إذا كررها بصورة تقليدية، هذا سر أن يصدر إيقاعات تختلف تماما عن إيقاعات الأولين هو لغته وله موسيقى هذه اللغة، ومن المحال أن يرتبط بعد هذا بإيقاع الجاهليين»[41].

لقد كان التحول والتغير الحاصل في بنية النص الشعري العربي المعاصر عميقا وجذريا، حتى إنه اجتاح المفاهيم الأساسية للشعر في النص الشعري التقليدي، واختار لنفسه سمات جمالية، تنفتح على كل الآفاق، وتفتح آفاقا جديدة من التجربة الشعرية والتلقي والإبداع والإيقاع والموسيقى واللغة والصورة والخيال... وغيرها.

الهوامش والإحالات.

1- خليل ابراهيم العطية: التركيب اللغوي لشعر السياب. دار الحرية للطباعة: بغداد. 1986م. ص12-.13

2- حافظ محمّد عباس الشمري: الفكر في الشعر الحديث. مركز الكتاب الأكاديمي: عمان. ط1. 2013م. ص.60

3- محمّد المعداوي المجاطي: ظاهرة الشعر الحديث. شركة النشر والتوزيع- المدارس: الدار البيضاء. ط1. 2002م. ص.157

4- فاتح علاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر. إتحاد الكتاب العرب: دمشق.2005م.ص.207

5- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة .مكتبة ابن سينا : القاهرة . ط4. 2002م .ص.44

6- محمّد العبد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر " بيانها ومظاهرها ". ط1.بيروت: الشركة العالمية للكتاب. 1991م ص.168

7- فاتح علاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر. ص.211

8- أدونيس: مقدمة للشعر العربي. دار العودة: بيروت. ط3. 1979م. ص.126

9- أدونيس: زمن الشعر . دار الساقي: بيروت .ط6 .2005م.ص.129

10- كاميليا عبد الفتاح: : القصيدة العربية المعاصرة " دراسة تحليلية في البنية الفكرية والفنية ". دار المطبوعات الجامعية: الإسكندرية. 2007م. ص275.
11- رجاء عيد: لغة الشعر الحديث. منشأة المعارف: بيروت.ص.12
12- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. ط3. دار العودة ودار الثقافة: بيروت. 1981م. ص180-.181
13- أدونيس: زمن الشعر. ص.132
14- محمّد العبد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر. ص170.
15- فاتح علاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر. ص220-.221
16- محمّد النويهي: قضية الشعر الجديد. دار الفكر: مكتبة الخانجي. ط2. 1971م. ص.40
17- كاميليا عبد الفتاح: القصيدة العربية المعاصرة. ص279-.280
18- أدونيس: كلام البدايات. دار الآداب: بيروت. ط1. 1989م. ص.173
19- فاتح العلاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر. ص.222
20- رمضان الصباغ: جماليات الشعر العربي المعاصر. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية. ط1. 2013. ص.337
21- محمّد العبد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر. ص.97
22- صلاح فضل: علم الأسلوب. دار الشروق. ط1. 1998. ص.320
23- كاميليا عبد الفتاح: القصيدة العربية المعاصرة. ص381-.382
24- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة. ص.69
25- نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة الفنية. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق. 1982م. ص.25
26- المرجع نفسه. ص12
27- فاتح العلاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر. ص260-.261
28- أدونيس: سياسة الشعر " دراسات في الشعرية العربية المعاصرة ." دار الآداب: بيروت . ط1. 1985م. ص.121
29- سلمى الخضراء الجيوسي: الشعر العربي المعاصر. مجلة عالم الفكر. 1973م. مج4. ج2. ص.49
30- محمّد العبد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر. ص100-.110
31- رمضان الصباغ: جماليات الشعر العربي المعاصر. ص.193
32- أحمد المعداوي المجاطي: ظاهرة الشعر الحديث. ص182- .183
33- فاتح العلاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر. ص.237
34- نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر. دار العلم للملايين: بيروت. ط6. 1981م. ص56-.57
35- فاتح العلاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر. ص252-.253
36- نبيل فرج: مملكة الشعراء. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1988م. ص.19
37- نعيم اليافي: الشعر بين الفنون الجميلة. دار الجيل: دمشق. ط1. 1983م. ص77
38- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر. ص.61

39- رمضان الصباغ: جماليات الشعر العربي المعاصر. ص.194
40- فاتح العلاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر. ص255-.256
41- زكي أحمد كمال: دراسات في النقد الأدبي. دار الأندلس: بيروت. ط2. 1980. ص89.

المتغيرات الاجتماعية المؤثرة على الروح المعنوية لدى كبار السن
دراسة ميدانية بولايتي المسيلة والأغواط .

د.داود بورقيبة- أ.بورزق يوسف- جامعة الأغواط
أ.بن نويوة جمال- جامعة البويرة

الملخص:
هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مستوى الروح المعنوية عند كبار السن في بعض مناطق ولاية المسيلة والأغواط، بالإضافة إلى معرفة تأثير المتغيرات الاجتماعية والمتمثلة في السن، الجنس، الحالة الاجتماعية، الحالة الصحية، التعليم، الدين، في الروح المعنوية لكبار السن.
حيث طبقنا مقياس فيلاديلفيا للروح المعنوية على عينة مكونة من 49 مسنا ومسنة من منطقتي المسيلة والأغواط . وقد جاءت نتائج الدراسة كما يلي:
- مستوى الروح المعنوية عند كبار السن في ولايتي المسيلة والأغواط مرتفعة .
- أما عن تأثير المتغيرات الاجتماعية في مستوى الروح المعنوية فأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الروح المعنوية بين كبار السن تعزى للمتغيرات التالية (الجنس، السن، الحالة الاجتماعية، العمل، الدين).
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الروح المعنوية لدى كبار السن تعزى للمتغيرات التالية: (التعليم، الصحة).

Abstarct:
This study aimed to detect the level of morale in the elderly in some areas from Msila and Laghouat, in addition to examine of the impact of social variables of age, sex, marital status, health status, education, religion in the morale of the elderly.
We applied the Philadelphia measure of morale on a sample composed of 49 elderly (male and female) from the regions of Msila and Laghouat.
The results of the study were as follows:
- The level of morale in the elderly in Msila and Laghouat is high.
- As for the impact of social changes in the level of morale, there are no statistically significant differences in morale among the elderly due to the following variables (sex, age, marital status, work, religion).
- There are significant differences in the level of morale in the elderly due to the following variables (education, health).

المقدمة :
إن الإنسان على مدار حياته يمر بعدة مراحل طبيعية، تبدأ بالطفولة ثم الشباب وبعدها مرحلة الكهولة ومنها إلى الشيخوخة، حيث ينطلق الإنسان في حياته من ضعف ثم قوة ثم ضعف في آخر العمر، فكما تبدأ حياة

الطفل بالنمو الجسمي والتطور العقلي، ثم يستقر نموه في مرحلة من العمر، حتى يصل إلى حد يبدأ فيها الجسم بتأثر بالعديد من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية، ويصيب جسمه الوهن والضعف.

وبالنظر إلى الواقع في العالم نجد أن كبير السن هو مجرد كائن يعمل إلى حد معين ثم يتم رميه في مراكز للعجزة، تهتم به وتوفر له كل المتطلبات المادية للحياة دون اعتبار للمتطلبات النفسية والاجتماعية، أما في العالم العربي فإننا نجد الأكثرية من الناس مازالت تعتبر كبير السن شخصا مقدسا لا يجوز إهماله أو التخلي عنه وهذا ناتج من تعاليم الإسلام، إلا أن التقليد الأعمى للغرب جعل الناس وخاصة في المناطق الحضرية والمدن الكبرى، تتخلى تدريجيا عن بعض التقاليد العريقة واعتبارها تخلفا والتي بدورها عجلت بتفكك نظام العائلة الكبيرة وانحصارها في أسرة صغيرة، وبذلك بدأ الاهتمام بكبار السن يتضاءل.

الإشكالية:

إن مرحلة الشيخوخة مرحلة من مراحل عمر الإنسان، تتأثر بالعديد من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية، فالإنسان عندما يتقدم به العمر، يصيب جسمه الوهن والضعف، ويشعر أنه فرد غير منتج بعد أن كان مصدرا للعطاء، وأنه أصبح عبئا على أسرته والمجتمع بعد أن كان صاحب كلمة مسموعة، لذلك تجده يشعر بالقلق من الحاضر والمستقبل، ويشعر بالعزلة الاجتماعية، مما ينعكس على حالته الصحية والنفسية بالسلب.

لذلك يجب مراعاة الظروف الخاصة التي يمر بها المسن، حتى نتمكن من التعامل معه، وخاصة في هذه الفترة الحرجة من العمر، فهناك مجموعة من التغيرات التي تصاحب هذه الفترة، والتي تنعكس بدورها على الحالة النفسية والصحية له، فمع تقدم العمر تتأثر وظائف القلب والجهاز التنفسي، مما يؤثر بدوره على القوة العضلية وتضعف قدرته على التحمل، وتقل طاقته والتغيرات النفسية، كما نجد أن مشكلات المسنين النفسية ترتبط بعدم إتاحة الفرصة لهم للمشاركة وسوء التكيف مع الوضع الجديد الذي وجدوا فيه، فيشعرون بالقلق من المستقبل، والخوف من الانهيار والشعور بعدم جدوى الحياة، كما يشعرون بالوحدة والعزلة والاغتراب، مما يؤدي إلى اليأس، ويذكر(**على محمّد الذيب،1988، ص50**) أن الذبول البدني لدى المسن يرتبط أكثر بالضغوط النفسية والاجتماعية التي يتعرض لها، وأن العوامل النفسية والاجتماعية غير ملائمة كالعزلة والضيق الاقتصادي والحرمان والتجاهل، يؤدي دورا كبيرا في جعل مرحلة الشيخوخة فترة تدهور واضح نفسيا وبدنيا.

كما نجد للعامل الاجتماعي دورا في إصابة المسن ببعض الاضطرابات النفسية، فالعديد من الصعوبات النفسية التي تواجه المسن قد تكون ناتجة عن مواقف المجتمع تجاه الشيخوخة، وتغيير الدور الاجتماعي للمسنّ، وتغيير أسلوب حياته، وتغير المسارات الهامة الطويلة التي أمضى فيها المسن حياته.

ويؤكد الباحثون أنه عندما يخفق المسنون في الإبقاء على علاقاتهم ببيئاتهم الاجتماعية فإن أسباب الإخفاق تكمن في البيئة الاجتماعية وليس في كبير السن، وأن عوامل مثل المكانة في العمل والموارد المالية وغيرها تؤثر على قدرة المسن.(**سهير كامل احمد، 1987، ص 219**) حيث نجد الكثير من الدراسات التي تطرقت للجانب الاجتماعي المرتبط بحياة المسن، فمثل دراسة **سميرة المشهراوي (2009)** التي وجدت أن العديد من المشاكل

مرتبط بذات المسن، والبعض الأخر مرتبط بالبيئة المحيطة بالمسن، ومن أبرز المشاكل المؤثرة على المسن التي توصلت إليها هذه الدراسة هي المشاكل الصحية والمشاكل الاجتماعية مثل علاقة المسن بأبنائه وعلاقة المسن بأفراد أسرته، بالإضافة إلى المشاكل الاقتصادية والنفسية مثل الإحساس بالوحدة منذ وفاة الشريك.

ونجد أيضا دراسة (**المرعود، 1998**) التي هدفت إلى توضيح طبيعة التكامل في دور الأسرة والمؤسسة الاجتماعية في رعاية المسنين والإحاطة بأبعاده لتطويره، وكان من نتائج الدراسة أن أغلب المسنين المقيمين في دار الرعاية ليس لديهم أسرة ترعاهم. وأن المسن الذي له أسرة أو أقارب يتواصلون معه – من خلال الزيارات الدورية أو من خلال المكالمات الهاتفية - متوافق في دار الرعاية أفضل من المسن الذي ليس لديه أحد.

كما قامت (**قدومي، 1998**) بدراسة هدفت إلى معرفة مشكلات المسنين في ضوء متغيرات الجنس والحالة الاجتماعية ومكان الإقامة. وقد بينت نتائج الدراسة أن أهم المشكلات التي تواجه المسنين هي: الظروف السكنية غير المناسبة، وعدم الذهاب إلى الحدائق والنوادي، وعدم تقديم الاحترام الكافي للآباء من قبل الأبناء، والانفعال بسرعة وكره الذهاب إلى الأطباء. كما بينت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق في درجة الشعور بالمشكلات التي تواجه المسنين تعود لمتغير الجنس. كما أنه توجد فروق في درجة الشعور بالمشكلات تعزى لأثر مكان الإقامة، إذ تبين أن المسنين في القرى يعانون من المشكلات أكثر بكثير من سكان المدن.

وإحساسا منا بضرورة الاهتمام بكبار السن لأنهم ثروة كبيرة لا يستهان بها من المعلومات والخبرات، فهم عصارة تجارب طويلة، ركزنا على الجانب الاجتماعي من أجل دراسة المتغيرات الاجتماعية التي تساعد المسن على تحسين نظرته للحياة والرفع من الروح المعنوية لديه، وكذلك أردنا التركيز على كل المتغيرات الاجتماعية مثل الحالة الصحية والنشاط الاجتماعي والجانب الاقتصادي والجانب الروحي، للكشف عن المتغيرات التي لها الأثر الأكبر في تحسين الروح المعنوية والرضا عن الحياة للمسن، لكي يعيش المسن حياة ملؤها الاطمئنان والسعادة طوال حياته، وتحسن علاقته بالمحيطين به، ومن أجل ذلك طرحنا التساؤل الرئيسي: **ماهي المتغيرات الاجتماعية المؤثرة في الروح المعنوية لدى كبار السن في مدينتي المسيلة والأغواط ؟**

تساؤلات الدراسة:

- ما مستوى الروح المعنوية عند كبار السن في مدينتي المسيلة والأغواط؟
- هل توجد فروق بين كبار السن في مستوى الروح المعنوية تعزى للمتغيرات (الجنس، السن، الحالة الإجتماعية، التعلم، العمل، الحالة الصحية، التدين)؟

أهداف الدراسة:

- معرفة مستوى الروح المعنوية عند كبار السن في مدينتي المسيلة والأغواط
- الكشف عن تأثير المتغيرات الاجتماعية (الجنس، السن، الحالة الاجتماعية، الحالة الصحية، التعليم، الدين) في الروح المعنوية عند كبار السن.

مصطلحات الدراسة:

- **الروح المعنوية**: عرفها(**عبد الحميد شاذلي، 2001، ص233**) على أنها التحرر من أعراض الضغط النفسي والرضا عن الذات والإحساس بالتناغم بين الذات والبيئة، والقدرة على المجاهدة المعقولة مع استمرار تقبل المحتوم.

- **المتغيرات الاجتماعية**: هي مجموعة المتغيرات التي تتعلق بالمسن من ضمنها المتغيرات الشخصية حيث يذكر (**عبد الحميد شاذلي، مرجع سابق، ص ص 88-102**) أن منها (الجنس، السن، الحالة الاجتماعية، التعليم، العمل، الحالة الصحية، التدين)

- **كبار السن**: هم الأشخاص الذين تعدى سنهم 60 سنة.

إجراءات الدراسة الميدانية :

تم تطبيق المقياس على عينة استطلاعية قدرها 21 مسنًّا، وذلك من أجل التحقق من صلاحية الأداة، وحساب بعض دلالات الصدق والثبات في البيئة الجزائرية .

الخصائص السيكومترية لمقياس فيلاديلفيا للروح المعنوية: يتم عرض بعض خصائص الصدق والثبات للمقياس في البيئة الجزائرية .

- **الصدق** :تم استخدام طريقتين لحساب الصدق:

- **صدق الاتساق الداخلي:** وقد تم ذلك من خلال حساب قيم معاملات الارتباط بين أبعاد المقاييس الفرعية الستة والدرجة الكلية للأداة .

الجدول رقم (1) معاملات الارتباط بين المقاييس الفرعية الستة والدرجة الكلية للمقياس

الأبعاد	التفتح	اتجاه الفرد	قبول الوضع الراهن	الاهتياج	التفاؤل البسيط	عدم الرضا المرتبط بالوحدة النفسية
الدرجة الكلية	**0.66	**0.86	**0.58	**0.69	*0.52	**0.56

يتضح من الجدول رقم(1) أن قيم معاملات الارتباط بين المقاييس الفرعية الستة والدرجة الكلية للمقياس كانت ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 و 0.05، وهذا ما يعطي مؤشرا للتجانس الداخلي للمقياس.

ونلاحظ أن معاملات ارتباط درجات الأبعاد بالدرجة الكلية للمقياس كان مقبولا إذ تراوحت ما بين 0.52 كأدنى قيمة للتفاؤل البسيط و 0.86 كأقصى قيمة لبعد اتجاه الفرد نحو كبر السن.

- **الصدق التمييزي:** قمنا بمقارنة متوسطات درجات أفراد العينة ممن تمثل درجاتهم 27% من الدرجات العليا، وممن تمثل درجاتهم 27% من الدرجات الدنيا في المقياس وأبعاده الفرعية، وهذا للتحقق من قدرة المقياس على التمييز بين المستويات المختلفة من الروح المعنوية لدى أفراد عينة الدراسة وكانت النتائج كالتالي:

الجدول رقم (2): دلالة الفروق بين متوسطات المجموعتين الطرفيتين لأفراد العينة

العينة	المجموعة العليا ن= 6		المجموعة الدنيا ن= 6		قيمة T	درجة الحرية df	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع			
الدرجة الكلية	52.33	2.50	40.50	3.33	6.95	10	0.01

يتضح من الجدول رقم (2) أن قيمة (t) المحسوبة دالا إحصائيا عند مستوى دلالة (0.01) بين المجموعتين على الدرجة الكلية للمقياس، مما يعني أن المقياس يتمتع بالقدرة التميزية بين المجموعتين الطرفيتين المجموعة العليا الممثلة لـ 27 % والمجموعة الدنيا الممثلة لـ 27% من عينة الدراسة.

الثبات : تم حساب دلالات الثبات بطريقتين هما معامل α كرونباخ والتجزئة النصفية.

- **ثبات معامل α كرونباخ:** تم حساب معامل α كرونباخ بالنسبة المقاييس الفرعية والمقياس ككل، فكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم (3): معاملات ثبات مقياس فيلاديلفيا للروح المعنوية بطريقة α كرونباخ

أبعـاد المقياس	عدد الفقرات	معامل α كرونباخ
التفتح	4	0.61
اتجاه الفرد نحو كبر سنه	5	0.64
قبول الوضع الراهن	2	0.82
الاهتياج	5	0.71
التفاؤل البسيط	3	0.70
عدم الرضا المرتبط بالشعور بالوحدة النفسية	3	0.71
المقياس ككل	22	0.67

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الثبات بطريقة α كرونباخ بين أبعاد مقياس الروح المعنوية تراوحت بين (0.61-0.82) وهي معاملات ثبات مقبولة، كما بلغ معامل الثبات الكلي للمقياس (0.67) وهي قيمة مقبولة، مما يعني أن الأداة تتمتع بدرجة معقولة من الثبات.

- **التجزئة النصفية:** باستغلال نفس بيانات العينة الاستطلاعية، قام الباحثان بتقسيم عبارات المقياس إلى نصفين، النصف الأول يضم البنود الفردية، والنصف الثاني يضم البنود الزوجية، بعد ذلك تم حساب معامل الارتباط فكانت النتائج كالتالي :

الجدول رقم (4): يوضح معامل ثبات مقياس الروح المعنوية بطريقة التجزئة النصفية

معامل الارتباط	معامل الثبات بعد التصحيح
0.58	0.74

يتضح من الجدول(04) أن معامل الارتباط بين نصف الفردي و النصف الزوجي كانت 0.58 وبعد تصحيحها بمعادلة سبرمان براون كان معامل الثبات 0.74 وهو معامل مرتفع ويمكن الوثوق به حسب المقاييس في العلوم الإنسانية.

نلاحظ من النتائج السابقة أن المقياس يتمتع بدرجات مرتفعة من الصدق والثبات يمكن الوثوق بها لاستخدامها في البيئة الجزائرية بكل اطمئنان.

- **منهج الدراسة :** المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي نظرا لملاءمته أهداف الدراسة والإجابة عن التساؤلات المطروحة .

- **عينة الدراسة:** تتكون عينة الدراسة من فئة المسنين الأكبر من 60 سنة، بولايتي الأغواط والمسيلة، والمقدر عددهم 49 مسنا ومسنة، تم اختيارهم بطريقة مقصودة، وذلك نظرا للصعوبات التي لاقتنا أثناء جمع المعطيات عن هذه الفئة، وسوف نوضح أفراد عينة الدراسة المنتمون لكل ولاية وذلك حسب الجنس .

الجدول(5) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس و الولاية المنتمي إليها

المدينة	حسب الجنس		المجموع	النسبة المئوية
	ذكور	الإناث		
المسيلة	14	7	21	42.85
الأغواط	19	9	28	57.14
المجموع	33	16	49	%100

حدود الدراسة: تتحدد الدراسة الحالية بالمجالات التالية:

- **جغرافيا**: تتم الدراسة الميدانية الحالية بولايتي المسيلة والأغواط.
- **بشريا**: أفراد المسنين الذين تتجاوز أعمارهم 60 سنة .
- **زمنيا**: طبقت هذه الدراسة ابتداء من 21 ديسمبر2014 إلى غاية 18 جانفي 2015.

أداة الدراسة : الأداة المستخدمة في هذه الدراسة هي مقياس **فيلاديلفيا للروح المعنوية لبويل لوتون_** the philadelphia geriatric center morale scale، وترجمه وقننه الدكتور عبد الحميد محمّد شاذلي سنة (2001) على البيئة العربية .

تم تصميم هذا المقياس المتعدد الأبعاد لقياس الروح المعنوية لدى المسنين، ويتكون من 22 عبارة (8 عبارات إيجابية و 14 عبارة سلبية) مقسمة إلى ستة أبعاد كما يلي:

الجدول رقم(6): توزع المفردات على المقاييس الفرعية لمقياس فيلادلفيا للروح المعنوية

المقياس	العدد	أرقام المفردات
المقياس الأول (التفتح)	4	**10**، 12،**13**، **15**.
المقياس الثاني (اتجاه الفرد نحو كبر سنه)	5	16-9-**6**-2-**1**
المقياس الثالث (قبول الوضع الراهن)	2	**14** -7
المقياس الرابع (الاهتياج)	5	**22 -20 -17 -8 -4**
المقياس الخامس (التفاؤل البسيط)	3	**21** -**18** -11
المقياس السادس (عدم الرضا المرتبط بالشعور بالوحدة النفسية	3	19 -5 -**3**

ملاحظة: المفردات التي تحتها خط **عبارات سلبية .**

ولتقييم عبارات المقياس كانت البدائل وفق ميزان ثلاثي التدريج (كثيرا، أحيانا، نادرا).

- **عرض وتفسير نتائج الدراسة:** يتم عرض النتائج الدراسة الميدانية ثم تفسيرها وفق المعطيات المتحصل عليها:
- **عرض نتائج التساؤل الأول** : ما مستوى الروح المعنوية لدى كبار السن، للإجابة عن التساؤل الأول تم حساب اختبارت للعينة الواحدة.

الجدول رقم (07): يوضح نتائج اختبارت للعينة الواحدة

عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	المتوسط الفرضي	اختبارت	مستوى الدلالة	القرار
49	46.46	44	2.72	0.01	دالة إحصائيا

نلاحظ من الجدول أعلاه أن متوسط استجابات أفراد العينة جاء يساوي 46.46 وهو أكبر من المتوسط الفرضي، وقد جاءت نتائج اختبار (ت) تساوي 2.72 وهي دالة عند مستوى 0.01، وبالتالي نجد أن عينة المسنين يتمتعون بمستوى مرتفع في الروح المعنوية .

- **عرض نتائج التساؤل الثاني :** هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدى عينة من المسنين في الروح المعنوية تعزى إلى المتغيرات التالية (الجنس، السن، الحالة الاجتماعية، التعليم، الصحة، العمل، الدين).

جدول رقم (8): يوضح نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق لدى عينة من المسنين

المتغيرات		ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة	القرار
الجنس	أنثى	16	47.18	7.47	- 0.54	47	0.58	غير دالة
	ذكر	33	46.12	5.82				
السن	أقل من 70	20	47.40	6.48	0.84	47	0.40	غير دالة
	أكثر من 70	29	45.82	6.29				
الحالة الاجتماعية	متزوج	37	46.43	5.71	-0.07	47	0.94	غير دالة
	أرمل	12	46.58	8.31				
التعليم	متعلم	17	49.23	4.90	2.32	47	0.02	دال إحصائيا
	أمي	32	45.00	6.60				
الصحة	جيدة	24	48.75	4.89	2.60	47	0.01	دال إحصائيا
	ضعيفة	25	44.28	6.89				
العمل	بمعاش	34	46.76	5.94	0.48	47	0.62	غير دالة
	ليس له معاش	15	45.80	7.36				
الدين	مسجد	24	47.29	5.42	0.15	47	0.38	غير دالة
	غير مسجد	25	45.68	7.15				

يبين الجدول رقم (8) أن أفراد عينة المسنين جاءت نتائجهم على اختبار (ت) للفروق أنه لا توجد فروق بينهم تعزى إلى المتغيرات التالية (الجنس، السن، الحالة الاجتماعية، العمل، الدين).

بينما وجدنا هناك فروقا لدى أفراد عينة الدراسة تعزى إلى متغير الصحة والتعليم، وذلك حسب نتائج اختبار ت لدلالة الفروق والتي كانت دالة إحصائيا عند مستويات (0.05- 0.01) .

- **مناقشة نتائج الدراسة:**

- **مناقشة نتائج التساؤل الأول:** من خلال النتائج المتوصل إليها في الجدول رقم (7)، نستنج أن أفراد عينة المسنين يتمتعون بمستوى مرتفع من للروح المعنوية، ويمكن تفسير ذلك بأن غالبية كبار السن في هذه المناطق مازالوا يتمتعون بقدر كبير من احترام و تقدير أسرهم وأفراد مجتمعهم، بالإضافة أنهم يعيشون وسط عائلاتهم الكبيرة مما تزيد من الاستقرار العاطفي الذي بطبيعة الحال يزيد في الروح المعنوية لكبار السن، كما أنهم مسلمون ويمارسون الشعائر الدينية الإسلامية التي لها تأثير كبير جدا على الروح المعنوية، وكذلك شعورهم بثقة الآخرين فيهم واحترامهم لرأيهم، وقد أشار في هذا الصدد **(العزبي، 1982)** بأن هناك علاقة إيجابية دالة بين اتجاهات المسن نحو الشيخوخة ومقدار الرضا عن الحياة، وتقبله لذاته وتقبله للآخرين.

- **مناقشة نتائج التساؤل الثاني :** من خلال **الجدول رقم (8)** توصلنا انه:

- لا توجد فروق بين الجنسين في مستوى الروح المعنوية تعزى لمتغير الجنس وذلك لأن الظروف الأسرية والاجتماعية المعاشة نفسها عند الجنسين والتأثيرات الحياتية التي يواجهها كبار السن نفسها ومعاملة الأبناء تكون متشابهة مع الوالدين كذلك، كما يكون تقدير الأهل لكلا الجنسين نفسه، وكل هذا يجعل كبار السن من الجنسين يتمتعون بنفس المستوى من الروح المعنوية .

- نجد أيضا أنه لا توجد فروق بين المسنين تعزى إلى متغير السن، ويعود ذلك إلى أن كبار السن لا يحسون بالفرق في السن لاشتراكهم في عدة أمور بينهم، كما أنهم يعيشون نفس المرحلة العمرية التي تطرأ فيه مجموعة من التغيرات الجسمية والنفسية والاجتماعية وغير ذلك من التغيرات، فهم يخرجون للتقاعد في سن موحدة ويصبحون أجدادا وتصبح نظرة المجتمع لهم بتقدير واحد، وهذه النتيجة تتعارض مع دراسة **(كاسيدي 1983)** والتي توصلت نتائجها أن للعمر تأثيره السلبي على الاستقرار الانفعالي.

في حين نجد أنه أيضا لا توجد فروق بين المسنين تعزى إلى الحالة الاجتماعية، وذلك لأن كبار السن في أغلبهم متزوجون وإذا قدر الله وتوفت زوجاتهم فيعيد القادر بدنيا الزواج، كما نجد لمساندة الأبناء لآبائهم في حالة فقدان أحد الزوجين، فلا يشعرون بالوحدة والعزلة، فالبيئة الأسرية تعزز لديهم مستوى الروح المعنوية وهذه النتيجة تتعارض مع دراسة **(ليفسون، 1962)** على عينة من المسنين وكان من أهم نتائجها أن الحالة الاجتماعية ترتبط بالتوافق في مرحلة الشيخوخة، فالأفراد المتزوجون أكثر توافقا من المنفصلين والأرامل.

بينما فرضية العمل والتي نصت نتائجها أنها لا توجد فروق بين المسنين الذين لديهم معاش تقاعدي والذين ليس لديهم معاش تقاعدي، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة **(بلو 1973)** والتي توصلت نتائجها أن للروح المعنوية للمسنين لا ترتبط بالعمل أو التقاعد بقدر ما ترتبط بالصحة والظروف الأسرية والمشاركة الاجتماعية، كذلك نجد دراسة (شيتفلد) نقلا عن **(نعيم مطر الغلبان، 2008، ص 23)** أنه لا توجد فروق دالة في الروح المعنوية بين المتقاعدين وغير المتقاعدين، ويعزو الباحثان بأن الأبناء يوفرون لآبائهم كل الاحتياجات اللازمة والضرورية لحياتهم في هذه المرحلة العمرية .

بينما توصل الباحثون بأنه توجد فروق بين المسنين تعزى إلى متغير الصحة لصالح من يتمتعون بصحة جيدة، وهذه النتيجة المتوصل إليها تتفق مع نتائج دراسة **(عادل مرسي، 1980)** والتي كانت حول المشكلات الفردية التي تواجه المسنين والتي كشفت نتائجها أن هذه المشكلات تتمثل في الأمراض العضوية مثل أمراض

القلب، والضغط، والسكر، ونجد دراسة قام بها (**محمّد عودة، 1986**) عن مشكلات مرحلة الشيخوخة فكانت من نتائجها أن مجالات الحالة الصحية والبدنية والنشاط الترفيهي أكثر المشكلات انتشارا بين أفراد هذه المرحلة، كما نجد دراسة (**السيد حامد، 1966**) والتي هدفت إلى التعرف على الخصائص المميزة للأفراد المتقاعدين، وكان من أبرز نتائجها توجد علاقة إيجابية بين تدهور الحالة الصحية وسوء التوافق الاجتماعي، كما قام أيضا كل من (**عبد المعز وأحمد بحيري، 1974**) بدراسة لأهم المشكلات الاجتماعية لدى المسنين بالقاهرة، وتوصلت نتائج دراستهما أن المشكلات التي يواجهها المسنون هي المرض انخفاض المستوى الاقتصادي، ووقت الفراغ، كما نجد دراسة (**الصغير صالح، 2009**) التي بينت نتائجها أنه كلما كانت الحالة الصحية لدى المسن جيدة كان أكثر رضا عن حياته.

كما توصل الباحثون إلى أنه توجد فروق بين المسنين في الروح المعنوية تعزى إلى متغير التعليم لصالح المتعلمين، ونرجع ذلك إلى الدور البارز الذي يلعبه المستوى التعليمي من خلال ما يزود به الفرد من معارف تساعده على حل كثير من المشكلات أو التقليل من حدتها وبالتالي التخفيف من تأثيرها سلبا على الروح المعنوية، وتتفق هذه الدراسة مع ما جاءت به دراسة (**إبراهيم العبيدي، 1988**) التي هدفت إلى دراسة العلاقة بين التقييم الذاتي للحالة الصحية بعد التقاعد والخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية، وكان من بين نتائجها أنها توصلت إلى أهمية المستوى التعليمي في علاقته بتقييم المتقاعد لحالته الصحية، حيث زادت نسبة من ساءت حالتهم بعد التقاعد بين من لم ينهوا المرحلة الابتدائية، وانخفضت هذه النسبة بين من أنهوا المرحلة الثانوية، وبوجه عام يتأثر التوافق الاجتماعي للمسنين بعدة عوامل منها ما هو متعلق بالأشخاص المسنين، كالحالة الصحية والمستوى التعليمي ومدى تقبله للآخرين، و الجانب الثاني متعلق بالآخرين من أفراد المجتمع، واتجاهاتهم نحو هذه الفئة ونظرتهم إليهم ومدى تقبلهم لهم، كما نجد دراسة (**الصغير صالح، 2009**) التي وجدت فروقا دالة إحصائيا في مستوى الرضا عن الحياة للمبحوثين باختلاف مستوياتهم التعليمية.

وفيما يخص فرضية الدين توصلنا أيضا إلى أنه لا توجد فروق بين المسنين تعزى إلى متغير الدين، ويعزو الباحثون أن الفرد أصبح أكثر تسامحا وأقل تعصبا للجوانب الدينية مع تقدم العمر، كذلك تتسم مرحلة الشيخوخة بأن المسنين فيها أكثر ترددا على المساجد، ويكثرون من مظاهر التعبد مثل إطلاق اللحى أو لبس العباءة التي تعتبر في هذه المناطق اللباس الأساسي للرجال، واعتماد اللباس المحتشم والحجاب للنساء لذلك لا نستطيع إيجاد فروق بينهم في مجال التدين.

الاقتراحات:

استنادا للنتائج التي توصلت إليها الدراسة يمكننا إبداء الاقتراحات الآتية:

- يجب العمل على توعية الأبناء بضرورة إبقاء الآباء والأمهات في البيوت عندهم، وذلك لكي يعيشوا حياة مستقرة وبروح معنوية جيدة.

- توعية كبار السن للمحافظة على صحتهم لأنها العمود الفقري لسعادتهم، بعمل ورشات للتوعية بكل أنواعها الثقافية و الصحية و النفسية و الاجتماعية.

- العمل على نشر مدارس محو الأمية، ودعوة كبار السن لذلك، لأن كبار السن في حاجة ماسة للتعلم، فقد حرموا منه في ظروف قاهرة منعتهم الظروف المعيشية.

قائمة المراجع باللغة العربية :

1- عودة محمّد (1986) : مشكلات مرحلة الشيخوخة في المجتمع الكويتي، دراسة ميدانية لعينة من المسنين، المجلة العربية العلوم الإنسانية، المجلد 6، العدد 23، ص 48-96.

2- العبيدي إبراهيم (1988) : التقييم الذاتي للحالة الصحية بعد التقاعد والخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية للتقاعد، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، المجلد 16، العدد 4، ص 47-63

3- عبد الحميد محمّد شاذلي (2001) : التوافق النفسي للمسنين، المكتبة الجامعية، الإسكندرية.

4 – نعيم مطر جمعة الغلبان (2008) : مرحلة الشيخوخة، متغيرات ومتطلبات في الجانب النفسي والبيولوجي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة العالم الأمريكية، قسم الدراسات العليا، كلية الآداب

5- أحمد سهير كامل (1987) : دراسة عبر ثقافية عن الاكتئاب والانطواء الاجتماعي لدى المسنين المتقاعدين في البيئتين المصرية والسعودية، دراسة تربوية، المجلد 2، الجزء 7، ص ص 218-.242

6- الذيب علي محمّد (1988) : العلاقة بين التوافق والرضا عن الحياة لدى المسنين وبين استمرارهم في العمل، مجلة علم النفس، العدد 7، ص ص 45-.49

7- حامد نهى السيد (1966) : التوافق الاجتماعي للمسنين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

8- عبد الرحمن المعز وبحيري أحمد (1974) : دراسة اجتماعية للمسنين المتقاعدين عن العمل بمدينة القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية، القاهرة، مكتبة البحوث الاجتماعية .

9- عادل مرسي جوهر (1980): دراسة المشكلات الفردية التي تواجه المسنين وأساليب رعايتهم اجتماعيا بالمؤسسات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية .

10- -قدومي، خولة عزت(1998): مشكلات المسنين في ضوء متغيرات الجنس والحالة الإجتماعية ومكان الإقامة، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، العدد33 ، المجلد التاسع، دار النهضة، الأردن.

11- المرعود، محمّد عبد الله(1998): تكامل دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية في رعاية المسنين، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

12- المشهراوي سميرة بنت جمال(1998): الروابط الأسرية وصلتها بمشكلات كبار السن، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

13- الصغير صالح محمّد(2009): المحددات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والصحية المؤثرة بمستوى الرضا عن الحياة لدى المسنين المتقاعدين، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- **قائمة المراجع باللغة الأجنبية :**

14- Blau, S Z ,(1973) : Old Age in A chamging society new York . A divisa gom of framklin watts . Inc.

15- Cassidy , MI (1983) : the emotional well being A comparison of men and women diss . abs , inter, vol 43 , n 9.

16- Livson , f **,(1962) :** Adjustement to Aging , in reichard , f liveson & Gp Peterson , Aging and personality , new York , library of congress , pp 93-108.

استبيان

البيانات الشخصية :

الجنس : ذكر ( ) أنثى ( ) السن : ....

الحالة الاجتماعية : متزوج ( ) أرمل ( ) التعليم: متعلم ( ) أمي ( )

العمل : بمعاش تقاعدي ( ) غير متقاعد ( ) الصحة : صحة جيدة ( ) صحة ضعيفة ( )

هل تعاني (ن) من أي مرض مزمن أذكره :..

الدين : يصلي في المسجد ( ) لا يصلي في المسجد ()

رقم	العبــارة	كثيرا	أحيانا	نادرا
01	تسير الأمور نحو الأسوأ كلما تقدم بي العمر			
02	أتمتع بنفس القدر الكبير من النشاط الذي كنت أتمتع به في العام الماضي			
03	أشعر بأنني قد صرت وحيدا في هذه الدنيا			
04	أصبحت الأمور التافهة تسبب لي إزعاجا بشكل أكبر هذه الأيام			
05	أرى أقاربي وأصدقائي بدرجة كافية			
06	كلما تقدم بي العمر أصبحت أقل نفعا			
07	إنني راض عن المكان الذي أعيش فيه			
08	أشعر بكثير من الضيق لأنني لا أستطيع النوم			
09	كلما تقدم بي العمر تصبح الأمور أفضل مما تصورت			
10	أشعر بأن الحياة غير جديرة بأن أعيشها			
11	أشعر بنفس السعادة التي كنت أشعر بها عندما كنت أصغر سنا.			
12	أجد لدي كثيرا من الأعمال التي يجب علي القيام بها			
13	لدي الكثير من الأمور التي أحزن من أجلها			
14	كان الناس أفضل حالا في الأيام الماضية			
15	أخاف من أشياء كثيرة			
16	صحتي جيدة			
17	أصبحت أثور وأفقد أعصابي أكثر مما كنت أفعل سابقا			
18	أشعر بقسوة الحياة			
19	أشعر بالرضا عن حياتي في هذه الأيام			
20	لا أعالج الأمور ببساطة.			
21	أفضل أن أعيش من أجل اليوم ولا يهمني ما سيكون عليه الغد.			
22	أضطرب بسهولة			

واقع الصحافة الإلكترونية وأثرها على مستقبل الصحافة الورقية
-دراسة تحليلية-

د. محمّد الفاتح حمدي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الأغواط

الملخص

تهدف هذه الدراسة العلمية إلى تشخيص مراحل تطور الصحافة الإلكترونية وأهم خصائصها وسماتها الإعلامية، مع الإشارة إلى أهم المشكلات التي اعترضتها في مسار تطورها في الوطن العربي والجزائر خصوصاً.

بالإضافة إلى تناول مؤشرات انتشارها ووظائفها في حياة الفرد والمجتمع والمؤسسات، مع تناول أهم انعكاساتها الإيجابية والسلبية على الصحافة الورقية. إذ هناك اتجاه يرى بأنّ الأزمة التي تمر بها الصحف الورقية حالياً في السوق العالمية سببها تطور وانتشار الصحف الإلكترونية، وقد يكون ذلك مؤشر على اختفاء الصحف الورقية في المستقبل القريب. ولكن هناك من يرى عكس هذا الاتجاه تماماً فيرى في ظهور الصحافة الإلكترونية عاملاً مهماً في تطور الصحف الورقية وزيادة انتشارها واستمرار بقائها، إذ يركز أصحاب هذا الاتجاه على الفكرة القائلة بأنّ تاريخ تطور وسائل الاتصال والإعلام لم يثبت بأنّ ظهور وسيلة إعلامية قضى على الوسيلة التي ظهرت قبلها بسنوات أو قرون. وهذا ما حصل مع الصحف الورقية والإذاعة ثم التلفزيون وبعدهم شبكة المعلومات الدولية. فظهور هذه الوسائل ساهم بحجم كبير في تطوير تقنيات ومحتويات وسائل الاتصال التقليدية. فوجود الصحافة الإلكترونية في حياة الصحف الورقية قد يدفع هذه الأخيرة إلى التطور أحسن على مستوى الإخراج والمضامين التي توجه للرأي العام، كما أن خصوصيات الصحافة الورقية لا يمكن أن تجدها عبر النسخة الإلكترونية. ومن خلال هذه الدراسة العلمية سوف نسعى إلى عرض طبيعة العلاقة التي تجمع الصحافة الإلكترونية بالصحافة الورقية في المستقبل. وهل ممكن أن يكون التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال والإعلام سبباً في اختفاء الصحف الورقية مستقبلاً. أم أنّ الصحف الورقية سوف تشهد تطوراً كبيراً مستقبلاً مما يجعل منها وسيلة إعلامية لها دورا كبيرا في مختلف مجالات الحياة، رغم التطور الكبير الذي شهدته الصحافة الإلكترونية على مستوى الشكل والمضمون، إذ فتحت المجال بشكل كبير أمام المتصفح أو المتلقي الذي أصبح عنصرا نشيطاً في العملية الإعلامية من خلال تفاعله مع ما يقدم من أخبار وأحداث يومية عبر المواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من الروابط التفاعلية التي جعلت من الصحافة الإلكترونية فضاءً لتبادل الأفكار والرؤى.

Abstract

This scientific study aims to diagnose the evolution of online journalism and the most important characteristics of the media and features, with reference to the most important problems encountered in the development in the Arab world and especially Algeria path.

In addition to eating deployment and functions in the life of the individual and society and institutions indicators, while addressing the most important

positive and negative repercussions on the printed press. Since there is a trend that sees the crisis in the paper newspapers currently in the global market caused by the development and spread of electronic newspapers, which may be a sign of the disappearance of the newspapers in the near future. But there are those who see reverse this trend perfectly sees in electronic journalism emergence of an important factor in the development of paper-based newspapers and increase the spread and persistence of survival, as the owners of this trend focuses on the idea that the history of the development of the means of communication and information has not been proven that the emergence of media outlets spent on the means by which appeared before years or centuries. This is what happened with paper newspapers, radio and TV, and after them, the international information network. The emergence of these methods contributed to a large size in the development of techniques and the contents of the traditional means of communication. The presence of electronic media in the lives of the newspapers could push the latter to the best development on the output and the implications that guide public opinion level, and the peculiarities of the printed press can not be found via the electronic version. Through this scientific study will seek to show the nature of the relationship that online journalism journalism paper gathering in the future. Is it possible to have the technological development of the means of communication and information in the cause of the disappearance of the newspapers in the future. Or that the newspapers will witness a great development in the future, making it the news media have a major role in various areas of life, despite the significant evolution of the electronic media on the form and content level, as it opened up dramatically in front of the browser or the receiver, which has become an active element in the information process through its interaction with the presentation of daily news and events across social networking sites and other interactive links that have made the electronic media space for the exchange of ideas and visions

مقدمة

احتلت الصحافة المطبوعة مكانة مهمة في عملية الاتصال طوال القرون الماضية، وكانت وسيلة مهمة لتدفق المعلومات إلى الجماهير، كما أنها قامت بدور مهم في حياة المجتمعات، ففي دول الشمال كانت محور الاهتمام في المجتمع نتيجة الدور الذي لعبته في تطور هذه المجتمعات، وصياغة منظومة المبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد تم النظر إليها على أنها تقوم بدور مهم في العملية الديمقراطية، وذلك أنها تعطي للأفراد المعرفة اللازمة لقيامهم بدورهم في المشاركة السياسية، أما في دول الجنوب فقد أسهمت الصحافة المطبوعة في الكفاح الوطني ضد الاستعمار وكانت من أهم الأدوات التي استخدمتها حركات التحرر الوطني. ولكن مع تطور الأحداث برز على الساحة الإعلامية منافسون للصحافة في شكلها المطبوع، وبدأت الصحافة تبحث عن سبل جديدة للمواجهة هذه المنافسة، ومع ظهور الانترنيت بدأت الصحف تتحول

بخطوط متفاوتة السرعة نحو الإصدار الالكتروني، ويعد التحول الالكتروني في الإصدار الصحفي ثورة بالمعنى المتكامل.

وقد اتجهت العديد من الصحف إلى إصدار نسخ الكترونية إلى جانب النسخ الورقية المطبوعة التي تصدرها، بعد أن انتهت إلى الحاسبات كوسيلة لنقل وتبادل المعلومات، بل وبدأت تطرح فكرة ارتفاع أسعار الورق وظهور شبكات الحاسب كأداة تكنولوجيا قوية وقادرة على نقل المعلومات متجاوزة مرحلة الطباعة بتكلفتها التي ترهق اقتصاديات الصحف أو بما تستهلكه أيضا من وقت فضلا عن تجاوز مرحلة توزيع الصحيفة من خلال الموزعين والاشتراكات، وبالتالي فالصحيفة الإلكترونية تستطيع أن تصل بالمواد الصحفية إلى القارئ مباشرة online دون المرور بمرحلتي الطباعة والتوزيع وفي ضوء ذلك تستطيع الصحيفة الوصول إلى المتلقي وتزويده بالمعلومات بصورة مباشرة. كما أن سهولة الوصول إلى الصحافة الإلكترونية من قبل المتصفحين عزز من مكانتها ودورها في الحياة اليومية.

ويعد نشر الصحيفة الإلكترونية على الإنترنيت أحد الطرق اليسيرة لتوزيع الصحيفة الإلكترونية والوصول إلى أكبر عدد من المستفيدين، وقد ثبت أن الصحف الإلكترونية تحضى بدرجة تفضيل عالمية من جانب القراء عند متابعة الأخبار الخارجية في حين مازال القراء يفضلون صحفهم المحلية عند متابعة الأخبار المحلية.

"وجذبت الصحف الإلكترونية قراءً كثيرين لا لكونها تجهز خدمات إخبارية ذات نوعية غاية في الحداثة، بل لأنه يمكن الوصول إلى هذه المحتويات بسرعة كما أنها تقدم بصيغة يمكن من خلالها تأمل الأخبار والحصول على أفكار مستخلصة عنها فضلا عن الإمكانيات التكنولوجية التي تدخل في هذه المسألة والتي تأخذ موقعاً مركزيا ضمن هذه الاعتبارات لذا فان ناشري الصحف الإلكترونية يمتلكون قاعدة من مهارات لإنتاج صيغ إخبارية ذات أوعية متعددة جذابة ولديهم قواعد بيانات لمحتويات الأخبار بحيث يجدها القراء سهلة البحث وحتى التقارير الإخبارية ذات النوعية العالمية سوف لن تكون كافية لصياغة ودعم عملية القراءة إذا وجدت صعوبة في استرجاع تلك المعلومات"[1]. ويحظى اشتراك الصحف الورقية على شبكة الأنترنت باهتمام كبير ومتزايد من قبل مسؤولي الصحف اليومية والدوريات الأسبوعية والشهرية ويخطط بعضهم لأرشفة وتخزين المعلومات التي تنشر في أعداد سابقة بالأنترنت وهدا العمل سوف يتيح للقارئ الإطلاع على مواد صحفية ومعلومات نشرت في الأعداد السابقة وسيتيح فرصا جديدة للباحثين عن معلومات للحصول عليها بيسر وكذلك الاتصال بالناشرين ولكن رغم الكم الكبير من الصحف العربية المنتشرة في الأنترنت إلا أن معظمها لا يضم سوى القليل مما نشر في المطبوعات الورقية،كما يلاحظ غياب الربط بين المقالات المنشورة في الأعداد اليومية والأسبوعية بالإضافة إلى أن بعض مواقع الصحف والمجالات لا يجري تحديثها بشكل مستمر وبعضها يعاني من البطء الشديد أثناء الظهور عند الدخول على عناوينها ويمكن القول أن الصحافة الإليكترونية هي الأكثر استفادة من بين وسائل الإعلام العربية من شبكة الويب، لأنها تمكنت

[1]- محمّد فتحي عبد الهادي: الانترنيت وخدمات المعلومات، **المجلة العربية للمعلومات**، المجلد 22، العدد2، (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، 2001)، ص122.

من تخطي الحدود الجغرافية للوطن العربي والاستفادة من وسائط شبكة الإنترنت التي قلصت من حجم الرقابة على المنشورات الإليكترونية، ووفرت الأنترنت متنفسا جديدا لأصوات معارضة هنا وهناك، وأصبح من المستحيل على قوانين حجب عيون وأذان المواطنين من متابعتها لأن ذلك غير ممكن في هذا العصر، فمثلا عندما يتجاوز صحف المعارضة في أي بلد الخطوط الحمراء المرسومة لها في قوانينها الوطنية، فإنه بإمكان أجهزة الرقابة في هذا البلد مصادرة المطبوعات الورقية من أكشاك التوزيع، ولكن ليس بمقدورها مصادرة مواضيع الصحيفة بعد نشرها بالأنترنت.[1]

ومما تقدم يمكن لنا طرح المشكلة الآتية: في ظل تزايد عدد الصحف الإلكترونية عبر شبكة المعلومات الدولية، وفي ظل تزايد عدد متصفحيها بشكل يومي، وأيضا تعدد مواضيعها وسهولة تصفحها عبر مختلف تكنولوجيات الاتصال والإعلام، كل هذه السمات والخصائص وغيرها أصبحت تشكل خطرا كبيرا على مستقبل الصحف الورقية، وهناك من يرى بأن مستقبل الصحف الورقية أصبح محدود جدا، في ظل المؤشرات التي تثبت بأنّ مستقبل الصحافة الإلكترونية سوف يكون أفضل بكثير على مستوى المضامين والتقنيات المعتمدة في الإعداد والإخراج. ومن خلال هذه الدراسة سوف نسعى إلى معرفة العديد من النقاط المهمة وهي:

-01 ما هي مراحل تطور الصحافة الإلكترونية؟

-02 ما هو واقع الصحافة الإلكترونية في الجزائر؟

-03 ما هي مؤشرات انتشار الصحافة الإلكترونية وما هي أم المشكلات التي تعاني منها؟

-04 ما هي طبيعة العلاقة الموجودة بين الصحافة الإلكترونية والصحافة الورقية؟

لقد شهد مسار الصحافة الإلكترونية في العالم تطورات كثيرة على مستوى التقنية والمحتوى وسوف نعرض من خلال هذه الدراسة بشيء من التفصيل أهم مراحل تطورها سواء في العالم أو في الوطن العربي أو في الجزائر مع الإشارة إلى عوامل تطورها والمشكلات التي تعاني.

أولاً: مسار تطور الصحافة الإلكترونية في العالم.

01-01: الصحافة الإلكترونية في الجزائر.

عرفت الجزائر دخول الإنترنت في مارس (1994) رغم أنّ الربط لأول مرة كان في سنة "1993" عن طريق خط هاتفي متخصص دون الاستفادة من خدمات الإنترنت، وفي عام "1994" تم الربط الكامل بشبكة الإنترنت عن طريق كابل من الألياف الضوئية يربط مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني"cerist" قدرت سرعة هذا الربط في البداية بـ"9600 بايت/ثا" وهي سرعة جد بطيئة، وقد تم إقامة المشروع السابق بالتعاون مع منظمة اليونسكو في إطار مشروع إفريقي يعرف بشبكة الإعلام الإفريقي والتي كانت النقطة المحورية للشبكة.

وفي ديسمبر"1997" وبالتعاون مع مصالح البريد والمواصلات، تم تدعيم هذا الكابل بخط متخصص أخر، بعدها لم يعد الدخول إلي الشبكة محصورا فقط على المؤسسات الحكومية، بل أصبح من الممكن للخواص

---

[1]– عبد المالك ردمان الدناني: **تطور تكنولوجيا الاتصال وعولمة المعلومات**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2008)، ص.ص.190.191.

أن يدخلوا للشبكة إذا استطاعوا توفير جهاز إعلام ألي ومودام وخط هاتفي. وفي نهاية أكتوبر 1998 وبموجب اتفاقية أبرمها مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني "cirist" وهيئة "netsat" الأمريكية تم الربط هذا المركز عن طريق واشنطن بواسطة القمر الصناعي "MAA" بقدرة "1 ميغابيت/ثا"أي "2 ميغابيت/ثا" مع برمجة مشروع يرمي إلي إقامة خط للاتصال عبر الأقمار البصرية، وخط آخر للربط عبر الأقمار الصناعية لتفادي أي توقف اضطراري مستقبلا للشبكة. ومع زيادة عدد المشتركين في الإنترنت زاد مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني من طاقته إلي "5 ميغابيت /ثا" وسعت الشركة الخاصة "gecos" إلي مضاعفة قدرة ربطها كذلك، وعلى مستوى لمؤسسات الرسمية صادقت الحكومة على مرسوم تنفيذي رقم "98.25" المؤرخ في "1998/07/25" حدد هذا المرسوم شروط الإستثمار في ميدان الإنترنت حيث سمح بإنشاء موزعين وسطاء خواص على غرار مركز البحث العلمي والتقنيين وهم "gecos""solinet" "cosnet" "benet work" وبهذا يتم رفع احتكار الدولة ويصل اليوم عددهم إلي ما يفوق "80" موزعا كما أن طاقة الربط وصلت اليوم "34 ميغابيت/ثا .[1]

بالنسبة للصحافة المكتوبة، كانت جريدة الوطن الصادرة باللغة الفرنسية هي السباقة في إنتاج نسخة إلكترونية لمثيلتها الورقية ابتداءً من نوفمبر "1997"، أما بالنسبة للصحافة الصادرة باللغة العربية فكانت جريدة الخبر هي الأولى، وهذا في أفريل "1998"وفيما يخص إعداد الصحف الإلكترونية فهناك من تستخدم تركيبة "pdf" وهي تركيبة تعطي النسخة نفسها الورقية في شكلها الإلكتروني، أما تركيبة "HTML" فتتميز بالعرض الجميل للصور والمقالات والعناوين، حيث يمكن قراءتها من خلال "navigateur" مثل"internet explorer" إن الدمج بين التركيبتين "HTML" و"PDF" يضمن ويوفر الامتيازات المشتركة .

والملاحظ أنّ أغلب الصحف الجزائرية على الخط لا تختلف عن نسختها الورقية في المضمون وهناك فقط بعض التعديلات الطفيفة التي نلاحظها على النسخة الورقية .[2] ولكن في السنوات الأخيرة (2012-2015) شهدت الصحف الإلكترونية الجزائرية تطورا ملحوظاً على مستوى الشكل والمضمون، إذ أصبحت هناك خاصية تميزها وهي عملية تحديث الأخبار ومتابعتها عبر فترات زمنية متقاربة خلال اليوم. بالإضافة إلى خاصية التفاعل عبر وسائل التواصل الاجتماعي، إذ سمحت هذه الوسائط لجمهور القراء من المشاركة والتعليق على الموضوعات التي تنشر عبر الصحف الإلكترونية. وفيه العديد من الصحف خصصت فضاءات لنشر الآراء والمقالات والأفكار والمشاركة في سبر الآراء بشكل يومي حول ما يحدث في الوطن العربي والجزائر خصوصاً. فهذه السمات وغيرها جعلت من الصحافة الإلكترونية تشكل خطراً على الصحف الورقية في الجزائر.

- تجربة الصحافة الإلكترونية في الجزائر:

---

[1] Djamel Bouadjimi; **nouvelles technologies de l'information et de la communicationt dévoloppement; l'image de l'algérie à la société de l'information** ; thése de doctorat d'état sciences de l'information et de la communication (faculté des sciences polituques et de la l'information; université d'alger; octobre .2005).

[2] – علي عبد الرحمان عواض: **صحافة الإنترنت في الوطن العربي، الواقع والتحديات،** (الشارقة: كلية الاتصال والدراسات والبحث العلمي،2006)ص.333.

تعد جريدة "Algeria Nterface" هي الجريدة الإلكترونية الأولي عبر شبكة الإنترنت أسسها أحد الإعلاميين "نور الدين خلاصي" صحفي سابق بجريدة "La nation" وهي في الأصل كانت عبارة عن خطة لإصدار جريدة مستقلة في عام 1996، تقدم التقارير وأخبار حول المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمشاركة وكالة التنمية السويدية "sida" ثم تم التخلي لاحقا عن الفكرة وتحول المشروع إلي التفكير في إنشاء جريدة على شبكة الإنترنت اختارت الجريدة اللغتين الفرنسية والإنجليزية في مجال النشر الإلكتروني، ويري "جوفان " وهو أحد السويديين أنه " لولا الإنترنت لما تمكنا من الصدور أبدا " وتمول الصحيفة من قبل وكالة " سيدا " ومساعدة مركز "ألفا بالم" الدولي.

انطلقت جريدة "ألجيري أنترفاس" في العمل في نوفمبر "1999" وكان شعارها نقل الأخبار بشكل موضوعي والمحافظة على المبادئ الأساسية لحرية التعبير وحرية الصحافة والدفاع عن حقوق الإنسان وتعزيز القيم الديمقراطية، وتحولت الجريدة من الصدور من أسبوعين إلي مرة واحدة كل أسبوع.[1]

تعد تجربة الجزائر في مجال استخدام الإنترنت في عالم الصحافة المكتوبة متأخرة بعض الشيء عن زميلاتها في الوطن العربي، فقد بدأت جريدة الشرق الأوسط على الإنترنت يوم "1995/9/9" وتبعتها بعض الصحف العربية منها مجموعة مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر والتي أنشأت موقعها في 1997/02/16.ويضم نسخا من مواقع ل" الجمهورية، المساء، مصر اليوم" تلتها جريدة "الشعب" في أول أكتوبر "1997" ثم تبعتها جريدة" الأهرام" الصباحية في عام "1998" .

أما الجزائر فكان السبق لجريدة الوطن "Elwatan" باللغة الفرنسية في نوفمبر "1997" ثم جريدة "Liberte" في جانفي 1998 فجريدة اليوم باللغة العربية في فيفري 1998، وتلتها جريدة" الخبر" باللغة العربية وهي أكبر جريدة من حيث التوزيع في الجزائر في ذلك الوقت .[2]

الملاحظ على الساحة الإعلامية الجزائرية تأخر ظهور النسخة الإلكترونية من الصحف الورقية على شبكة الإنترنت مقارنة بالدول العربية، وهذا راجع لعدة صعوبات كانت تعاني منها شبكة الإنترنت من انقطاعات متكررة بالإضافة إلي نقص الفنيين والتقنيين في مجال التحرير على شبكة الإنترنت وهذا ما جعل الصحافة الإلكترونية تتأخر نوعا ما في الجزائر.

والجدول الآتي يوضح تتابع إنشاء المواقع الإلكترونية لأهم الصحف في الجزائر:[3]

الصحيفة	الموقع	تاريخ إنشاء الموقع	الملكية
Elwatan	www.elwatan.com	نوفمبر1997	مستقلة
Liberte	www.liberté.alger.com	جانفي1998	مستقلة
اليوم	www.elyoum.com	فيفري1998	مستقلة
الخبر	www.elkhabar.com	أفريل 1998	مستقلة

[1] – هاني راهب: **مجلة العربي**، العدد، 443، أكتوبر، 1995، ص.66.

[2] – محمّد شطاح: **قضايا الإعلام في زمن العولمة بين التكنولوجيا والإيديولوجيا**، (الجزائر: دار الهدى، 2006)، ص.ص.125.127.

[3] – المرجع السابق: ص.128.

الشعب	www.ech-chaab.com	جوان 1998	عمومية
Elmoudjahid	www.elmodjahid.com	جويلية 1998	عمومية
Lematain	www.lematin.dz.com	أكتوبر1998	مستقلة
Le soir d'algerer	www.lesoir.com	نوفمبر 1998	مستقلة
El acil	www.elacil.com	مارس 2000	مستقلة

ابتداء من عام 2000 إلي غاية 2015 تعددت الجرائد الإلكترونية الجزائرية على شبكة الإنترنت وفي مختلف التخصصات والميادين وتطورت مواقعها وأصبحت في متناول العديد من الفئات في المجتمع وأصبحت أغلبية الصحف الصادرة بالجزائر سواءً باللغة العربية أو باللغة الفرنسية تمتلك موقعا إلكترونيا عبر النت، بالإضافة إلي الروابط التفاعلية ومواقع التواصل الاجتماعي التي أتاحت فضاءات كبيرة لمختلف فئات الجمهور للتفاعل مع المواد المنشورة عبر الصحف، ومن بين الصحف الموجودة حاليا عبر شبكة الإنترنت نجد:

الخبر، الخبر الأسبوعي، أخر ساعة، الشروق اليومي، النهار الجديد، جزائر نيوز، الشعب، البلاد، الفجر، النصر، حوادث الأخبار، صوت الأحرار، اليوم، الأصيل، المساء، الهداف، الشباك .....وغيرها من الجرائد الإلكترونية اليومية والأسبوعية الناطقة باللغة العربية.

ومن الجرائد الإلكترونية الناطقة باللغة الفرنسية في الجزائر نجد:

"El moudjahid; Elwatan; Horizons; Infosoir; L'authentique; L'echod'oran; L'expression; La Dépéche de kabylie; Lanouvelle république; La tribune; Le buteur; Le courrier d'algérie; Le jeune indépendant; Le jour d'algérie; Le magheb; Le quotidien d'oran; Le soir d'algérie; Liberté.[1]

2-1.الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي.

دخل العالم العربي عالم الإنترنت دون أن يتأخر كثيرا عن العالم، ويمكن أن نعتبر الإنترنت أسرع وسيلة اتصال تبناها العرب بعد أن تبناها الغرب بسنوات قليلة، مقارنة مع انتشار الطباعة والراديو والتليفزيون في الوطن العربي، حيث أخذت المواقع العربية في الشبكة تنمو باستمرار لتشمل أوجها مختلفة للوجود العربي في تقديم الثقافة العربية والإسلامية ابتداءً بالقرآن الكريم بالمكتوب والمسموع والتفاسير المختلفة والحديث النبوي الشريف وتعليم اللغة العربية وآدابها التي تقدمها جهات عربية وغير عربية فضلا عن الوجود الاقتصادي من خلال مواقع المؤسسات المالية والشركات ومواقع البيع على الشبكة والتجارة الإلكترونية .[2]

تعد صحيفة " الشرق الأوسط " أول صحيفة عربية إلكترونية تصدر عبر شبكة الإنترنت وكان ذلك في "التاسع من سبتمبر 1995" وكانت عبارة جملة من الصور المختلفة في ميادين متنوعة، وكانت الصحيفة العربية الثانية التي تصدر عبر شبكة النت، "صحيفة النهار اللبنانية" وذلك يوم" 1يناير 1996"، ثم جاءت بعدها جريدة "الحياة " في الأول من" يونيو 1996"، و"جريدة السفير" في نهاية العام نفسه.[3]

[1] – جمال بوعجيمي، بلقاسم بن روان: الصحافة الإلكترونية في الجزائر، واقع وأفاق، **مؤتمر صحافة الإنترنت في العالم**، الواقع والتحديات، (جامعة الشارقة: كلية الاتصال،23/22/نوفمبر، 2006)، ص.338.

[2] عبد الأمير الفيصل: الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005)، ص.179.

[3] – السيد بخيت: **الصحافة الإلكترونية العربية إلي أين ؟**، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2000)، ص.121.

ثم توالت الصحف العربية في إنشاء مواقع لها على شبكة الإنترنت، حتى أنه لا تكاد دولة تخلو من وجود مواقع لصحفها على شبكة الإنترنت. وإن قليل من الصحف العربية وثقت مادتها على الأقراص الصلبة "CD" منها الحياة التي تقدم محتوياتها على شكل نصوص قابلة للتعديل والتخزين من جديد بعد الإسترجاع من دون أي تغيير للنصوص الأصلية المحفوظة على القرص المدمج، وقد بدأت عملية التوثيق منذ عام "1995" باسم أرشيف الحياة الإلكتروني، أما صحيفتا السفير والنهار اللبنانيتان فهما توفران محتوياتهما على شكل صور للحقبة السابقة ونصوص قابلة للتعديل والتخزين للحقبة الحديثة، وقد أعلنت الصحيفتان مبادرة توثيق محتوياتهما إلكترونيا خلال ندوة حول وسائل الإعلام متعددة الوسائط عقدت في بيروت في "11"تموز.1997". [1]

ولكن ما يحصل حاليا عبر شبكة الإنترنت في الصحافة الإلكترونية العربية غير ما هو كان حاصل في الماضي، حيث عرفت الصحافة الإلكترونية العربية تطورا مذهلا في عناصر التفاعلية والروابط الموجودة عبر مواقعها كما أنها تطورت من حيث الإخراج والتصميم الفني .

وبالرغم من تنامي أعداد الصحف العربية على شبكة الإنترنت إلا أنّ بعض الدراسات تشير إلي أنه رغم الحضور الواضح لهذه المطبوعات الإلكترونية إلا أنه حضور لا يتماثل مع النمو الهائل للمطبوعات الإلكترونية عالميا، خاصة فيما يتعلق بتناسب هذه الأرقام مع أعداد الصحف العربية وعدد الدول والسكان في الوطن العربي، حيث تواضع نسبة مستخدمي الإنترنت العرب قياسا إلي العدد الإجمالي للسكان في الوطن العربي ويضاف إلي محدودية الصحف الإلكترونية العربية محدودية الاستخدام الأمثل لإمكانيات النشر الإلكتروني الذي توفره شبكة الإنترنت.[2]

يتضح مما سبق أنّ الصحافة الإلكترونية العربية تواجهها عدة تحديات تعوق تميزها ومنافستها لمثيلتها الأجنبية وأهم هذه التحديات :

- ضعف عائد السوق "القراء والمعلنين".
- عدم وجود صحفيين وتقنيين مؤهلين لإدارة وتحرير الطبعات الإلكترونية.
- المنافسة الشرسة من مصادر الأخبار والمعلومات العربية والدولية والأجنبية التي أصدرت طبعات إلكترونية منافسة باللغة العربية .
- عدم وضوح مستقبل النشر عبر شبكة الإنترنت في ظل عدم وجود قاعدة جماهيرية واسعة.[3]

- **بعض الصحف العربية الموجودة حاليا عبر شبكة الإنترنت:**

الصحيفة	بلد الصدور
الحياة	لندن
الشرق الأوسط	لندن

[1]– عبد الأمير الفيصل: مرجع سابق، ص.207.

[2]رضا عبد الواجد أمين: **الصحافة الإلكترونية**، (القاهرة:دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2007)، ص.ص.117.116.

[3]- http://www.emeraldinsight.com/0002-253x.htm.

صوت العروبة	الولايات المتحدة
الرياض	السعودية
الأهرام	مصر
الرأي العام	الكويت
النهار	لبنان
مجلة العربي	الكويت
بوابة العرب	الكويت

3-1.تطور الصحافة الإلكترونية في العالم: منذ خمسين عاما كانت الصحف ترسل عبر موجات الراديو إلي عشرات الآلاف إلي المنازل عن طريق أجهزة الفاكس، وكانت النسخة تكلف من خمسين إلي مائة دولارا كما عرفت الصحافة محاولات لإرسال الصحف بطريقة الفيديو تكس (videotex) في بداية الثمانينات وذلك باستخدام خطوط التليفون ليتم استقبالها على شاشات التليفزيون أو شاشات الكمبيوتر في المنازل مقابل اشتراك شهري، ولكن انخفاض وضوح الصورة، بالإضافة إلي بطء الاستعراض جعل قراءة الصحف عملية صعبة، وكان استقبال الورقية أرخص كثيرا من استقبالها بهذه الطريقة. كما بدأت بعض الشركات في الثمانينات مثل كمبيوسرف Compuserve) في تقديم طبعات إلكترونية من الصحف القومية في الولايات المتحدة في إطار تجريبي، ولم تستمر هذه المحاولات بسبب تكلفتها العالية .[1]

يقول "شيدين " إن عام "1981" يمثل أول بداية حقيقية لظهور الصحافة الإلكترونية الشبكية عندما قدمت " كومبيوسيرف" خدماتها الهاتفية مع"11" صحيفة مشتركة في "الأسوسيتد برس" وكانت أول صحيفة تقدم خدماتها للجمهور هي "كولومبس ديسباتش" أما الصحف الأخرى فتشمل أيضا واشنطن بوست" و"نيويورك تايمز" إلا أنّ هذه الخدمة توقفت في "1982" بعد انفضاض الشراكة، تبع ذلك ظهور الخدمات الصحافية في قوائم الأخبار الإلكترونية "Bulltin Boardsystem " "BBS" في سنوات "1985" إلي "1988" وقد تواجدت صحف مختلفة في هذا النظام مثل "هاملتون سبيكتاتور " من أنتاريو بكندا، وفي عام "1987" ميد لسكس نيوز في ماسوشيتش موقعا مماثلا.[2] وقد تضاربت الآراء حول أول جريدة إلكترونية تصدر في عالم عبر شبكة الإنترنت، وبهذا نجد عدة اختلافات بين المفكرين في ذلك .

وبانتشار الأنترنت في التسعينيات بدأت الصحف في التواجد على شبكة الإنترنت وساعد ذلك عدة أسباب:

- أنّ الصحف المطبوعة كانت تعاني من الانخفاض المستمر في معدلات القراءة .
- زيادة تكلفة الإنتاج والتوزيع.

---

[1]– حسني محمّد نصر: **الأنترنت والإعلام، الصحافة الإلكترونية**، (العين: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2003)، ص.13.

[2]– علي عبد الرحمان عواض: **صحافة الإنترنت في العالم العربي، الواقع والتحديات**، (الشارقة: كلية الاتصال والدراسات والبحث العلمي، 2006)، ص.182.

- انخفاض عائدات الإعلان بعد تحول المعلنين إلي وسائل إعلان أخرى.

كانت الدوافع التي قادت الصحف المطبوعة إلي الدخول عالم النشر الإلكتروني وإصدار طبعات إلكترونية هي:

- أنّ الصحف أرادت أن تحجز لها مكانا على الطريق السريع للمعلومات إلي حين تقرر كيف يمكنها تحقيق ربح مادي عن طريق النشر الإلكتروني .

- أنّ بعض الصحف دخلت إلي هذا المجال تخوفا من أن تسبقها الصحف المنافسة.

ففي أوائل التسعينيات اتجهت الصحف إلي البحث عن وسائل لتوزيع المعلومات إلكترونيا، فأرتبط بعضها بشركات تقديم خدمات الإنترنت، وجرب البعض الأخر إرسال نسخ بالفاكس إلي القراء، وتقديم نشرات موجزة على أجهزة الكمبيوتر، بالإضافة إلي محاولات أخرى لإرسال الخدمة الصحفية باستخدام الأقمار الصناعية والبريد الإلكتروني واستمرت هذه المحاولات على هذا النحو حتى ظهور الشبكة العنكبوتية الدولية الذي أدخل الصحافة عصر لتوزيع الإلكتروني الجماهيري .[1]

في بداية التسعينيات بدأت المؤسسات الصحفية تترك خدمات الفيديو تكس إلي الخدمات الكومبيوترية الشبكية بالطلب الهاتفي من خلال أميركا أونلاين وبرودوغي وكمبيوسرف، وفي عام "1990" ظهر في سيرين بسويسرا أولا النماذج التجريبية للويب التي انطلقت في العالم اللاحق، وحتى إلي هذا التاريخ"1991" لم تكن هنالك أية صحيفة على الإنترنت، ومن أبرز الجهات الصحفية التي أنشأت موقعا على شبكة أميركا أونلاين هي "شيكاغو أونلاين " في عام "1993" كأول صحيفة صدرت بواسطة شيكاغو تربيون وفي العالم اللاحق "1993" استضافت شبكات كمبيوسيرف وأميركا أولاين عددا جديدا من الصحف، وبحسب "كاواموتو" فإن موقع الصحافة الأول على الإنترنت انطلق في نوفمبر "1993" في كلية الصحافة والاتصال الجماهيري في جامعة "فلوريدا " هو موقع" بالو التواونلاين palo alto) وألحق به موقع أخر في "19 يناير 1994" هو ألتو بالو ويكلي لتصبح الصحيفة التي تنشر بانتظام على الإنترنت.[2] وهناك من يري بأنّ أول جريدة إلكترونية تصدر على شبكة الإنترنت هي صحيفة (هيلز نبورج داجبلاد) السويدية، حيث تعد السويد من الدول التي لها نشاط كبير في الإنترنت مثل الولايات المتحدة وكندا. في حين يرى البعض الأخر أنّ صحيفة "تريبيون"Tribune" الأمريكية التي تصدر من ولاية نيو مكسيكو أول صحيفة ورقية تخرج للإنترنت كما ذكرنا سابقا، كما تعد صحيفة "يوإس إيه توداي" "USA Today" الأمريكية اليومية أول صحيفة كبرى تخرج إلي الإنترنت مستخدمة النص الفائق .[3]

وفي عام 1993 كان هناك "20" صحيفة وعدد قليل من المجلات والنشرات تنشر إلكترونيا وبمرور الوقت، وفي منتصف التسعينيات أصبحت غالبية الصحف لها مواقع على الشبكة .

في أبريل من عام "1996" أعلن اتحاد الصحافة الأمريكي "NAA" أنه أصبح هنالك "175" صحيفة يومية في أمريكا الشمالية موجودة على الشبكة والعدد الموجود في أنحاء العالم يبلغ "775" إصدارة صحافية وقد

---

[1]– رضا عبد الواحد أمين: مرجع سابق، ص.114.

[2]– علي عبد الرحمان عواض: مرجع سابق،ص.178.

[3]– رضا عبد الواحد أمين: مرجع سابق، ص.114.

بلغ عدد الصحف الإلكترونية حوالي "3250" موقعا بحسب إحصاء مجلة ""The publisher editor وفي عام "1999" أصبح هناك "2800" موقعا صحفيا حول العالم بحسب إحصاء ذات الجهة، وقد وصل عدد الصحف الإلكترونية إلي "5 ألاف " صحيفة في إحصاء مماثل في عام "2004" أو أكثر بكثير من ذلك .[1]

[1]- علي عبد الرحمان عواض: مرجع سابق،ص.179.

جدول يوضح عدد الصحف في العالم .[1]

السنة	عدد الصحف الإلكترونية
1993	20
بداية 1996	154
أكتوبر 1996	1562
منتصف 1997	3622
نهاية 1997	4000
2002	5000
2004	أكثر من 5000

خلال هذه المراحل المختلفة مرت الصحافة الإلكترونية الشبكية بعدة مراحل يطلق عليها فن " كروسبي" "vin crosbie" الموجات الثلاث وقد طرح رؤية خاصة بمراحل تطور الصحافة الإلكترونية الشبكية في المؤتمر الثالث لصحافة الإنترنت لعام 2001 بجامعة تكساس بأوستن أطلق عليه الموجة الثالثة لصحافة الإنترنت الشبكية، يري فيها أنّ تاريخ هذه الصحافة ظل محل شد وجذب في أحقية التحكم على الشبكات بين ملاك المؤسسات الإعلامية والشبكات من ناحية أخرى وعلى مدى عشرون عاما هي عمر هذه الصحافة الناشئة تخلص الجمهور من حالة السلبية والتغذية من طرف واحد إلي حالة المشاركة، والمؤسسات الإعلامية التي استوعبت هذه النقلة هي وحدها التي استمرت في العمل .

ثانيا: مؤشرات انتشار الصحافة الإلكترونية وأهم المشكلات التي تطرحها.

2-1. مؤشرات الانتشار.

لقد رسخت الصحافة الإليكترونية وجودها عبر هذا الزمن القصير نسبيا وأصبح لها تقاليدها ومعاييرها الخاصة بها، والأكثر أهمية إنها استطاعت أن تستقطب جمهورا واسعا على حساب جمهور الصحافة التقليدية هذا ما تعكسه العديد من المؤشرات :

- النمو الهائل في أعداد الصحف والمواقع الإخبارية وذات الصلة على شبكة الإنترنت وكذلك أعداد زوار وجمهور هذا النوع من الصحافة.

- أغلب وسائل الإعلام والصحف التقليدية أنشئت لها مواقع على شبكة الإنترنت وراحت تقدم موادها وخدماتها لمستخدمي الإنترنت وتفسح مساحات واسعة لهذا الأمر، بل إن بعض الصحف التقليدية الكبرى مثل صحيفة "كريستيان ساينس مونتر" قد أغلقت طبعتها الورقية واكتفت بوجودها من خلال صحيفة إليكترونية على الإنترنت والشيء نفسه مع صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية.

- نزوع الصحف التقليدية "المطبوعة" إلى استعارة بعض من خصائص وسمات الصحافة الإليكترونية لغرض المواكبة والمنافسة مثل النزعة نحو زيادة المادة البصرية أو ما يسمي بالصحافة البصرية visual journalism، وكذلك طريقة تصميم وإخراج الصحف التي باتت تشبه بمنظر صفحاتها الأولي مواقع الإنترنت

[1] – حسني محمّد نصر: مرجع سابق،ص.93.

من حيث الترتيب والمحتوى وأسلوب إشارات لما تتضمنه الصفحات الداخلية من مواضيع توضع في مربعات على الصفحة الأولي.[1]

2-2. أهم المشكلات التي طرحتها:

1- إن النشر عبر شبكة الإنترنت يمكن أن نعتبره منفذا للممنوعين من إصدار صحف ورقية أو امتلاك محطات فضائية، ويدخل في هذا الإطار الأحزاب والجماعات الضاغطة والفصائل السياسية التي يمكن أن تؤسس لها موقعا على الشبكة وتنشر من خلاله ما تريد .

2- قضية الرقابة على المادة الصحفية المنشورة، ذلك لأنّ المادة المطبوعة ورقيا يمكن مراقبتها ووضع كتابها تحت إطار المحاكمة في داخل الوطن، أو النفي والسجن وغيرها من العقوبات التي قد يتعرض لها الصحفيون أو المؤسسة الإعلامية .

3- إن النشر عبر الصحف الإليكترونية يعتبر ذلك تدعيما لمبدأ حرية الصحافة سواء على القطر الوطني الجزائري أو على المستوى العربي والعالمي، إذ من خلالها يمكن النشر بحرية بعيدا عن المعايير التي يلتزم الصحفي أو المحاذير التي ترد في ذهنه وهو يكتب .

4- يعتبر البعض أنّ النشر عبر شبكة الإنترنت سيلغي مسألة خصوصية النظم الصحفية من حيث طرق إصدار الصحف أو التأمين المالي أو تحديد من هم الذين يعملون في الصحيفة أو علاقة الصحيفة بالسلطة السياسية في الدولة التي تصدر فيها وبالتالي هل يمكن أن يؤدي ذلك إلي نظام صحفي واحد يتسم بالعالمية وتحكم خصائصه كل الصحف المنشورة عبر الشبكة بصرف النظر عن اللغة التي تصدر بها والمكان الذي تبث منه والأطقم القائمين عليها والفلسفة الحاكمة لسياسة المؤسسة الإعلامية .

5- إن النشر عبر شبكة الإنترنت سيحول دون احتكار جماعات قليلة في كثير من دول العالم الثالث لمطابع وأجهزة التوزيع والتسويق للصحف التي تصدر في هذه الدول.

6- النشر عبر الشبكة سيلغي المصطلحات التي دأب الأكاديميون في شرحها وتحديد خصائصها مثل الصحف الإقليمية أو الصحف القومية أو الصحف الدولية باعتبار أنّ الصحيفة التي تنشر عبر الشبكة تغطي هذه الأرجاء جميعا.

7- إن النشر عبر شبكة الإنترنت سيؤثر على كم القراء الذين يتعرضون للصحف الورقية بمعني ستصبح الصحف الإليكترونية بديلا لكثير من القراء عن الصحف الورقية .

8- إن النشر عبر شبكة الإنترنت والذي يجوب المعمورة الكونية سيمثل اتصالا ثقافيا وحضاريا بين شعوب الأرض من أجل التواصل والحوار بين الثقافات والأديان.

9- إن النشر عبر النت سوف يعرف خروقات وتجاوزات فيما يخص حقوق المؤلف التي يمكن انتهاكها بسهولة كبيرة جدا في ظل التطور التكنولوجي الرهيب .

[1]– جاسم محمّد الشيخ جابر: **الصحافة الإليكترونية العربية، المعايير الفنية والمهنية**، أبحاث المؤتمر الدولي: الإعلام الجديد، تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، (البحرين: جامعة البحرين، 7.9 أبريل، 2009) ص.394.

10- إن النشر الإليكتروني رغم انتشاره الكبير عالميا وعربيا ومحليا إلا أنه لن يستطيع القضاء على الصحف الورقية نظرا لميزات وسمات كل وسيلة اتصالية ووظائفها في الحياة الاجتماعية، كما أنه لم توجد وسيلة إعلام قضت على الوسيلة السابقة لها، وإنما تعايشت معها في ظل خصوصية كل واحدة، كما أنّ بعض الصحف الإليكترونية تتطلب جهاز كمبيوتر وهذا أمر من الصحف أن يتاح لكل القادرين على القراءة، بينما الصحيفة الورقية فهي تتاح لكل هؤلاء، كما أنّ مطالعة الصحف الإليكترونية يتطلب ظروفا أصعب من قراءة الصحيفة الورقية فهذه الأسباب وأخرى قد تكون كافية للبرهان على أن التطور التي تشهده الصحف الإليكترونية لا يمكن أن يضع حدا لانتشار الصحف الورقية .

ومع تطور وسائط الاتصال والإعلام الحديثة نلاحظ بأنّ ذلك في خدمة الصحافة الإليكترونية مما يزيد من حدة انتشارها بأشكال مختلفة وهذا ما قد يثبت أو ينفي الفرضيات التي طرحت من قبل والإجابة عن ذلك تتطلب من الباحثين مستقبلا توضيح ذلك في بحوث أكاديمية.

ثالثا: خدمات الصحافة الإلكترونية.

3-1. خدمات الصحافة الإلكترونية.

تتنوع خدمات الصحف الإليكترونية بتنوع أشكالها ومواضيعها ومجالاتها عبر شبكة الإنترنت فقد تجتمع هذه الصحف على بعض الخدمات المشتركة ولكن قد توجد خدمات تتيحها هذه الصحيفة لا توجد في صحيفة أخرى وهذا على حسب إمكانات الصحيفة ومن بين هذه الخدمات التي تقدمها الصحف الإلكترونية للقراء نجد مايلي:

- **خدمة البحث**: حيث تتيح الصحيفة الإليكترونية لمستخدميها خدمة البحث داخلها أو داخل شبكة الويب، وبعض هذه الصحف يتيح هذه الخدمة لفترة زمنية محددة أو أقل أو أكثر، وتقدم بعض الصحف رؤوس الموضوعات ثم تطالب بالحصول على رسوم مالية محددة إلي تفاصيل الموضوع، وبعض الصحف تشترط الدخول على مزود الخدمة الخاص بالمؤسسة لإتاحة خدمة البحث، وتتفاوت قوة وكفاءة خدمة البحث من صحيفة إليكترونية إلي أخرى، بل وتختفي هذه الخدمة من بعض مواقع الصحف العربية .[1]

-**خدمة البحث في الأرشيف:** بإمكان قراء الصحف الإلكترونية العودة بكل سهولة إلي الصحف الإلكترونية للبحث في أرشيفها وعن الأعداد السابقة والاطلاع عليها دون عوائق أو صعوبات كما يمكن للقراء التفاعل عبر الروابط التفاعلية الموجودة عبر موقع الجريدة لتقديم النقد والردود والمشاركة في استطلاعات الرأي وغيرها من الخدمات .[2]

- **خدمة قراءة عدد اليوم أو الأمس من النسخة المطبوعة:** وتقتصر هذه الخدمة على الصحف الإليكترونية الكاملة " المختلفة عن الصحيفة الورقية " إذ يتيح الموقع للمستخدم إمكانية مطالعة النسخة الورقية وما بها من موضوعات مختلفة إلي حد كبير عن محتويات الصحيفة الإلكترونية، فعلي سبيل المثال

[1]– حسيني محمّد نصر: الإعلام والإنترنت والصحافة الإليكترونية، مرجع سابق، ص.ص.112.111.

[2]– عبد الأمير الفيصل: الصحافة الإليكترونية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص.ص.115.114، بتصرف .

تقدم صحيفة " يو أس أي توداي" الأمريكية هذه الخدمة تحت عنوان "" print edition ضمن ما تقدمه من خدمات مرتبطة بالصحيفة الورقية وتتيح فيها تصفح عدد اليوم والأمس.[1]

- **خدمة البريد الإلكتروني:** وتختلف هذه الخدمة من صحيفة إلي أخرى، إذ يقتصر الأمر في الصحف الصغيرة على إتاحة الفرصة أمام المستخدم لتوجيه رسائل إلكترونية إلي محرري الصحيفة أما الصحف الإلكترونية الكبيرة فأنها توسع من نطاق هذه الخدمة لتقدم خدمة إنشاء بريد إلكتروني شخصي على الموقع يمكن المستخدم من إرسال واستقبال الرسائل البريدية على أي جهاز كمبيوتر متصل بشبكة النت في أي وقت كما تقدم نشرة إخبارية يتم إرسالها يوميا للمستخدم على عنوان بريده الإلكتروني تتضمن ملخصات الأخبار وخدمات ملخصة أخرى، وتهدف الصحيفة الإلكترونية من وراء ذلك إلي ربط المستخدم بالموقع أطول فترة ممكنة خلال الاستخدام حتى لا يغادره للقيام بأنشطة البريد الإليكتروني من مواقع أخرى .[2]

-**خدمة تقديم الإعلانات للصحيفة المطبوعة** :من خلال نشر أسعار الإعلانات في الصحيفة الورقية وطبيعة الخدمات الإعلانية التي تقدمها، بالإضافة إلي سبل الاتصال بقسم الإعلانات وطلب نموذج نشر إعلان بالصحيفة.

- **خدمة الاشتراك في الصحيفة الورقية** :وهي خدمة تقدمها الصحيفة الإلكترونية للصحيفة الورقية تتيح من خلالها للمستخدم الاشتراك في الصحيفة الورقية، من خلال تقديم المعلومات الخاصة بالاشتراك بطريقة سهلة، وتسديد الرسوم باستخدام بطاقات الائتمان .[3]

خدمة مجموعة الحوار: وهي خدمة تقدمها الصحيفة للمتصفحين للتعبير عن أرائهم في القضايا والموضوعات التي يهتمون بها والمستمدة مما تنشره الصحيفة من أخبار وتقارير ومقالات، وتقدم الصحيفة الإلكترونية عددا كبيرا ومتغيرا وبشكل يومي من مجموعات الحوار أو النقاش التي يمكن للمتصفح الدخول إليها وقراءة أراء الآخرين والإدلاء برأيه في الموضوع المطروح.[4]

- **السرعة والحرية في الحصول على الموضوعات التي يحتاجونها القراء في حياتهم اليومية والعلمية،** وقد تكون هذه المعلومات والبيانات من المستحيل الحصول عليها من الصحافة الورقية، كما تتوزع وتتشعب المواضيع من رياضية وسياسية واقتصادية وثقافية ودينية وترفيهية مما يفتح الباب أمام القراء للاختيار ما يتماشي مع رغباتهم واحتياجاتهم الشخصية ولهذا تعد الصحف الإلكترونية الأكثر تنوعا وشمولا وتفاعلا من الصحف المطبوعة.[5]

- **خدمة الإرشاد إلي الموضوعات المهمة:** وتختلف مسميات هذه الخدمة من صحيفة إلي أخرى، إذ تطلق عليها صحيفة"يو أس أي تو داي " الأمريكية الموضوعات الساخنة وتطلق عليها صحيفة واشنطن بوست

---

[1]- رضا عبد الواجد أمين: مرجع سابق، ص103.

[2]- حسني محمّد نصر: مرجع سابق، ص، 118.

[3]- رضا عبد الواجد أمين: مرجع سابق، ص، 103.

[4]- حسني محمّد نصر: مرجع سابق، ص، 104.

[5]- عبد الأمير الفيصل: مرجع سابق، ص، 115.

الأخبار المهمة، بينما تطلق عليها صحيفة واشنطن تايمز خدمة آخر الأخبار، وأيا كانت التسمية فإن هذه الخدمة تقدم للمستخدم عناوين أهم الأخبار من وجهة نظر الصحيفة التي يمكن أن يطالعها على الفور دون الدخول في تفاصيل الموقع وهي خدمة إرشادية في المقام الأول ترشد القارئ إلي أحدث وأهم الأخبار.

- **خدمة خريطة الموقع**: وتعني هذه الخدمة تقديم محتويات الموقع بطريقة مبسطة وسهلة للمستخدم خاصة إذا كان الموقع مزدوجا بالتفاصيل والخدمات مثل مواقع الصحف الإلكترونية الكبيرة.

- **خدمة الإجابة عن الأسئلة**: وتتضمن هذه الخدمة الإجابات عن الأسئلة التي يمكن أن يطرحها المستخدم حول طريقة الاستعراض أو المشكلات التي قد يواجهها أثناء استعراض الموقع وتماثل هذه الخدمة خدمة المساعدة التي يتم تزويد برامج الكمبيوتر بها.[1]

- **خدمة الربط بالمواقع الأخرى:** وفي هذه الخدمة تقترح الصحيفة على المستخدم عددا من المواقع التي تراها مهمة له، وغالبا ما تكون هذه المواقع ذات صلة بالصحيفة، أو بينها وبين الصحيفة اتفاق على تبادل اقتراح المواقع على المستخدمين.

- **خدمة الوظائف المتاحة في الصحيفة:** وفيها تقدم الصحيفة الشواغل المتاحة فيها سواءً للصحفيين أو المراسلين أو الفنيين وكيفية التقدم لها وشروط شغلها وتأخذ هذه الخدمة مسميات متعددة مثل " job at usa today" في "اليو أس أي توداي" و" jobs ;joinus" في صحيفة الواشنطن بوست.[2]

رابعا: التحديات التي رفعتها الصحافة الإلكترونية في وجه الصحافة الورقية :[3]

- إمكانية إضافة الوسائط المتعددة " multimidia " إلى جانب النص والأحرف، حيث يمكن إضافة الصوت والصورة والفيديو وغيرها من التأثيرات، فالخبر يقدم بكل تفاصيله الصوتية والمرئية والألوان عكس ما هو موجود في الصحف الورقية .

-الصحف الإلكترونية تكون سباقة للتحديث، مما يجعلها سباقة في نشر الأخبار والمعلومات لحظة وقوعها وشتان الفرق في أن يجد القارئ نفسه أمام الحدث لحظة وقوعه، وفي أن يجد القارئ نفسه منتظرا صدور الصحف المطبوعة في نسختها الورقية. وخير دليل على ذلك هو إطلاعنا على أخبار اليوم قبل صدور النسخة الورقية. في الجزائر مثلا بإمكان القارئ معرفة أخبار اليوم الموالي في منتصف الليل، قبل نزول النسخة الورقية للأسواق .

-إمكانية تشخيص الصحف لكل قارئ على حدا، وذلك على حسب ميوله واهتماماته الشخصية، فيمكن للقارئ أن يصمم الصحيفة الإلكترونية الخاصة به ويحدد نوعية وكم الأخبار والمعلومات التي يريد معرفتها دون غيرها من دون تضييع الوقت والجهد.

-إمكانية التفاعل مع القارئ، فالقارئ هنا يستطيع التحاور والمناقشة وإبداء الآراء مع الكتاب والنقاد والقراء الآخرين حول نقاط مختلفة .

---

[1]- حسني محمّد نصر: مرجع سابق،ص، 121.

[2]- المرجع السابق،ص، 122.

[3]- حسنين شفيق: **الإعلام الإلكتروني**، (القاهرة: دار الكتب العلمية، ط2، 2006)، ص.ص.58.39.

-إمكانية تطوير الإعلان واستغلال الإعلانات بشكل أفضل، حيث يمكن إدخال التجارة الإلكترونية المباشرة من موقع الجريدة على الشبكة إلي موقع المعلنين دون عناء .

-إمكانية الاطلاع على الأرشيف الإلكتروني للأعداد السابقة من الصحيفة بكل يسر وسهولة عبر قاعدة البيانات الخاصة بالجريدة .

-التغيرات التي طرأت على عناصر العملية الاتصالية، فثمة تغيرات ستحدث وتؤثر على كافة أطراف العملية الاتصالية (الرسالة، القائم بالاتصال، الشكل العام للوسيلة، المستقبل، التغذية الراجعة)

يرى العديد من المفكرين أن الإنترنت لن تقض على الصحافة الورقية المطبوعة وذلك لما يلي:

-لم توجد وسيلة إعلامية قضت على الوسيلة السابقة عليها، إنما تعايشت معها في ظل خصوصية كل واحدة .

- قراءة الصحف الإلكترونية تتطلب ظروفا أصعب من قراءة الصحف العادية إذ يمكن أن تقرأ الصحيفة الورقية في المنزل أو العمل أو القطار، أو في أي مكان تتوافر فيه متطلبات القراءة، بينما الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لقراءة الصحيفة الإلكترونية من خلال جهاز الكمبيوتر الذي يتطلب مكانا خاصا علما بأنّ التكنولوجيا الحديثة قد أوجدت الحاسب المحمول الذي لا يتطلب أن يكون ثابتا في مكان مستقر بل متحرك مع صاحبه.

- تعود الأجيال الحالية عبر سنوات طويلة على قراءة الصحف الورقية المطبوعة، وهذا يجعل من الصعب التخلي بين يوم وليلة عن هذه العادة.

- وفي ظل تطور الإنترنت وتطور الصحافة الورقية المطبوعة سوف يحدث نوع من التعايش بين الصحافة الإلكترونية وشقيقتها الورقية، وسوف تصبح الأولى قاعدة للثانية وسوف تساهم الصحافة الإلكترونية في دعم الصحافة الورقية وانتشارها أكثر لأن الأصل هو الصحافة الورقية، ولهذا إلغاءها يعد أمرا صعبا للعديد من الأسباب " صحية، نفسية، تجارية، معلوماتية ....".

خامسا: العلاقة بين الصحافة الورقية والصحافة الإلكترونية.

1-5. مستقبل العلاقة بين النوعين من الصحافة.

المتتبع لتطور وسائل الاتصال والإعلام عبر العصور والمراحل التاريخية يصل في النهاية إلي تأكيد فرضية أن ظهور وسيلة اتصالية وإعلامية جديدة لم ينفي أو يقضي على الوسيلة التي سبقته بالظهور، وإنما ظهور الوسيلة الجديدة يكون دعما وتطويرا للوسيلة التقليدية، فظهور الصحافة الورقية وتطورها في العالم يعتبر حدثا في تطور وسائل الاتصال والإعلام حيث قدمت الصحافة المطبوعة العديد من الخدمات للجماهير والشعوب والدول، حيث كانت رمزا لحرية التعبير والرأي ونشر مبادئ الديمقراطية بين الشعوب، والدفاع عن حقوق الإنسان، كما أنها كانت وسيلة في تحرير العديد من الشعوب من خلال إسماع صوت الثورة في العالم. وبعدها مباشرة ظهر الراديو والذي يعتبر قفزة مدهشة في تطور وسائل الإعلام الجماهيرية، وهناك من كان يظن بأن ظهور الراديو سوف يقضى على الصحف المكتوبة بشكل نهائي، ولكن ما حدث هو العكس تماماً. فتميز الصحف المكتوبة بسمات وخصائص عن وسيلة الراديو جعل لها مكانة خاصة لدى القراء. فالصحيفة تركز على التفاصيل والتحاليل، أما الراديو فيعتمد على الصوت والاختصار في تقديم الأحداث والأخبار، وبهذا

يكون الراديو قد ساهم بشكل أو بآخر في الحفاظ على مكانة الصحف المكتوبة لدى جمهورها الخاص. والشيء نفسه حدث مع ظهور التليفزيون وتطوره الذي انتقل بنا من عالم الصوت والمطبوع إلي عالم جديد يختلف عن الوسائل التي سبقته حيث جمع بين الصوت والصورة المتحركة والألوان وغيرها من تقنيات إرسال واستقبال الصورة، وأحدث التلفزيون ضجة كبيرة أثناء ظهوره وخصوصا عندما أصبح بالألوان، ولكن رغم ما قدمه التليفزيون من خدمات كبيرة للجماهير اعتمادا على تقنيات إخراج عالية وفنيات في التقديم وجمعه بين الصورة المتحركة والصوت إلا أنه لم يقض على خدمات الراديو وأصبح هذا الأخير ينفرد بخصائصه عن التليفزيون، وهذا ما يحدث اليوم بظهور الإنترنت وتعدد خدماتها وظهور عبر مواقعها ما يسمي بالصحافة الإلكترونية التي أصبحت منتشرة بحجم كبير عبر مواقع الإنترنت. فأغلب الجرائد الموجودة اليوم في العالم في شكل مطبوع تمتلك نسخة إلكترونية، وهناك جرائد إلكترونية بحتة. وهناك جرائد تخلت عن نسختها الورقية بمجرد وجودها على شبكة الإنترنت، وهذا ما يطرح تساؤلات عديدة تتطلب الإجابة عنها، هل يمكن للصحافة الإلكترونية أن تلغي وجود إمبراطورية الصحافة المكتوبة؟. لماذا الحديث عن مستقبل الصحف المطبوعة في ظل انتشار الصحف الإليكترونية، ونحن نعلم بأنّ التاريخ يشهد على أن ظهور وسيلة اتصالية أو إعلامية لم تلغي الوسيلة التي جاءت بعدها.

وقبل بيان العلاقة بين كل من الصحافة الورقية والصحافة الإلكترونية ينبغى ايضاح حالة الصحف الورقية قبيل وأثناء ظهور الصحافة الإلكترونية، فقد أكد كثير من الباحثين أن الصحف الورقية تشهد أزمة في الوقت الراهن، نظرا لشراسة المنافسة بينها وبين القنوات التليفزيونية الفضائية، أو لظهور منافسين على الساحة الإعلامية.

2-5. مظاهر أزمة الصحف الورقية:

- اختفاء عدد من الصحف المطبوعة على مستوى العالم بشكل عام، وفي الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بشكل خاص، أو اندماجها مع صحف أخرى، وبالرغم من أن عدد الصحف التي اختفت مازال قليلا قياسا بعدد الصحف في الولايات المتحدة، إلا أن ذلك يعد مؤشرا على إمكانية اختفاء الصحف المطبوعة خلال العقدين القادمين، وهذا ما حدث مع جريدة الواشنطن بوست التي أعلنت عن التوقف عن إصدار نسختها المطبوعة.

- تناقص توزيع الصحف، وهذا ما أكدته الدراسات التي أجريت على الولايات المتحدة وأوروبا أيضا خلال فترة التسعينيات، وبالرغم من أن تقرير الرابطة الدولية للصحافة يشير إلي أن سوق الصحافة الأمريكية قد شهد استقرارا نسبيا مع تناقص قليل في التوزيع خلال عام "2000" إلا أنه لا يمكن القول اعتمادا على هذا التقرير أن الصحافة الأمريكية تواجه خطر تناقص التوزيع.[1]

- تناقص دخل الصحف من إعلانات، حيث تشير دراسة نشرتها مجلة كولومبيا للصحافة أن حجم الإنفاق الإعلاني على شبكة الإنترنت قفز من "1.9 مليار دولار عام 1998 إلي 4.6 مليار دولار في أواخر 1999"

[1]– سليمان صالح: مستقبل الصحف المطبوعة في ضوء تطور تكنولوجيا الاتصال، **المجلة المصرية لبحوث الإعلام** (القاهرة: كلية الإعلام، ع13، أكتوبر، 2001)ص.107.

وقد تعرضت الصحافة العربية المطبوعة لعدد من التحديات في فترة التسعينيات من القرن الماضي أهمها ظهور الفضائيات العربية، وتطور وسائل متخصصة في الإعلان، ويقدر حجم الإنفاق على الإعلان في الوطن العربي حوالي 2 مليار دولار سنويا، كانت حصة الصحف منها "42%" والتليفزيون 38%،والمجلات 15%، والراديو 2%، واللوحات3%، أما الإنترنت فينفق عليها من الإعلان في الوطن العربي حتى اليوم لا يزيد عن 5%.[1]

- نمو الصحافة الإليكترونية والخدمات الإخبارية على شبكة الإنترنت، حيث ظهرت مواقع يصعب حصرها لصحف على الإنترنت، وازداد حجم الاستثمارات في هذا المجال ففي تقرير أمريكي بين أن حجم الاستثمارات التقنية في عالم الاتصالات والمعلومات زاد بنسبة 6% عام 2004 يوازي 1.9 تريليون دولار بعد أن حققت الأرباح في هذا المجال أرباحا كثيرة، ويشير التقرير إلي زيادة اعتماد الشركات التجارية علي البريد الإليكتروني بنسبة 30%.[2]

- قلة عوائد التوزيع، حيث من المعروف في عالم الصحافة أن التوزيع يساهم بما نسبته 25% من إجمال تكلفة إنتاج الصحيفة وطباعتها، والملاحظ أن هذه النسبة بدأت تتآكل وتقل بسبب زيادة تكلفة الإنتاج من ناحية، وقلة عدد النسخ المباعة من ناحية أخرى.[3]

3-5. نقاط قوة الصحف الورقية لمواجهة تيار الصحف الإليكترونية:

يقول "إبراهيم الشامي" أن الصحافة المطبوعة تتمتع بعدة ميزات عن باقي الوسائل الإعلامية الأخرى تعطيها القدرة على الاستمرار في ظل مجابهة الوسائل الحديثة فيستطيع الإنسان أن يقرأ الصحيفة مرات بيسر وسهولة، فالمذياع والتليفزيون يفتقدان هذه الميزة المهمة كما تتيح الصحافة للإنسان المتلقي القدرة على امتلاك المعلومات وبالتالي إمكانية تحليل الكلمات بشكل أكثر دقة وتفصيل فضلا عن التعمق في تناولها للموضوعات وهذا ما يجعل الصحافة أكثر تأثيرا في الرأي العام عن غيرها من الوسائل الأخرى، كما تعد الصحافة الورقية الوسيلة الإعلامية الساخنة التي تثير نوعا من التفاعل بين الجماهير والمسؤولين فهي تعد بمثابة الرقيب الذي يبحث عن الحقائق من مصدرها الرئيس لصالح الجماهير، كما أن الصحافة تعد أم الإعلام فهي لا شك تزود الوسائل الإعلامية الأخرى بكثير من المعلومات فكانت أول الوسائل الإعلامية ظهورا ومعايشة مع القارئ.[4]

---

[1]- جريدة الشرق الأوسط: ثورة الأنترنت ومستقبل الصحف المطبوعة والإليكترونية في العالم العربي، htpp://www.aawasat.com.2001/1/2

[2]- Htpp://www.balagh.com.

[3]-رضا عبد الواجد أمين: الصحافة الإليكترونية، مرجع سابق، ص.128.

[4]- عبد الأمير الفيصل: مرجع سابق، ص.139.

ليس باستطاعة كل الناس استخدام الإنترنت والحصول على خدمات التي توفرها مواقعها، كما أن الإنترنت يزيد من انتشار الصحافة، فالصحيفة التي تقرأ عبر الإنترنت هي الصحيفة الورقية جنبا إلي جنب الصحف الإلكترونية، ولكن تظل القراءة عبر الورق أسهل وأيسر وأكثر عمقا من الإنترنت.[1]

يؤكد الدكتور "أحمد فرحات" أن الكلمة المكتوبة أقوي في تأثيرها من الكلمة المقروءة أو المسموعة فالعلاقة بين الإنسان والقراءة عبر الورق علاقة تاريخية على مر الزمن لا يمكن أن تلغي أو تزول بمجرد ظهور وسيلة أخرى أو وسيلة منافسة، وستظل هذه العلاقة قائمة لن تتغير حيث لا يمكن للإنسان أن يستغني عن الكلمة المكتوبة فهي بين يديه في مكتبه ومنزله والمقهى والسوق وفي وسائل النقل وفي كل مكان تعد الرفيق للإنسان في أغلب تنقلاته.

كذلك من بين الأشياء التي تحفظ للصحافة الورقية استمراريتها في مجابهة الوسائل الأخرى متعة القراءة في ظل سهولة العودة إليها والعمق في محتوياته، لذلك لا يعتقد أصحاب هذا الرأي أن الصحافة الورقية ستندثر أو تتلاشي في يوم ما فكل الدلائل في الدول ذات التقدم التكنولوجي تشير إلي أن هناك حالة تطور متزايد للمطبوعات مما يشير بأن مستقبل الكلمة المكتوبة في ازدهار مستمر، كما أن بإمكان أن تضع استراتيجية مهمة تفرض عليها تقديم ما هو أفضل من غيرها، وبذلك يمكن القول بأن الإنترنت يؤثر على الصحافة التقليدية كونه سيصبح دافعا لها نحو مزيد من التطور .[2]

الصحافة الورقية تتجاوز كونها ورقا وحبرا وصورا وإنما هي كلمة لها تأثير عميق ووسيلة مهمة لإشباع رغبات الكثير من الجماهير، فالقارئ المعتاد على قراءة الجريدة يعدها متعة بالنسبة له في المقام الأول فضلا عن مدى التأثير الذي تحدثه الكلمة المكتوبة من قوة وانتشار وهذا ما يجعل الصحافة أكثر تأثيرا على الرأي العام وأكثر تميزا عن غيرها من الوسائل الإعلامية.[3]

4-5. اتجاهات المفسرة للعلاقة بين الصحافة الورقية والصحافة الإليكترونية.

الاتجاه الأول: والذي يدعمه أنصار الصحافة التقليدية، والذي يقول بأن ما يظهر على الإنترنت هو ليس بصحافة ولا يمت لها بصلة، لجملة من الأسباب التي يعتقدون بها:

- العاملين في الصحافة الإلكترونية ليس لديهم الخبرة والتدريب الكافي، وهذا ينسحب على نوع المحتوى الخبري، محتوى غير احترافي وغير محرر، وعلى الأغلب ذى رأي وتعتريه الكثير من جوانب القصور والخلل وكمثال على ذلك نجد مؤسسة "prize pulitzer" الأمريكية مازالت ترفض أن تنظر في الأعمال التي تقدمها الصحافة الإلكترونية ولا ترشحها للحصول على الجائزة المرموقة في مجال الصحافة.

---

[1]– المرجع السابق: ص.140.

[2]– سعيد غريب: في ظل مواجهة الوسائل الأخري، الصحافة الأكثر تأثيرا والأعمق فكرا، **جريدة البيان الإماراتية**، 2002، ثقافة البيان .

[3]– المرجع السابق. المكان نفسه.

- عدم المصداقية وهذا ناجم عن غياب التدقيق وتحري المصادر الموثوقة، بالإضافة إلي أن سرعة النشر تفرضها خصائص الإنترنت تدفع بالصحف الإلكترونية إلي السبق الزمني على حساب التدقيق، وهذا ما جعل البعض يطلق عليها صحافة الإشاعات.

- غياب العمل المؤسسي الذي يقوم على أساس المعايير الخاصة بالمؤسسة، والابتعاد عن المعايير المهنية والفنية والأخلاقية في استطلاع أجرته جمعية صحافة الإنترنت " on line associtionوجدت بأن %69 من الصحفيين الذين يعملون في الصحافة التقليدية يعتقدون بأن الصحف والمواقع الإخبارية في الإنترنت لا تتقيد بالمعايير المطبقة في الصحافة التقليدية وأنها أقل مصداقية .[1]

ويري أصحاب هذا الاتجاه أنه إذا كانت شبكة الإنترنت قد أضافت الكثير لحقل النشر عموما إلا أنها لا تزال مجرد أداة مساعدة للصحافة المطبوعة في سبيل توسيع دائرة قرائها على المستوى الدولي، وتطوير الأداء الصحفي وغيرها من الخدمات المتعددة التي تقدمها الإنترنت للصحف الورقية وأنه لمن المستبعد أن تنقرض الصحف الورقية أو تتراجع مكانتها أمام الصحف الإلكترونية، ويعود ذلك للميزات التي تتميز بها الصحف الورقية عن تلك الإلكترونية، وأوضح المؤتمر العالمي للصحافة عام2001 أن سرعة وضع مواد الصحيفة على الإنترنت يؤدي إلي تزايد الأخطاء الموجودة في الصحف الإلكترونية والمواقع الإخبارية .[2]

الاتجاه الثاني :يقوم على أساس أن الصحف الإلكترونية تمثل بديلا مهما عن الصحف الورقية وسوف تحل محلها وتقوم مبررات هذا الاتجاه على فرضيات منها:

- تشهد الصحافة الإلكترونية ميلاد مواقع كثيرة تواكبها زيادة في عدد زوارها وتستفيد من الأزمات التي تمر بها الصحافة التقليدية ومن بينها الرقابة عليها ومنع المواد الصحفية من النشر.[3]

- الصحف الإلكترونية تتمكن من تقديم نطاق واسع من الخدمات التي لا تستطيع الصحف المطبوعة أن تقدمها، مثل مناقشة أي قضية مع القراء، والتعليق على أي مقال، بل أصبحت تمثل مصدر مهما من المعلومات، وربما تفوق المصادر التقليدية.

- الصحف الإلكترونية تتميز بنقلها للصورة والنص معا لتوصيل رسالة متعددة الأشكال، كما تحتفظ بالزائر أكبر قدر ممكن.[4]

- يري أصحاب الصحافة الإلكترونية أن العالم سيشهد أخر صحيفة ورقية في عام 2018 فصحف الإنترنت يمكن أن تحمل الكثير من الأخبار التي كان يتم استبعادها عن الصحف الورقية، بسبب نقص المساحة، حيث توفر الإنترنت إمكانيات لتوسيع الصحيفة لتحمل الكثير من المضمون، كما يرون أن الصحافة الورقية صحافة الأميين إلكترونيا .[5]

---

[1]– جاسم محمّد الشيخ جابر: مرجع سابق، ص.ص.396.395.

[2]– عبد الأمير الفيصل: مرجع سابق، ص.ص.142.141.

[3]– ماجد سالم تربان: الإنترنت والصحافة الإليكترونية، مرجع سابق، ص.280.

[4]– المرجع السابق: ص.281.

[5] http://www.iuej.org/modules.php/name=news and file=articleasid=61 accessed 19/2/2010.

-انتقد **تيد تيرنر** رجل الأعمال الأمريكي، ومالك شبكة CNN الصحافة الورقية واتهمها بإفساد البيئة من خلال قطع الأشجار المستمر، جراء صناعة الورق، وإصدار الصحف وأشار إلي أن أيام الصحافة كحبر وورق باتت معدودة.[1]

- كما أن السمات الأساسية للصحف الإلكترونية تفوق السمات الأساسية للمطبوعة وتتمثل السمات فيما يلي: الاستفادة من ثورة المعلومات، تقنية النص الفائق، تقنية الوسائط الفائقة، الإنتقائية، ادخار الوقت والجهد، الحالية والآنية، تلبية احتياجات غير متجانسة للقراء، الاستفادة من خدمات الإعلام الجديد.[2]

الاتجاه الثالث: ويتوقع أن تسير فيه الصحافة المطبوعة الورقية مع الصحافة الإليكترونية بشكل متوازي مع تزايد في الاتجاه لاستفادة الصحافة المطبوعة الورقية من شبكة الإنترنت سواء في عمليات التحرير أو الاتصالات، أو في النشر لأعداد من الصحف الورقية في شكل ملخصات أو نسخ كاملة وهذا السيناريو متوقع انتشاره في الدول الأخذة في النمو والتي يتزايد فيها استخدام الحاسبات الإلكترونية وسط قطاعات الصفوة، وفي مجالات متخصصة.[3]

ويري أصحاب هذا الاتجاه أن هذا الأمر لن يطول حتى يتقلص الفارق إلي أدني مستوى لأن الاندماج والترابط بين الصحيفة المطبوعة على ورق، ونسختها الإلكترونية أمر لا يمكن تجنبه في المستقبل، وقد ينسحب الأمر لصالح النسخة الإلكترونية على الشبكة الدولية فقط، ولإلقاء الضوء على ما يمكن أن يحمله المستقبل لصناعة النشر الإليكتروني والعلاقة المقبلة مع النشر التقليدي في العالم العربي نشير إلي الحقائق الآتية:

أن معظم شركات دور النشر الصحفية العالمية تتجه إلي التنويع في تقديم إنتاجها، وذلك بدخول مجالات الراديو، والتلفاز والأقراص المدمجة، من خلال شركات تعني بتوفير المعلومات الإلكترونية، ومن خلال المطبوعات والملاحق المتخصصة وإعداد المؤتمرات، ومن خلال الإنترنت، كما أن هذه الظاهرة بدأت تتبلور في الغرب وهي جزء راسخ من واقع صناعة الاتصال والمعلومات في مجتمعات المعلومات التي اعتمدت مبادئ اقتصاد السوق وإتاحة المعلومات.

- أن العامل المشترك بين صناعتي النشر التقليدي والإلكتروني هو المحتوى المتميز فمن غيره لا تنجح مطبوعة ولا ينتشر تلفاز ولا يستمر موقع على الإنترنت ولهذا فإن شركات الاتصال الكبرى في الغرب تزاوج بين ما تنتجه وسائل اتصالها بأنواعها التقليدية وغير التقليدية بأمثل استخدام لذلك المحتوى.

- تتعلق بالمحتوى الذي توفره المطبوعات العربية على حد سواء ودون المحتوى الذي يعتمد على المعلومات الحقائقية، ويتخذ من صحافة المعلومات شعارا له لا تنجح مؤسسات خدمات المعلومات ولا تستمر

[1] http://www.kan.edu.sa/hashi.accessed:20/2/2010.

[2]- ماجد سالم تربان: مرجع سابق،ص .ص.281.282.

[3]- رضا عبد الواحد أمين: مرجع سابق، ص.132.

مواقعها على شبكة الإنترنت، ولهذا فإن شركات الاتصال الكبرى في الغرب تزاوج بين ما تنتجه وسائل اتصالها بأنواعها التقليدية، وغير التقليدية، لتقوم بأمثل استخدام لذلك المحتوى.[1]

وأخيرا يمكن أن نشير إلي أن الصحف الإليكترونية الجزائرية بالخصوص والعربية على العموم مازال الطريق أمامها طويل يجب أن تمضي فيه لكي تأخذ موقعها بين وسائل الإعلام العربية الأخرى من جانب وبين الصحف الإلكترونية العالمية من جانب أخر، وفي نظرنا أن ازدهار هذه الصحف يتطلب مايلي:

- تبني استراتيجيات واضحة للتواجد على الشبكة وتحديد أهداف هذا التواجد وإذا ما كانت هذه الأهداف دعائية أم تسويقية أم ربحية.

- تنويع مصادر التمويل وعدم الاعتماد الكلي على الدعم الحكومي أو دعم المؤسسة الصحفية الأم، وفي هذا السياق يجب أن تبدأ الصحف الإلكترونية العربية ببيع موادها الصحفية والمعلوماتية والأرشيفية والصور وإدخال خدمات النشرات اليومية والتسويق والتجارة الإليكترونية على مواقعها.

- التأهيل الجيد للصحفيين خاصة من يعملون لحساب الصحيفة الإلكترونية في مجالات النشر الإلكتروني وتكنولوجيا المعلومات والوسائط المتعددة .

- إجراء البحوث والدراسات الخاصة بجمهور الصحيفة الإلكترونية للتعرف على احتياجاتهم ومحاولة تلبيتها.[2]

وفي الأخير يمكن لنا أن نستنتج من هذه الدراسة عدة نقاط نلخصها في الآتي:

01-أغلب الصحف الجزائرية والعربية أصبحت تتسم بخاصية تحديث الأخبار والمعلومات بشكل آني وعاجل، وهذه الخاصية لم تكن موجودة لوقت قريب في أغلب الصحف الإلكترونية الجزائرية، لأنها كانت تكتفي بتقديم النسخة الورقية بشكل إلكتروني دون إضافة أي شيء على النسخة الورقية.

02-أغلب الصحف والمجلات الورقية العربية والجزائرية أصبح لها نسخة إلكترونية عبر شبكة المعلومات الدولية، مما سمح لها بالوصول إلى أعداد كبيرة من جمهور القراء ليس داخل الجزائر وإنما في كل مناطق العالم. فوجود الصحف عبر شبكة الإنترنت يتيح لها مساحة أكبر لتقديم الموضوعات بالتحليل والصور والأشرطة الحية. كما أتاح هذا النوع من الصحف فضاءً افتراضيا جديدا لمختلف المتصفحين يتم فيه تبدل المعلومات والتعليق على ما يقدم من موضوعات.

03-أغلب الصحف الإلكترونية تقدم خدمات متعددة عبر مواقعها الخاصة، ومن بين هذه الخدمات خدمة سبر الآراء الموجه للمتصفحين للموقع حول القضايا التي تحدث داخل البيئة المحلية أو الوطنية أو العربية أو العالمية، وهذا يكون بطرح أسئلة معينة حول موضوعات مختلفة في شتى مجالات الحياة. وهناك الكثير من الدول الأجنبية أصبحت تعطي لهذا الركن (سبر الآراء) أهمية كبيرة نظرا لدوره في صناعة القرارات السياسية.

---

[1]- ماجد سالم تربان: مرجع سابق،ص.ص.285.284.

[2]- حسني محمّد نصر: مرجع سابق، ص.206.

04-لقد ساهمت الصحف الإلكترونية بمختلف أنواعها في دعم مجال حرية التعبير ونقل مختلف الآراء والاتجاهات دون قيود أو عراقيل أو مراقبة. وهذا يعد مكسبا في مجال الصحافة والإعلام، وخصوصا وأن مجال الصحف الورقية لا يزال في مختلف الدول العربية يشهد خناقا مفروضاً عليه من قبل سلطة الإشهار وغيرها من القيود التي فرضت بقوة القانون.

05-التطور التاريخي لوسائل الاتصال والإعلام لم يثبت بأن وسيلة إعلامية أو اتصالية أزاحت من طريقها الوسيلة التي ظهرت قبلها، ولهذا ظهور الصحافة الإلكترونية وتطورها السريع لن يقضى على الصحف الورقية، ولكن سوف يساهم هذا التطور في دفع القائمين على الصحف الورقية نحو تطوير تقنيات عرض المضامين الصحفية وأيضا اكتشاف طرق جديدة لكسب القراء والمحافظة عليهم.

06-يعود سبب تأخر ظهور الصحافة الإلكترونية بالجزائر إلى نقص الإطارات في مجال التحرير الإلكتروني، وأيضا ضعف سرعة شبكة الإنترنت وغلاء أسعارها، وهذا ما جعل ظهور الصحافة الإلكترونية يتأخر لسنوات عن نظيرتها العربية .

07-ما تشهده الصحف الإلكترونية من تطور كبير على مستوى الشكل والمضمون لا يقابله تطور في مجال التشريعات الإعلامية المنظمة لهذا العمل الإعلامي، وهذا ما جعل الكثير من الإعلاميين يطالبون بوضع قوانين عاجلة تحمي الصحفي أثناء أداء مهمته.

08-تعد القيم الإخبارية من أهم العناصر التي يجب أن تتوفر عليها القصص الخبرية في مختلف الصحف، فهذه القيم تتجسد بشكل كبير في الصحف الورقية، وهذا نظرا للمصداقية التي تتميز بها في الوصول إلى مصادر الأخبار والتحقق منها وتقديمها للقارئ، أما الصحف الإلكترونية فيمكن أن تكون مصدرا لنشر الشائعات بسبب السبق الصحفي في نقل الأخبار والمنافسة التي تفرضها الصحف الإلكترونية المتواجدة عبر شبكة الإنترنت في تغطية الأحداث.

09-الصحافة الإلكترونية ساهمت بشكل كبير في تطوير صحافة المواطن(صحافة الأنا) عبر وسائط الإعلام الجديد (مواقع التواصل الاجتماعي) إذ أصبح للقارئ أو المتصفح للجرائد فضاءً خاصاً به للتعبير عن أفكاره وآرائه بكل حرية ودون قيود عليها سواء بالكلمة أو بالصوت أو بالصوت والصورة. وأصبح يقوم بدور الإعلامي في نقل الأحداث والأخبار وبشكل يومي.

10-الصحافة الإلكترونية تتجه نحو العالمية وذلك بتخطيها كل الحدود الزمانية والمكانية، إذ يمكن للجمهور المتصفح للجرائد الإلكترونية أن يطلع على كل الجرائد التي تصدر في العالم من منزله دون بدل جهد أو التنقل إلى مكان صدور الجريدة، فهذه الخاصية التي وفرتها الإنترنت والتي جعلت العالم قرية كونية صغيرة استفادت منها الصحف الإلكترونية وأصبحت تقدم خدماتها لجمهور عالمي، وهذا ما يجعل من كل الصحف التي تصدر عبر شبكة الانترنت أنها صحف دولية وليست صحف وطنية أو إقليمية مثل الصحف الورقية التي قد لا تتخطى في بعض الأحيان حدود الدولة الواحدة.

أثر حاضنات المشروعات في تعزيز ريادة الأعمال بمدينة عنابة

أ.جابر مهدي

جامعة باجي مختار- عنابة

الملخص

تُعنى الدراسة بمعرفة أثر حاضنات المشروعات في تعزيز ريادة الأعمال بمدينة عنابة. حددت الدراسة بمشكلة للبحث كان نصها "ضعف ادراك رواد الأعمال والهيئات الوصية في مدينة عنابة للخدمات التي تقدمها حاضنات المشروعات، ولأهمية الدور الذي تؤديه الحاضنة لإنجاح المشاريع الريادية". وقد توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أهمها، وجود تأثير معنوي بين حاضنات المشروعات وتعزيز ريادة الاعمال.

Abstract

This study investigates the impact of incubators projects in the promotion of entrepreneurship in Annaba. It is concerned by the problem of weak awareness of entrepreneurs and responsible bodies in Annaba for services provided by incubators projects, and the important role in the success of the pilot projects. The study has come to some important inference such as considering the existence of statistically significant effects between projects incubators and promotion of entrepreneurship.

المقدمة

إن المشاريع الصغير والمتوسطة في حقيقة الأمر، القاطرة التي تأخذ باقتصاد أي بلد باتجاه النمو والازدهار، وعلى عكس الشائع، فإن الاقتصاديات التي تولي اهتماما خاصا بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة، هي الاقتصاديات الأكثر نموا والأقدر على حل المشاكل الاقتصادية لبلدانها. إن الانطلاقة من أجل دعم هذا القطاع الحيوي في الاقتصاد الجزائري تكمن في نشر ودعم ثقافة العمل الحر بشكل عام، وثقافة الريادة على وجه الخصوص. فعلى الرغم من المشاكل والمعوقات الموضوعية التي تعرقل مسيرة هذا القطاع نحو الازدهار، فإن المعوقات والعراقيل الذاتية هي العدو الداخلي الذي يحول دون انطلاقة هذا القطاع للعب دوره، بالإضافة إلى ذلك نجد بعض المشاريع وخاصة الصغيرة تفتقر إلى رؤية واضحة مسبقة لمبررات وجودها، كما أن وجودها لا يعبر عن سياسة تنموية محددة، هذا إلى جانب أن إنشاءها لا يتم ضمن استراتيجية تنموية واضحة المعالم، الأمر الذي استدعى إيجاد وسيلة فعالة من أجل دعم هذه المشاريع ومد يد العون لها، وفي هذا المجال تعتبر آلية حاضنات المشروعات من أكثر المنظومات التي تم ابتكارها، فعالية و نجاحا، في الإسراع لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والتكنولوجيا وخلق فرص العمل من خلال كونها عملية ديناميكية لتنمية وتطوير مشروعات الأعمال خاصة تلك التي تمر بمرحلة بداية النشاط (Ľubica Lesáková,2012:86)، والعمل على الترويج لروح الريادة ومساندة المشاريع الريادية الصغيرة على مواجهة صعوبات هذه المرحلة.

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة الدراسة في ضعف ادراك رواد الأعمال والهيئات الوصية في مدينة عنابة للخدمات التي تقدمها حاضنة المشروعات، ولأهمية الدور الذي تؤديه الحاضنة في انجاح المشاريع الريادية، وذلك من خلال حركية المرافقة التي تكمن في المساعدة القبلية والبعدية لحاملي المشاريع، ويحدث ذلك من خلال جملة من المراحل التي يمر بها الرائد من أجل الوصول إلى فكرة المشروع وتجسيدها ومتابعتها. وفي هذا الصدد سعت الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية:

- ما الأدوار المرتقب ممارستها من قبل حاضنات المشروعات والداعمة لريادة الأعمال؟
- فيما تتمثل عناصر نجاح الحاضنات ومرتكزاتها الأساسية؟
- ما هو جوهر ريادة الأعمال؟
- ماهي الشروط الضرورية لدعم ريادة الأعمال ضمن السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

- الوقوف على حقيقة حاضنات المشروعات من خلال نشرها لثقافة الإبداع والابتكار وإعادة هيكلة ثقافة المجتمع، وتحويله من ثقافة التواكل إلى ثقافة البناء والإنتاج.
- بعث مفهوم ريادة الأعمال والتركيز عليه لما يتمتع به من أهمية بالغة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتكاملها مع باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى في مزيج تنموي يستهدف بالدرجة الأولى الارتقاء بالاقتصاد الوطني.
- إبراز طبيعة وجوهر العلاقة بين المتغير المستقل "حاضنات المشروعات " والمتغير المعتمد " ريادة الاعمال"، وكذلك بيان أثر كل منها على الآخر.

أهداف الدراسة: تضطلع الدراسة لبلوغ الأهداف التالية:

- التعرف على المرتكزات الاساسية للفلسفة التي تقوم عليها حاضنات المشروعات، والسعي إلى تحقيق الترابط والتمازج الفكري بين متغيرات الموضوع.
- التعرف على اتجاهات رواد الاعمال في المشروعات المدروسة -المحتضنة والمتخرجة- نحو الخدمات التي تقدمها الحاضنة.
- تسليط الضوء على مدى إتباع حاضنة المشروعات بمدينة عنابة لحزمة متكاملة من الخدمات تؤثر من خلالها على ريادة الاعمال.

فرضيات الدراسة: ترتكز الدراسة على الفرضيات التالية:

- توجد علاقة ارتباط معنوية بين حاضنة المشروعات وتعزيز ريادة الأعمال عند مستوى معنوية 0,05.
- توجد علاقة تأثير معنوي بين حاضنة المشروعات وتعزيز ريادة الأعمال عند مستوى معنوي 0,05.
- توجد فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعا لنوع الجنس عند مستوى معنوية 0,05.
- توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعا للمؤهل العلمي عند مستوى معنوية 0,05.
- توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعا للعمر عند مستوى معنوية 0,05.

منهج الدراسة: تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي لتفسير الوضع القائم وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة حاضنات المشروعات وريادة الأعمال، وكذلك يعمل على التحليل والربط والتفسير للبيانات تصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها. وتم استخدام المسح الميداني لجمع وقائع ومعلومات موضوعية عن الظاهرة المدروسة(لزعر علي، 2012، 155)، والتي يمكن فيما بعد تحليلها وتفسيرها ومن ثم الخروج باستنتاجات منها، من خلال الاستدلال الاحصائي لعلاقة الارتباط والتأثير بين المتغيرات الرئيسية والفرعية (واثق صبري يصغ، 2006، 24). اعتمد في جمع البيانات على النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الأبحاث والدراسات المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية ذات الصلة بموضوع الدراسة. وقد أُستخدمت استبانة خاصة لهذه الدراسة، كما اعتمد على مقياس ليكارت likert الخماسي، ولمعالجة البيانات استخدمت التكرارات والنسب المئوية والمتوسط الحسابي، كما استخدم معامل الارتباط ومعامل الانحدار و t-test و ANOVA.

مجتمع وعينة الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من المشاريع المحتضنة والمتخرجة من حاضنة المشروعات بمدينة عنابة، هذه الأخيرة التي تم تأسيسها بناءًا على المرسوم التنفيذي رقم 03-380 المؤرخ في رمضان عام 1424هـ الموافق 30 أكتوبر 2003(وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية،2005: 162)، والذي اعتبرها مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتخضع في تنظيمها وسيرها، لأحكام المرسوم التنفيذي رقم 03-78 المؤرخ في 24 ذي الحجة عام 1423هـ الموافق 25 فبراير 2003. حيث بلغت أعداد هذه المشاريع 31 مشروع ريادي(منهم 09 مشاريع مقيمة في الحاضنة) منذ بداية النشاط الفعلي للحاضنة في سنة 2011. وتكونت عينة الدراسة من أصحاب المشاريع الريادية، المحتضنة والمتخرجة، وتم استبعاد الموظفين العاديين في هذه المشاريع، حيث بلغ عدد المستجيبين 28. والجدول التالي يبيّن أفراد عينة الدراسة موزعين حسب طبيعة نشاط المشروع الريادي.

الجدول رقم (01):أفراد عينة الدراسة

النشاط	العدد الاجمالي	العدد المستجيب
خدمات	13	13
الصناعة	05	05
البناء والاشغال العمومية	13	10
المجموع	**31**	**28**

أنموذج الدراسة: اعتمد انموذج الدراسة على متغيرين هما:

- **المتغير المستقل:** ويتمثل في حاضنات المشروعات (الخدمات مجتمعة)، حيث ينقسم هذا الأخير إلى محاور تشكل المتغيرات الفرعية التي تعبر عن الخدمات التي توفرها الحاضنة، والتي تم استنباطها من خلال البحث الاستطلاعي والمقابلات التي تمت مع مدير الحاضنة وطاقم العمل.

المتغير التابع: يتمثل في تعزيز ريادة الأعمال، ولقد أخذ بعين الاعتبار لاحتمال وجود علاقة تأثير بين المتغير المستقل والمتغير التابع.

القسم الاول: الاطار النظري للدراسة

أولا: حاضنات المشروعات ومقومات انجاح المشاريع الريادية

I. لماذا حاضنات المشروعات

إن الواقع المعاش في الدول النامية والساعية في بناء نسيج من المشروعات الصغيرة والمتوسطة الفاعل، والذي تسعى من ورائه للوصول الى خلق التوازن الاقتصادي الذي يكفل الوصول إلى توازن اجتماعي، وهذا من خلال دعم تنافسية هذه المشروعات بشتى الوسائل، ووفقا لتحليلM. Porter هناك أربعة محددات التي تساهم في بناء الميزة (القدرة) التنافسية للدول، والتي تؤثر على تطور والحفاظ على الميزة التنافسية للشركات الوطنية، وهذه المحددات تنقسم إلى مجموعتان(خالد مصطفى قاسم،2007، ص08)، اثنتان تشكلان الأسلوب التقليدي لبناء المقدرة التنافسية (العوامل الأساسية والعوامل العامة)، واثنتان تشكلان الأسلوب الحديث وتضمنان الاستمرارية في البناء والتطوير(العوامل المتقدمة والعوامل المتخصصة). تعتمد الدول النامية في الوقت الحالي على عناصر الميزة التنافسية التقليدية والتي تعد عوامل تؤثر على تكلفة المنتجات وليس في جودتها، كما هناك عوامل أخرى أثرت في المنافسة من الداخل أي بين المشروعات الصغيرة والمتوسطة منها:

- تكرار نوعية المشروعات (لا تحاول الابتكار)؛
- عدم وجود تكامل بين الصناعات الصغيرة والكبيرة؛
- الفجوة الرقمية ومستويات الرسملة المنخفضة.

وفي سبيل الخروج من النمط التقليدي للتنافسية إلى النمط الحديث فعلى صانعي خطط التنمية الصناعية وخاصة على مستوى الصناعات الصغيرة، أن يأخذوا بالأليات المتطورة التي تكفل الوصول إلى النمط الحديث للتنافسية. فحاضنات الأعمال أو حاضنات المشروعات كما يشار إليها أحيانا، أداة هامة لدعم تنافسية ونمو الشركات الصغيرة والمشاريع المتواضعة، خاصة تلك القائمة على المبادرات الفردية وذلك بالعمل على تطوير وتنمية وتسويق منتجاتها(ايثار عبد الهادي ال فيحان،2012 :81)، فتلك المشروعات عادة ما تحقق معدلات نمو عالة وسريعة خلال فترة الاحتضان، إذ تفسح الحاضنات لها فرصا أكبر للنجاح في ظل المنافسة المتزايدة، وبالتالي تعد من أدوات التنمية الاقتصادية الناجحة، ففي امريكا الشمالية بلغ عددها حوالي 1400 حاضنة في أكتوبر 2006، بما فيها 1115 حاضنة مشروعات في الولايات المتحدة الامريكية(David A. Lewis. and all, 2011: 13)، وحوالي 7000 برنامج احتضان في جميع أنحاء العالم.

وقد تبدو فكرة الحاضنات في البداية وكأنها فكرة بسيطة، لكن الواقع يثبت أنها عمل يحمل في طياته تحديات كبيرة، لما يتطلبه عملها من توفر آليات فعالة توفر فرص عمل وتؤدي إلى تنمية اقتصادية للمجتمعات، وتحول الأفكار الوليدة والتقنيات الجديدة إلى منتجات تتغلغل في السوق وتحقق لأصحابها أرباحا مجزية.

ويرى الخبراء الاقتصاديون أن أهم ما يميز أسلوب الحاضنات هو الخدمات الفريدة التي تقدمها إلى المجموعات المنتقاة من المشاريع الصغيرة والريادية، التي تتمتع في الغالب بإمكانات كبيرة للبقاء والنمو

السريع، فالحاضنات تساعد المنشآت الصغيرة والريادية في التغلب على المشاكل التي قد تؤدي إلى فشلها أو عجزها عن تحقيق التقدم المرتقب(عبد السلام أبو قحف، 2002،81)، ومن هذه المشاكل قصور الخبرة في مجال إدارة الأعمال، وندرة المهارات الفنية المتاحة للمنشآت الصغيرة، ونقص التمويل.

والواقع أن الملامح الأساسية التي تميز مشاريع الأعمال التي تستخدم الحاضنات، هي مقدرتها على الابتكار وتوافر إمكانية النمو، وحرصها على مراعاة الجودة ومرونة الإدارة.

II. تعريف حاضنات المشروعات وأدوارها الاقتصادية

2-1- تعريف حاضنات المشروعات: هي مؤسسات تعمل على دعم المبادرين، الذين تتوافر لهم الأفكار الطموحة والدراسة الاقتصادية السليمة، وبعض الموارد اللازمة لتحقيق طموحاتهم، بحيث توفر لهم بيئة عمل مناسبة خلال السنوات الأولى الحرجة من عمر المشروع، وزيادة فرص النجاح من خلال استكمال النواحي الفنية والإدارية بتكلفة رمزية، ودفع صاحب المشروع إلى التركيز على جوهر العمل وذلك لفترة محددة تتضاءل بعدها العلاقة لتتحول إلى مبادر جديد.(طارق محمود عبد السلام السالوس، 2005: 13). تعرف كذلك أنها عملية ديناميكية لتنمية وتطوير المشاريع الصغيرة والريادية التي تمر بمرحلة التأسيس أو الإنشاء، حتى تضمن بقاءها ونموها خاصة في مرحلة بداية النشاط، وذلك بتقديم مختلف المساعدات المالية والفنية وغيرها من التسهيلات (رنا أحمد ديب عيتاني، 2004: 55).

مما سبق نستنتج أن الهدف الرئيسي لبرنامج الاحتضان هو تفريخ شركات ناشئة (خرجين) ناجحة تفسح فرصا جديدة للعمل وأشغالا مجزية، وتساهم في إنعاش الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وفتح أسواق لتقنيات حديثة، واستحداث ثروات للاقتصاد المحلي والوطني.

فرسالة الحاضنة تتمحور في سعيها أن تكون مركز تنمية وإبداع، يعمل من خلال كادر إداري وفني مؤهل من أجل تطوير القدرات البشرية للمبادرين للبدء بتنفيذ مشاريع استثمارية واعدة، تدفع بعجلة الاقتصاد إلى الأمام.

2-2: الأدوار الاقتصادية لحاضنات المشروعات: تتعرض المشروعات الريادية الصغيرة والناشئة للعديد من المخاطر التي قد تعيق نموها وتطورها، وتسهم في فشلها وانهيارها، حيث تشير التجارب في العديد من الدول أن نجاح المشاريع الصغيرة التي لا يتم رعايتها في الحاضنات تنخفض إلى أقل من 50% وبينما ترتفع نسبة نجاح المشاريع الصغيرة التي ترعاها الحاضنات إلى ما يزيد عن 80% وعليه فالحاضنات تسعى إلى(عاطف الشبراوي ابراهيم، 2005: 14).

- **تشجيع خلق وتنمية المشروعات الصغيرة الجديدة:** من خلال توفير جميع أنواع الدعم المالي، الإداري، والتسويقي،(Chiranjibi, 2006: 11) ورعاية المشروعات الجديدة في مرحلة البدء والنمو، وتسهيل بدء المشروع، والتوصل إلى شبكة دعم مجتمعي وإقامة مجموعة من الخدمات الداعمة والمتميزة.

- **تنمية المجتمع المحلي:** من خلال تطوير وتنمية بيئة الأعمال المحيطة بها، وجعل الحاضنة نواة تنمية إقليمية ومحلية، ومركزا لنشر روح العمل الحر لدى جموع الشباب الراغبين في الالتحاق بسوق العمل(Tornatzky Louis and all, 2002 :03).

- **دعم التنمية الاقتصادية:** تحقيق معدلات نمو عالية للمشروعات المشتركة بالحاضنة، وذلك من خلال العمل على تسهيل توطين وإقامة عدد من المشروعات الانتاجية والخدمية الجديدة في هذا المجتمع، والتي تعتبر في حد ذاتها إحدى أهم ركائز التنمية الاقتصادية لهذا المجتمع.

- **دعم التنمية الصناعية والتكنولوجية:** تركز الحاضنات التكنولوجية على رعاية وتنمية الأفكار الإبداعية والأبحاث التطبيقية، وتحويلها من مرحلة البحث والتطوير إلى مرحلة التنفيذ، فإقامة حاضنات تكنولوجية متخصصة في قطاعات محددة تعمل على تسهيل نقل وتوطين التكنولوجيا الحديثة والمتطورة والتركيز على تنمية تكنولوجيات هذه القطاعات.

- **دعم وتنمية الموارد البشرية وخلق الفرص:** تنمية مهارات وروح العمل الحر والقدرة على إدارة المشروع تمثل أهم تأثيرات وجود حاضنات المشروعات في أي مجتمع بالإضافة إلى العمل على خلق فرص عمل.(علي سماي، 2010، 145)

IV- المقومات الأساسية لإنجاح المشروعات المحتضنة

يدرك الممارسون و الخبراء أنه يجب أن تكون هناك عناصر أساسية معينة لنجاح الحاضنات، والتي منها تتطور حاضنة المشروعات ذات الجودة مع مرور الوقت، وحسب التقارير العلمية للحاضنات هناك معايير أساسية يجب أخذها في الحسبان لضمان نجاح عمل الحاضنة لتنمية، وتسريع إنشاء المشروعات ذات النمو العالي أو القيمة المضافة، وذلك بالبيئة الاقتصادية والمجتمعات المحيطة.

1-4 مدير الحاضنة وارتباطه بالأعمال في الحاضنة: إن مدير الحاضنة له الأثر المباشر على نجاح الحاضنة والمشروعات الملتحقة بها، فعليه العمل والتفاهم مع أصحاب المشروعات وعلى مساعدتهم على تطوير مشروعاتهم (Krzysztof Zasiadly,2010: 19) فإدارة الحاضنات تحتاج إلى شخصية خاصة تتمتع بالخبرة العملية والقيادية والقدرة على التعامل مع الأفراد وتكوين شبكات العلاقات بشكل دائم وناجح.

2-4 مجتمع الأعمال والجهات الداعمة و الراعية: إدارة علاقات وارتباطات جيدة مع مجتمع الأعمال والجهات التعليمية المختلفة والمنظمات الراعية يدعم بشكل أساسي الحاضنة لتكوين شراكة استراتيجية فعّالة(حسين عبد الرحيم، 2003: 171)، والتي في النهاية تصب بشكل مباشر في مصلحة العملاء للحاضنة لتزويدهم بالخدمات الاستشارية التجارية والتقنية وتوفير قواعد بيانات للبحث والتطوير وكذلك إيجاد الدعم المالي وتسهيل الإجراءات المختلفة.

3-4 دقة الاختيار ووجود سياسة واضحة للدخول والتخرج من الحاضنة: توفير سياسة تتميز بالشفافية والمرونة والانفتاح، والتي تصف نوع المبدعين والمستثمرين الذين تحاول بيئات حاضنات المشروعات جذ بهم والاحتفاظ بهم وتنميتهم، وذلك بتحديد معايير واضحة للدخول إلى الحاضنة ومرحلة التخرج. (European Commission, 2002:58)

4-4 تناسب وجود الخدمة المقدمة من الحاضنة: تصميم وتحديد الخدمات المناسبة والدعم المطلوب للمحتضنين بناء على ما يتطلبه العمل، شيء أساسي لنجاح عمل الحاضنة لتحديد وتسهيل التمويل المطلوب والربط والتسويق والاتصالات المناسبة، والاستشارة الفنية والتجارية المحددة والمهارات التي يتطلبها

رواد الأعمال، وكذلك تطوير خطة عمل جيدة وغيرها من الاحتياجات اللازمة التي يحتاجها المستفيد من الحاضنة.

4-5 الفريق الماهر: لنجاح بيئة حاضنات المشروعات وتوفير أعمالها واستراتيجيتها ووضع خطة عمل مدروسة، لابد من نظرة واضحة ومرنة لتوفير الموارد البشرية ذات الخبرات والمؤهلات المناسبة، التي تستطيع تقديم خدمة احترافية تساعد إدارة الحاضنة بشكل فعّال، مع تمتعها بصلاحية الاستقلالية في الميزانية والتشغيل لاتخاذ القرارات المناسبة.

4-6 خلق صورة ذهنية للنجاح: إن خلق صورة ذهنية للنجاح يعتبر عاملا جوهريا في تنمية الحاضنة ويساعد على سرعة الاندماج في المجتمع أو المنطقة المحيطة، وسهولة اجتذاب الموارد والشركاء، ومساعدة المشروعات الصغيرة والريادية على كسب المصداقية واجتذاب مشروعات جديدة ذات إمكانيات أقوى(عاطف الشبراوي ابراهيم، 2005: 37)، ويمكن الوصول إلى هذه الصورة من خلال:

- وجود مدير ناجح؛
- وجود مبنى جديد أو مجدد؛
- وجود علاقة قوية بين الحاضنة والمؤسسات المحلية الرئيسية؛
- وجود علاقة جيدة بالصحافة؛
- وجود مشروعات جيدة للالتحاق بالحاضنة.

4-7 الموقع والمباني: يعتبر الموقع والمباني من العوامل المهمة التي تساعد حاضنات المشروعات على أداء مهامها بطريقة جيدة، فالموقع يعكس الى حد كبير سعي الحاضنات لتحقيق أهدافها. فالحاضنات المتخصصة التي تركز على تشجيع المشاريع القائمة على التكنولوجيا نجدها متموقعة بقرب الجامعات ومراكز البحث، في حين الحاضنات متعددة الأغراض تكون في منطقة داخل المدينة أو قرب منطقة صناعية. فالحاضنات تميل إلى التركز في المناطق الحضرية، ولا سيما في المدن والمناطق التي تجمع بين القوة في التكنولوجيا، والمواهب الإبداعية، ريادة الأعمال، والخدمات المهنية والمالية. (European Commission, 2002:35-36)

ثانيا: ريادة الاعمال وعوامل النهوض بها

I. ريادة الأعمال: التعريف والآثار التنموية

1-1- تعريف ريادة الأعمال: رغم وجود تقارب في وجهات النظر حول مصطلح الريادة والأبعاد التي يغطيها، إلا أن جل العلماء والباحثين لم يضعوا تعريفا قاطعا، وكانت في معظمها تتمحور حول تحمل المخاطر والإبداع والابتكار (R.Histrich & P.Mechael 2002 :26) .

فقد عرف Koulter الريادة على أنها العملية أو الطريقة الابداعية المنظمة التي تستخدم من قبل الفرد أو التنظيم بهدف الوصول إلى تحقيق قيمة مضافة وتطوير العمل بما ينسجم مع حاجات ورغبات أصحاب المصالح (Koulter & Mary, 2001 : 09) .

والريادة تعني التفرد والاعتماد على الاختلاف والتنويع والتوافق والطرق الجديدة، ولا تعتمد على النماذج والعادات السائدة التي يفعلها الآخرون، وإنما هي الوصول إلى منتجات وطرق فريدة وجديدة لا تتطابق مع الطرق المعتادة أو الطرق المعمول بها(فايز النجار، محمّد العلي، 2006: 06).

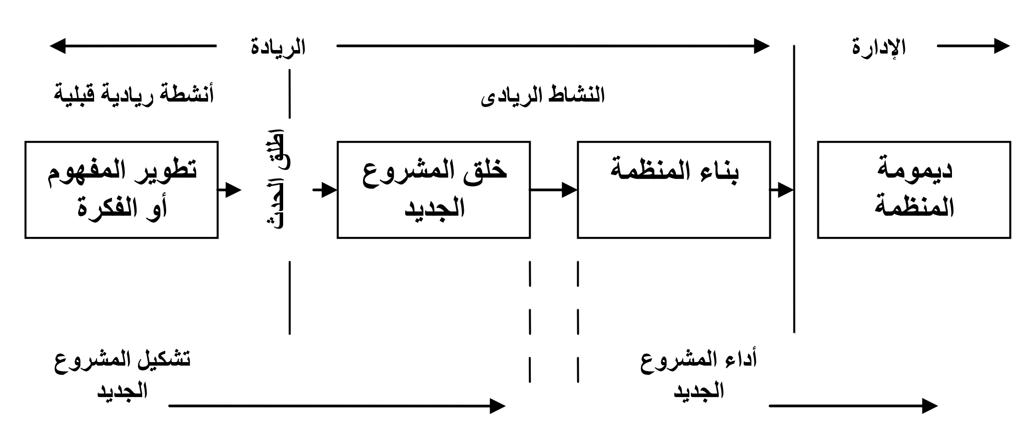
من خلال ما سبق يمكن أن نخلص إلى أن الريادة تحتوي المعاني التالية:

- إيجاد اشياء جديدة أصيلة ذات قيمة.
- مرتبطة بالمخاطرة.
- تأخذ بالاعتبار الموارد المالية والمعنوية.
- مرتبطة بتوفير الحوافز للعاملين والاستقلالية من أجل زيادة القناعات لديهم.

فالشيء الذي يمكن التأكيد عليه والذي من خلاله تبرز أهمية الريادة هو الخلق والابتكار والذي يشمل بمعانيه كل من خلق الثروة، خلق مشروع، خلق الإبداع، خلق التغيير، خلق العمالة، خلق القيمة، خلق النمو.

ومما سبق نلاحظ أن جل التعاريف تصب في توجه واحد هو أن «النمو هو جوهر الريادة»، حيث يشيرPeter Drucker أن الريادة هي ممارسة تبدأ بحدث أو نشاط معين مثل خلق منظمة جديدة أو مشروع جديد، تستمر ذاتيا وذات ديمومة وتحقيق العوائد المجزية، وهذا ما يطلق عليه الأنموذج الإرشادي الريادي، الذي يحوي دراسة البيئة بمختلف جوانبها وأبعادها والتي تؤثر على تكوين المشروع الجديد، فبدون خلق مشروع جديد لا يمكن للريادة بمعناها العميق والدقيق أن تحدث (محمّد عوض مبارك، 2009: 117). فالمشروع هو وحدة ريادية بعد مرور فترة من الزمن ليصبح مستديما ذاتيا أو فاشلا، والشكل التالي يبرز حدود الأنموذج الإرشادي الريادي الذي يوضح بأن الريادة لا تنتهي بمجرد وجود فكرة أولية للمشروع أو خطة عمل مقترحة للمشروع.

الشكل رقم (01): حدود ونطاق النموذج الارشادي الريادي



Source: http//www.highbeam.com/library/index.asp?refid=ae_or

وعليه فالأنموذج الإرشادي الريادي يرتكز على بعدين أساسيين يعتمدان على المجتمع

- خلق مشروع جديد.
- أداء المشروع الجديد وديمومته.

ويجدر بنا أن نسلط الضوء على الفرق الموجود بين مفهوم ريادة الأعمال ومفهوم الأعمال الصغيرة، حيث نجد بعض الكتابات تدل على نفس المعنى، حسب Peter Drucker فإن المفهومين متقاربين وتتفق بينهما كثير من الصفات إلا أن الريادة تتميز بأربعة صفات تجعلها مختلفة عن الأعمال الصغيرة.

جدول رقم (01): أوجه الاختلاف بين ريادة الأعمال والأعمال الصغيرة

	ريادة الأعمال	الأعمال الصغيرة
1- مقدار خلق الثروة	- إنشاء ثروة دائمة ومستمرة	- توليد دخل مستمر ومرضي لصاحبه
2- سرعة بناء الثروة	- يبني ثروته خلال زمن قياسي لا يتجاوز خمس الى عشر سنوات	- تبني ثروتها عادة عبر حياة صاحبها وفق وقت زمني طويل
3- المخاطرة	- تتميز بالمخاطرة العالية، ويعتبرها الثمن الذي يدفعه مقابل الثراء	- تنظر للمخاطرة على أنها شيء يجب التخلص منه
4- الابتكار والإبداع	- تتصف بالابتكار والإبداع ويحقق لها الميزة التنافسية المستديمة	- ينظر إليه أنه شيء يجب تجنبه

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على http://faculty.ksu.edu.sa/alshum/DocLib16/Forms/AllItems.aspx

1-2: الآثار التنموية للريادة :تعتبر الريادة عملية ديناميكية لتأمين تراكم الثروة التي تقدم عن طريق الأفراد، فمفهوم الريادة يجب النظر إليه ببعض المرونة لأننا نجد تباين في المفهوم بين الدول المتقدمة والدول النامية، إذ يكون في الدول المتطورة مرتبط بالاختراعات والتفرد(فايز النجار، محمّد العلي، 2006: 07). أما في الدول النامية فإن من يأخذ روح المبادرة والتحرك ويخاطر وينشئ عملا جديدا، يعمل من خلاله على المساهمة في أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بأنه رياديا. ويمكن تلخيص دور الريادة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام بما يلي(مروة أحمد، نسيم برهم، 2008: 16):

- رفع مستوى الانتاجية؛
- خلق فرص عمل جديدة؛
- المساهمة في تنويع الانتاج نظرا لتباين مجالات ابداع الرياديين؛
- زيادة القدرة على المنافسة وذلك من خلال المعرفة الدقيقة الواعية للبيئة المحلية والبيئة الخارجية وتطور أساليب العمل من خلالها والتفاعل معها بإيجابية؛
- نقل التكنولوجيا؛
- التجديد وإعادة الهيكلة في المشاريع الاقتصادية؛
- إيجاد أسواق جديدة.

II. العوامل الأساسية للنهوض بالمشاريع الريادية الجديدة

تشير جل الدراسات الاختصاصية أن ريادة الأعمال تنشأ من مجموعة العوامل المختلفة وقد تم تبويبها في مجموعتين رئيسيتين: عوامل داخلية وعوامل خارجية، والشكل التالي يبرز العوامل المرتبطة بإيجاد المشاريع الجديد.

1-2: العوامل الداخلية: إن العوامل الداخلية وحسب ما جاء في الشكل رقم 03 ترتكز على **السلوك** الذي يقودنا نحو الريادة، على اعتبار أن السلوك الإيجابي بين أفراد المجتمع يمكن أخذه كمؤشر جيد لإمكانيات وعيوب فعالية الأعمال في المجتمعات.

فالسلوك الأكثر ارتباطا بعالم الأعمال هو الذي يقدم معلومات عن الدوافع (إدراك فرص الأعمال، إدراك المخاطر، إدراك القدرات لإنشاء شركة) لإيجاد شركة جديدة.

إن للإدراك دورا كبيرا في البحث عن الفرص المتاحة في السوق الذي تعمل به المنظمة وانتهازها(مجدي عوض مبارك، 2009: 70). فهذا الدور يقوم به رواد الأعمال في الدول المتقدمة، أما في الدول ذات المستويات المنخفضة من التطور الاقتصادي فإن نشاط ريادة الأعمال يبرز كاستراتيجية للتغلب على البطالة.

كذلك إدراك المخاطر محدد آخر عند إنشاء شركة جديدة تتأثر بميولات الأفراد والمنظمات ومدى العوائد المتوقعة من مقدار هذه المخاطرة، وبالتالي لابد من إدراك هذه المخاطر من خلال قراءة وتحليل كافة الظروف والمتغيرات المحيطة بالبيئة الخارجية، والاعتماد على المعلومات ذات العلاقة بالميل نحو المخاطرة.

إن الشعور بالقدرة على مواجهة تحديات إنشاء وترسيخ شركة يعد أمرا مهما عند إدراك فرصة اعمال، فإدراك الأفراد لقدرتهم الشخصية في هذا المجال قيمة مضافة أساسية لنشاط ريادة الأعمال، وهنا يلعب التعليم عامل أساسي لتدريب الأفراد.

2-2: العوامل الخارجية

إن تقسيم العوامل المرتبطة بالسياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي أساسية لمعرفة الجوانب التي ينبغي أن تشملها السياسات التي تهدف إلى تعزيز إيجاد الأعمال وترسيخها.

فالنشاط الريادي يختلف من بلد لأخر وهو راجع إلى الخصائص الاقتصادية، وإلى آلية الدعم والتشجيع مثل تفعيل قانون حقوق الملكية الفكرية، الضرائب والمحفزات الاقتصادية، والتطور المالي ... إلخ.

ولقد وضع Gnyawaii et Fogel إطار عام للبيئة الريادية وتشجيعها في المجتمع من خلال الأبعاد التالية:

- **السياسات والإجراءات الحكومية:** إن تسهيل الاجراءات وتبسيطها لدى الرياديين يسهل ابتداء المشروع ويقلل العديد من العوائق التي تقف حائلا أمام ذلك، وهنا يأتي دور الحكومة التي تؤثر وبشكل مباشر على آليات السوق المختلفة، وآلية الطلب والعرض فيه (مجدي عوض مبارك، 2009: 73-74).

- **الظروف الاقتصادية والاجتماعية:** يبرز الدور الفعال للعوامل الاقتصادية والاجتماعية في تعزيز الريادة في المجتمع من خلال توفير القروض وتسهيلاتها، والمساعدة الفنية للرياديين وتقديم التسهيلات والاستشارات، وتوفير المعلومات المختلفة التي تخص مشروعاتهم، ويأتي دور الحكومة في عمل برنامج وورش عمل لزيادة وعي الأفراد في المجتمع لأهمية الريادة وفوائدها.

- **المهارات الريادية الادارية:** تعتبر المهارات الإدارية ومهارات التسويق والمالية والمهارات الفكرية الإبداعية، مهمة بالنسبة للريادي، وهذا لتمكينه من مواجهة الظروف والمستجدات المختلفة التي تصادف المشروع الذي يديره أو يملكه، وهنا تبرز أهمية البرامج التدريبية والتعليمية التي يقدمها المجتمع لصقل مهارات الريادة وتنميتها.

- **الدعم المالي المقدم للمشروع:** إن الموارد المالية من أهم المصادر لنجاح المشروع فنقص هذا النوع من الموارد سيكون عائق أمام الريادي للابتداء مشروعه، إن لم يجد عونا ماليا والذي يحتاجه لعدة أغراض كتفادي المخاطر، تمويل المشروع، تجميع رأس المال ....، وتعتبر البنوك من أهم مصادر تمويل الدين للمشاريع

الصغيرة، وكذلك نجد أن الريادي يمكنه الحصول على التمويل اللازم من الموردين بالاعتماد على الائتمان التجاري (نور ربحي الشريف، 2009: 28).

- **الدعم والمساعدة الاستشارية والفنية:** ويقصد بالدعم هنا الدعم الاجتماعي والذي يشمل الدعم المادي والمعنوي الذي يمكن أن يحصل عليه الشخص والتسهيلات التي تمنحها الجهات التي تمتلك حق قبول أو رفض تلك المشروعات.

القسم الثاني: الجانب الميداني للدراسة

أولا: تحليل خصائص عينة الدراسة

جدول رقم(02): خصائص عينة الدراسة

المتغير	مستوى المتغير	العدد	النسبة المئوية%	النسبة المئوية المجمعة
العمر	من 20 إلى 30 سنة	17	60.7	60.7
	من 31 إلى 40 سنة	7	25.0	85.7
	من 41 إلى 50 سنة	4	14.3	100
	من 51 سنة فأكثر	0	00	00
	المجموع	28	100	
الجنس	ذكر	15	53.6	53.6
	أنثى	13	46.4	100
	المجموع	28	100	
المؤهل العلمي	دبلوم مهني	2	7.1	7.1
	ليسانس	17	60.7	67.9
	ماجستير (ماستر)	9	32.1	100
	دكتوراه	00	00	
	المجموع	28	100	

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

من خلال الجدول رقم (02) يتبين أنّ معظم من قام بتعبئة الاستبانة، تقع أعمارهم بين 20 و30 سنة، وتقدر نسبتهم المئوية 60.7%، أمّا الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة إلى غاية 40 سنة فبلغت نسبتهم المئوية 25%، والذين تتراوح أعمارهم بين 41 و50 سنة فبلغت نسبتهم المئوية 14.3%، وتشير هذه النتيجة إلى أنّ القائمين على المشاريع المحتضنة معظمهم من فئة الشباب الذين يحملون أفكار استثمارية خلاقة، وكذلك نلاحظ أنّ هذا الأمر هو ترجمة لاستراتيجية الدولة في دعم الشباب المبدع سواء من فئة الذكور أو الإناث، وهذا ما يبرز في الجدول حيث نجد أنّ نسبة الذكور المساهمين في المشروعات المحتضنة هي 53.6% أمّا الإناث فنسبتهن 46.6%، وتفيد بيانات الجدول أنّ ما نسبته 60.7% من أصحاب المشروعات المحتضنة من حملة الليسانس،

يليهم حملة الماجستير والماستر ومهندس دولة بـ 32.1% ثم حملة الدبلوم المهني بـ 7.1%، وهذا يدل على أنّ القائمين على المشروعات المحتضنة من ذوي الكفاءات نظراً لأهميتها في المجتمع، هذا ما يكرس إستراتيجية الحاضنة والوزارة الوصية على حد سواء في دعم الرواد أصحاب الكفاءات الذين لديهم تدرج علمي أكاديمي وتنقصهم الخبرة العملية، الشيء الذي ستغطيه الحاضنة من خلال ما تقدمه من خدمات لهذه الفئة، هذا من جهة. ومن جهة أخرى نجد أنّ عامل المؤهل العلمي يضفي الدقة على نتائج الدراسة نظراً لدقة المعلومات المجمعة عن طريق هذه الفئة من المستجيبين.

ثانيا: عرض نتائج الدراسة

- **اختبار ثبات وصدق المفردات:** لقد تّم استخدام اختبار كرونباخ ألفا Alpha Cronbach لقياس مدى ثبات أداة الدراسة حيث بلغت قيمة ألفا.

جدول رقم(03): ثبات وصدق المفردات

المحور	عدد الفقرات	الثبات	الصدق
الخدمات الادارية	05	0.716	0.846
الخدمات الاستشارية	05	0.923	0.960
خدمات تنمية الموارد البشرية	05	0.774	0.879
الخدمات المالية	05	0.666	0.816
الخدمات التسويقية	05	0.865	0.930
الخدمات الفنية	04	0.765	0.874
خدمات السكريتارية	04	0.825	0.908
ريادة الأعمال	09	0.666	0.816
الاجمالي	**42**	**0.951**	**0.975**

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

والملاحظ أنّ قيمة المعامل ألفا كرونباخ مرتفعة وبالتالي جيدة لأنّها أعلى من القيمة المقبولة 0.6، وبالرجوع إلى معامل صدق أداة الدراسة فهو يبرز أنّ المقياس يقيس ما وضع لقياسه، ويحسب بحساب الجذر التربيعي لمعامل الثبات وهو ما يعرف **بصدق المحك**.

صدق المحك= √0.951=0.975

والملاحظ أنّ صدق المحك قيمته مرتفعة جدا مما يدل على أنّ المقياس جيد للدراسة.

- **وصف متغيرات الدراسة وتحليل النتائج:** لقد تمّ الاستعانة بالإحصاء الوصفي لاستخراج المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري لأسئلة الدراسة، ومن أجل تسهيل عرض النتائج وتفسيرها سيعتمد على السلم الآتي لتبيان اتجاه الإجابات:

-

المتوسط الحسابي	1 إلى 1.8	1.81 إلى 2.6	2.61 إلى3.4	3.41 إلى 4.2	4.21 إلى 5
المستوى	لا أتفق بشدة	لا أتفق	محايد	أتفق	أتفق بشدة

الجدول (04): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتصورات المبحوثين لمحاور الدراسة

محاور الدراسة	محاور المتغير المستقل (حاضنات المشروعات)							المتغير التابع
	خدمات ادارية	خدمات استشارية	خ/ت م البشرية	خدمات مالية	خدمات التسويقية	خدمات الفنية	خدمات السكريتارية	تعزيز ريادة الاعمال
المتوسط الحسابي	3.85	3.935	4.114	3.407	3.9	4.232	4.428	4.365
الانحراف المعياري	0.423	0.734	0.362	0.433	0.537	0.526	0.396	0.326
الاهمية النسبية	%77	%78.7	%82.28	%68.14	%78	%84.64	%88.56	%87.3
الاتجاه	اتفق	اتفق	اتفق	اتفق	اتفق	اتفق بشدة	اتفق بشدة	اتفق بشدة

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يتضح من الجدول(04) أن متوسط استجابات عينة الدراسة لمحور **الخدمات الادارية** قدر بـ (3.85)، هذه النتيجة تشير إلى اتفاق أفراد العينة حول أهمية هذا المحور التي بلغت نسبتها (77%)، مما يدل على وجود لهذا المحور في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة، كخدمة مهمة من الخدمات التي تقدمها للمشاريع المحتضنة، وقدر الانحراف المعياري (0.423) مما يبرز أن التباين ضعيف في اجابات عينة الدراسة. كما نجد أن متوسط اجابات عينة الدراسة لمحور **الخدمات الاستشارية** قدر بـ (3.935) تشير هذه النتيجة الى اتفاق أفراد العينة حول أهمية هذا المحور التي بلغت نسبتها(78.7%)، مما يدل على وجود لهذا المحور في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة كخدمة مهمة من الخدمات التي تقدمها للمشاريع المحتضنة، وقدر الانحراف المعياري بـ(0.734) الأمر الذي يظهر أن التباين ضعيف في اجابات عينة الدراسة. ونجد أيضا أن متوسط استجابات عينة الدراسة لمحور **خدمات تنمية الموارد البشرية** مقدر بـ (4.114)، هذه النتيجة تشير إلى اتفاق أفراد العينة حول أهمية هذا المحور التي بلغت نسبتها (82.28%)، مما يدل على وجود لهذا المحور في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة كخدمة مهمة من الخدمات التي تقدمها للمشاريع المحتضنة، كما قدر الانحراف

المعياري بـ(0.362) مما يبرز أن التباين ضعيف في اجابات عينة الدراسة. نلاحظ أيضا أن متوسط استجابات عينة الدراسة لمحور **الخدمات المالية** قدر بـ (3.407)، هذه النتيجة تشير إلى اتفاق أفراد العينة حول أهمية هذا المحور التي بلغت نسبتها(68.14%)، مما يدل على وجود لهذا المحور في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة كخدمة مهمة من الخدمات التي تقدمها للمشاريع المحتضنة، كما قدر الانحراف المعياري (0.433) مما يبرز أن التباين ضعيف في اجابات عينة الدراسة. أما بالنسبة لمحور **الخدمات التسويقية** نجد ان متوسط استجابات عينة الدراسة قدر بـ(3.9) هذه النتيجة تشير إلى اتفاق أفراد العينة حول أهمية هذا المحور التي بلغت نسبتها(78%)، مما يدل على وجود لهذا المحور في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة كخدمة مهمة من الخدمات التي تقدمها للمشاريع المحتضنة، وقدر الانحراف المعياري (0.537) الذي يدل على أن التباين ضعيف في اجابات عينة الدراسة. وبالنسبة لمحور **الخدمات الفنية** نلاحظ أن متوسط استجابات عينة الدراسة قدر بـ (4.232)، هذه النتيجة تشير إلى اتفاق بشدة من قبل المستجيبين على أهمية هذا المحور المقدرة بـ (84.64%)، الأمر الذي يدل على وجود لهذا المحور في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة كخدمة مهمة من الخدمات التي تقدمها للمشاريع المحتضنة، كما قدر الانحراف المعياري (0.537) الذي يدل على ضعف التباين في اجابات عينة الدراسة. بلغ متوسط استجابات عينة الدراسة لمحور **خدمات السكريتارية** (4.428)، تشير هذه النتيجة إلى اتفاق بشدة من قبل المستجيبين على أهمية هذا المحور المقدرة بـ (88.56%)، الدالة على وجود لهذا المحور في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة كخدمة مهمة من الخدمات التي تقدمها للمشاريع المحتضنة، كما قدر الانحراف المعياري (0.396) الذي يدل على ضعف التباين في اجابات عينة الدراسة.

قدر متوسط استجابات عينة الدراسة لمتغير **تعزيز ريادة الأعمال** (4.365)، وبانحراف معياري (0.326) وأهمية نسبية (87.3%)، الأمر الذي يعني وجود اتفاق بشدة حول أهمية تعزيز ريادة الاعمال على مستوى حاضنة المشروعات بمدينة عنابة، ويعزى ذلك الى قوة امتلاك أفراد عينة الدراسة للتصور حول مفهوم وأهمية متغير ريادة الأعمال لدى مجتمع الدراسة.

ثالثا: اختبار فرضيات الدراسة

بهدف التعرف إلى طبيعة العلاقة بين خدمات حاضنات المشروعات المتواجدة بمدينة عنابة وتعزيز ريادة الأعمال، خصص هذا المحور للتحقق في مدى سريان المخطط الافتراضي للبحث كالآتي:

قياس علاقة الارتباط بين حاضنات المشروعات وتعزيز ريادة الأعمال

H_0. لا توجد علاقة ارتباط معنوية بين حاضنة المشروعات في مدينة عنابة وتعزيز ريادة الاعمال عند مستوى معنوية 0.05.

H_1. توجد علاقة ارتباط معنوية بين حاضنة المشروعات في مدينة عنابة وتعزيز ريادة الاعمال عند مستوى معنوية 0.05.

بهدف التعرف إلى طبيعة علاقة الارتباط واتجاهها بين خدمات حاضنات المشروعات بمدينة عنابة وتعزيز ريادة الأعمال، فإنّ الجدول (05) يشير إلى وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بينهما حيث بلغت درجة الارتباط (المؤشر الكلي) (0.764)، وهذا يدل على أنّ اهتمام عينة الدراسة بمتغير حاضنات المشروعات

وإدراكهم للخدمات التي يستفيدون منها سيؤدي إلى تحسين أداء مشروعاتهم، وبالتالي تعزيز ريادة الأعمال. بما أنّ (Sig=0.000)أقل من مستوى المعنوية (0.05)، هذا يدل على رفض فرضية العدم وتحقق الفرضية الرئيسية الأولى على مستوى حاضنة المشروعات المتواجدة بمدينة عنابة.

الجدول (05): نتائج علاقة الارتباط بين خدمات حاضنة المؤسسات بمدينة عنابة وتعزيز ريادة الأعمال

المتغير المعتمد / المتغير المستقل	تعزيز ريادة الأعمال	Sig
الخدمات الإدارية	0.624	0.000
الخدمات الاستشارية	0.626	0.000
خدمات تنمية الموارد البشرية	0.697	0.000
الخدمات المالية	0.637	0.000
الخدمات التسويقية	0.515	0.005
الخدمات الفنية	0.667	0.000
خدمات السكريتارية	0.632	0.000
حاضنات المشروعات	**0.764**	**0.000**

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

وعلى الصعيد الجزئي فقد حلِّلت علاقات الارتباط بين كل خدمة من خدمات حاضنة المشروعات بمدينة عنابة وتعزيز ريادة الأعمال، وهذا في ضوء الفرضيات الفرعية للفرضية الرئيسية الأولى كما يلي:

-علاقة الارتباط بين الخدمات الإدارية وتعزيز ريادة الأعمال:

من الجدول (05) وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين الخدمات الإدارية وريادة الأعمال، حيث بلغت درجة الارتباط (0.624) بمستوى معنوية أقل من (0.05). وهذا يدل على دور الخدمات الإدارية في تعزيز ريادة الأعمال على مستوى حاضنة المشروعات بمدينة عنابة، من خلال تدليل الصعوبات الإدارية وتوفير المعلومات اللازمة لمساعدة الريادي على اتخاذ القرارات، وتعليم الأساليب الإدارية الحديثة التي تساعده على التحكم والتسيير الجيد لمشروعه الريادي، وبالتالي تكون انعكاسات ذلك واضحة على ريادة الأعمال.

-العلاقة الارتباط بين الخدمات الاستشارية وتعزيز ريادة الأعمال:

من الجدول (05) وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين الخدمات الاستشارية وريادة الأعمال حيث بلغت درجة الارتباط (0.626) بمستوى معنوية أقل من (0.05)، وهذا يدل على دور الخدمات الاستشارية في تعزيز ريادة الأعمال. فتقديم الاستشارات القانونية والاستشارات الخاصة بإعداد دراسات الجدوى الاقتصادية والفنية، وكذلك الاستشارات الخاصة برفع الكفاءة التسويقية واختيار الموارد البشرية وغيرها، تساهم بشكل

أو بآخر في أداء المشروع الريادي المحتضن، وهذا يساهم في تعزيز ريادة الأعمال على مستوى حاضنة المشروعات بمدينة عنابة.

-العلاقة الارتباط بين خدمات تنمية الموارد البشرية تعزيز ريادة الاعمال: من الجدول (05) وجود علاقة ارتباط معنوي موجبة بين خدمات تنمية الموارد البشرية وريادة الأعمال حيث بلغت درجة الارتباط (0.697) بمستوى معنوية أقل من (0.05). وبالتالي تستدل على دور خدمات تنمية الموارد البشرية في تعزيز ريادة الأعمال، فتنظيم الدورات التدريبية وتشجيع المهارات التي يحتاجها المشروع المحتضن على الإبداع والمبادرة، وخلق قنوات اتصال بين الأفراد والبيئة المحيطة لتنمية مهاراتهم وغيرها تجعل هذا النوع من الخدمات التي تقدمها حاضنة المشروعات تساهم في صقل المواهب وتعزيز قدراتهم الذاتية لخدمة المشروع الريادي المحتضن، وهذا يساعد على استدامة المشروع بعد تخرجه من الحاضنة.

-العلاقة الارتباط بين الخدمات المالية وتعزيز ريادة الأعمال:

من الجدول (05) وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين الخدمات المالية وريادة الأعمال، حيث بلغت درجة الارتباط (0.637) بمستوى معنوية أقل من (0.05)، وتعني هذه العلاقة دور الخدمات المالية في تعزيز ريادة الأعمال، فالمساعدة في الحصول على قروض مصرفية بأسعار فائدة منخفضة والتعريف بمصادر التمويل الملائمة للمشروع وبناء روابط مع المستثمرين وغيرها، تساعد المشروع الريادي المحتضن على تدليل الصعاب في الجانب التمويلي الذي يعد أحد المعوقات الرئيسية أمام المشروعات المبتدئة، وبالتالي تعزيز ريادة الأعمال.

-العلاقة الارتباط بين الخدمات التسويقية وتعزيز ريادة الأعمال:

من الجدول (05) وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين الخدمات التسويقية وريادة الأعمال، حيث بلغت درجة الارتباط (0.515) بمستوى معنوية أقل من (0.05)، وهذا يدل على دور الخدمات التسويقية في تعزيز ريادة الأعمال، من خلال المساعدة في توفير معلومات عن الأساليب الحديثة في مجال التسويق وتصميم الاستراتيجيات من أجل اطلاق المنتج في الأسواق المستهدفة، وكذلك توفير فرص ترويجية للمشروع من خلال المعارض والصفحة الإلكترونية الخاصة بالحاضنة وغيرها، الأمر الذي يمنح المشروع الريادي المحتضن الفرصة على تثبيت نفسه في السوق، وتوسيع المجال الذي يتعامل معه من خلال التعريف بمنتجاته عن طريق ما توفره له الحاضنة من امتيازات.

-العلاقة الارتباط بين الخدمات الفنية وتعزيز ريادة الأعمال:

من الجدول (05) وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين الخدمات الفنية وريادة الأعمال، حيث بلغت درجة الارتباط (0.667) بمستوى معنوية أقل من (0.05)، وهذا يبرز دور الخدمات الفنية في تعزيز ريادة الأعمال من خلال منح المشروع الريادي المحتضن المقر لإقامة المشروع داخل الحاضنة، وتقديم كافة التسهيلات للحصول على الآلات والتجهيزات الرأسمالية والمساعدة على تطوير الجوانب الفنية الخاصة بالمشروع وغيرها، الأمر الذي يساعد المشروع المحتضن على تقليص في نفقاته التأسيسية والنفقات ذات الصلة بالجوانب الفنية.

-العلاقة بين الارتباط خدمات السكريتارية وتعزيز ريادة الأعمال:

من الجدول (05) وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين خدمات السكريتارية وريادة الأعمال حيث بلغت درجة الارتباط (0.632) بمستوى معنوية أقل من (0.05)، وهذا يبرز دور خدمات السكريتارية في تعزيز ريادة الأعمال، وذلك بتوفير خدمات الحاسوب وخدمات الأنترنت والهاتف والفاكس وكذلك إعداد المستندات والنماذج الرسمية وعقد الاجتماعات الخاصة بموظفي المشروع وغيرها، الأمر الذي يساعد المشروع الريادي المحتضن على ترتيب شؤونه الداخلية، وتخفيض النفقات ذات الصلة وترسيخ ثقافة العمل الجماعي داخل المشروع.

تحليل واختبار أثر حاضنات المشروعات في تعزيز ريادة الأعمال:

H_0: لا يوجد تأثير ذو دلالة احصائية بين حاضنة المشروعات بمدينة عنابة (الخدمات مجتمعة) وتعزيز ريادة الأعمال عند مستوى معنوية 0.05.

H_1: يوجد تأثير ذو دلالة احصائية بين حاضنة المشروعات بمدينة عنابة (الخدمات مجتمعة) وتعزيز ريادة الأعمال عند مستوى معنوية 0.05.

الجدول (06): تقدير معلمات نموذج الانحدار الخطي البسيط

م. المستقل / م. التابع	Constant	حاضنات المشروعات	F		R^2	Sig
	B	A	المحسوبة	الجدولية		
ريادة الأعمال	1.867	0.626	36.397	4.23	0.583	0.000

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

تشير نتائج الانحدار على مستوى حاضنة المشروعات بمدينة عنابة إلى **وجود تأثير معنوي** لحاضنة المشروعات، الخدمات مجتمعة المتبناة في الدراسة، في تعزيز ريادة الأعمال، إذ بلغت قيمة F المحسوبة (36.397) وهي أعلى من قيمتها الجدولية البالغة (4.23) عند درجتي حرية (1،26)، وبلغ معامل التحديد R^2 (0.583)، ومعنى ذلك أن 58.3 % هي النسبة المئوية لتفسير التغيرات الحاصلة في المتغير المعتمد(ريادة الاعمال) التي تكون عائدة للمتغير المستقل (حاضنة المشروعات). ومن خلال متابعة معلمات النموذج $Y= 0.626X + 1.867$ واختبار (t) لها، تبين أنّ قيمة (t) المحسوبة (6.033) وبمستوى معنوية أقل (0.05)، وبذلك فقد **تحققت الفرضية الرئيسية الثانية**، أي وجود تأثير معنوي لحاضنة المشروعات بمدينة عنابة (الخدمات مجتمعة) على ريادة الأعمال لديها. ويؤكد هذا الدور الكبير لخدمات حاضنة المشروعات في تعزيز ريادة الأعمال.

بهدف توضيح علاقة الأثر بين كل خدمة من خدمات حاضنة المشروعات وتعزيز ريادة الأعمال، وفي ضوء الفرضيات الفرعية المنبثقة من الفرضية الرئيسية الثانية، فقد حلل التأثير بين كل خدمة وتعزيز ريادة الأعمال بصورة منفردة كما يلي:

المتغير المستقل	Constant	الخدمات	F	R^2	Sig

المتغير التابع		الادارية				
	B	A	المحسوبة	الجدولية		
تعزيز ريادة الأعمال	2.513	0.481	16.557	4.23	0.389	0.000

من خلال نتائج الانحدار الخطي البسيط لهذه الفرضية، نلاحظ **وجود تأثير معنوي بين الخدمات الادارية وتعزيز ريادة الاعمال**، حيث أن قيمة F المحسوبة لما تقدمه حاضنة المشروعات بمدينة عنابة من خدمات ادارية، وتأثيرها على متغير ريادة الاعمال أكبر من F الجدولية وبمستوى معنوية أقل من 0.05. و الملاحظ كذلك أن معامل التحديد بلغت قيمته (0.389)، ومعنى ذلك أن 38.9 % من التغيرات التي طرأت على المتغير المعتمد(تعزيز ريادة الاعمال) ترجع للمتغير المستقل الفرعي(الخدمات الادارية).

المتغير المستقل / المتغير التابع	Constant	الخدمات الاستشارية	F		R^2	Sig
	B	A	المحسوبة	الجدولية		
تعزيز ريادة الأعمال	3.269	0.279	16.742	4.23	0.392	0.000

من خلال نتائج الانحدار الخطي البسيط لهذه الفرضية، نلاحظ **وجود تأثير معنوي بين الخدمات الاستشارية وتعزيز ريادة الاعمال**، حيث أن قيمة F المحسوبة لما تقدمه حاضنة المشروعات بمدينة عنابة من خدمات استشارية، وتأثيرها على متغير تعزيز ريادة الاعمال أكبر من F الجدولية وبمستوى معنوية أقل من 0.05. و الملاحظ كذلك أن معامل التحديد بلغت قيمته (0.392)، ومعنى ذلك أن 39.2 % من التغيرات التي طرأت على المتغير المعتمد(تعزيز ريادة الاعمال) ترجع للمتغير المستقل الفرعي(الخدمات الاستشارية).

المتغير المستقل / المتغير التابع	Constant	خ/تنمية م البشرية	F		R^2	Sig
	B	A	المحسوبة	الجدولية		
تعزيز ريادة الأعمال	1.782	0.628	24.551	4.23	0.486	0.000

من خلال نتائج الانحدار الخطي البسيط لهذه الفرضية، نلاحظ **وجود تأثير معنوي بين خدمات تنمية الموارد البشرية وتعزيز ريادة الاعمال**، حيث أن قيمة F المحسوبة لما تقدمه حاضنة المشروعات بمدينة عنابة من خدمات تنمية الموارد البشرية، وتأثيرها على متغير ريادة الاعمال أكبر من F الجدولية وبمستوى معنوية أقل من 0.05. والملاحظ كذلك أن معامل التحديد بلغت قيمته (0.486)، ومعنى ذلك أن 48.6 % من التغيرات التي طرأت على المتغير المعتمد(تعزيز ريادة الاعمال) ترجع للمتغير المستقل الفرعي(خدمات تنمية الموارد البشرية).

المتغير المستقل / المتغير التابع	Constant	الخدمات المالية	F		R^2	Sig
	B	A	المحسوبة	الجدولية		
تعزيز ريادة الأعمال	2.729	0.48	17.746	4.23	0.406	0.000

من خلال نتائج الانحدار الخطي البسيط لهذه الفرضية، نلاحظ **وجود تأثير معنوي بين الخدمات المالية وتعزيز ريادة الاعمال**، حيث أن قيمة F المحسوبة لما تقدمه حاضنة المشروعات بمدينة عنابة من خدمات مالية، وتأثيرها على متغير تعزيز ريادة الاعمال أكبر من F الجدولية وبمستوى معنوية أقل من 0.05. و الملاحظ كذلك أن معامل التحديد بلغت قيمته (0.406)، ومعنى ذلك أن 40.6 % من التغيرات التي طرأت على المتغير المعتمد(تعزيز ريادة الاعمال) ترجع للمتغير المستقل الفرعي(الخدمات المالية).

المتغير المستقل / المتغير التابع	Constant	الخدمات التسويقية	F		R^2	Sig
	B	A	المحسوبة	الجدولية		
تعزيز ريادة الأعمال	3.143	0.313	9.398	4.23	0.266	0.005

من خلال نتائج الانحدار الخطي البسيط لهذه الفرضية، نلاحظ **وجود تأثير معنوي بين الخدمات التسويقية وتعزيز ريادة الاعمال**، حيث أن قيمة F المحسوبة لما تقدمه حاضنة المشروعات بمدينة عنابة من خدمات تسويقية، وتأثيرها على متغير ريادة الاعمال أكبر من F الجدولية وبمستوى معنوية أقل من 0.05. و الملاحظ كذلك أن معامل التحديد بلغت قيمته (0.266)، ومعنى ذلك أن 26.6 % من التغيرات التي طرأت على المتغير المعتمد(تعزيز ريادة الاعمال) ترجع للمتغير المستقل الفرعي(الخدمات التسويقية).

المتغير المستقل / المتغير التابع	Constant	الخدمات الفنية	F		R^2	Sig
	B	A	المحسوبة	الجدولية		
تعزيز ريادة الأعمال	2.614	0.414	20.795	4.23	0.444	0.000

من خلال نتائج الانحدار الخطي البسيط لهذه الفرضية، نلاحظ وجود **تأثير معنوي بين الخدمات الفنية وتعزيز ريادة الاعمال**، حيث أن قيمة F المحسوبة لما تقدمه حاضنة المشروعات بمدينة عنابة من خدمات فنية، وتأثيرها على متغير ريادة الاعمال أكبر من F الجدولية وبمستوى معنوية أقل من 0.05. و الملاحظ كذلك أن معامل التحديد بلغت قيمته (0.444)، ومعنى ذلك أن 44.4 % من التغيرات التي طرأت على المتغير المعتمد(تعزيز ريادة الاعمال) ترجع للمتغير المستقل الفرعي(الخدمات الفنية).

المتغير المستقل / المتغير التابع	Constant	خدمات السكريتارية	F	R^2	Sig

	B	A	المحسوبة	الجدولية		
تعزيز ريادة الأعمال	2.029	0.521	17.278	4.23	0.399	0.000

من خلال نتائج الانحدار الخطي البسيط لهذه الفرضية، نلاحظ **وجود تأثير معنوي بين خدمات السكريتارية وتعزيز ريادة الاعمال**، حيث أن قيمة **F** المحسوبة لما تقدمه حاضنة المشروعات بمدينة عنابة من خدمات السكريتارية، وتأثيرها على متغير ريادة الاعمال أكبر من **F** الجدولية وبمستوى معنوية أقل من 0.05. و الملاحظ كذلك أن معامل التحديد بلغت قيمته (0.399)، ومعنى ذلك أن 39.9 % من التغيرات التي طرأت على المتغير المعتمد(تعزيز ريادة الاعمال) ترجع للمتغير المستقل الفرعي(الخدمات السكريتارية).

I. اختبار فرق المتوسطين t-test لكل اجمالي محور من محاور الدراسة على نوع الجنس

H_0: لا توجد فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعًا لنوع الجنس عند 0.05.

H_1: توجد فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعًا لنوع الجنس عند 0.05.

الجدول رقم (07): اختبار فرق المتوسطين t-test

الخدمات المقدمة	Levene test		t	Sig (2 taild)
	F	Sig		
خدمات إدارية	0.169	0.684	0.308-	0.761
خدمات استشارية	0.604	0.444	0.425-	0.675
خدمات تنمية الموارد البشرية	0.129	0.722	0.530-	0.601
خدمات مالية	0.043	0.838	0.08	0.937
خدمات تسويقية	2.711	0.122	0.77-	0.448
خدمات فنية	0.098	0.757	0.52-	0.608
خدمات السكريتارية	2.570	0.121	0.557	0.340

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

من اختبار Levene يتضح أن قيمة الدلالة للمحاور السبع أكبر من 0.05، يعني وجود تجانس بين الذكور والإناث مما يؤدي لاعتماد دلالة اختبار t على قيمة Sig (2 taild)، فنجد احتمالات اختبار t هي أكبر من مستوى معنوية 0.05، والتي بدورها تؤكد قبول فرضية العدم أي لا توجد فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعًا لنوع الجنس.

II. اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لكل اجمالي محور من محاور الدراسة حسب المؤهل العلمي:

H_0: لا توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعًا للمؤهل العلمي عند 0.05.

H_1: توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعًا للمؤهل العلمي عند 0.05.

الجدول رقم (08): اختبار تحليل التباين الأحدي ANOVA حسب المؤهل العلمي

ANOVA		Levene test		الخدمات المقدمة
Sig	F_t	Sig	F	
0.732	0.316	0.078	2.837	خدمات إدارية
0.616	0.494	0.202	1.707	خدمات استشارية
0.676	0.398	0.155	2.012	خدمات تنمية الموارد البشرية
0.236	1.531	0.243	1.496	خدمات مالية
0.866	0.145	0.107	2.444	خدمات تسويقية
0.193	1.757	0.687	0.381	خدمات فنية
0.014	5.128	0.105	2.465	خدمات السكريتارية

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يلاحظ من Levene test أنّ قيمة Sig هي أكبر من مستوى معنوية 0.05 مما يعني وجود تجانس التباين، كما يتضح أنّ قيمة Sig في الجزء الخاص باختبار ANOVA جميعها أكبر من مستوى معنوية 0.05، بمعنى قبول فرضية العدم، ما عدى قيمة Sig الخاصة بخدمات السكريتارية والتي تساوي 0.014 هي أقل من مستوى معنوية 0.05، مما يعني رفض فرضية العدم، أي وجود اختلافات معنوية.

بمقارنة F_t الجدولية التي قيمتها (3.39) عند درجتي حرية (25،2) ومستوى معنوية 0.05، مع F_c المحسوبة في الجدول (07) بالنسبة لكل محور من المحاور، فنجد أن قيمة F الجدولية أكبر من F المحسوبة على مستوى جميع المحاور ما عدى محور خدمات السكريتارية. ومنه نقبل فرضية العدم أي لا توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعًا للمؤهل العلمي عند مستوى معنوية 0.05 بالنسبة لجميع محاور المتغير المستقل، ما عدى محور خدمات السكريتارية الذي أثبت وجود اختلافات معنوية في اجابات عينة الدراسة تبعًا للمؤهل العلمي عند مستوى معنوية 0.05، ولتحديد أي زوج من أزواج المؤهل العلمي له تأثير معنوي على اجابات أفراد العينة، تطبق إحدى اختبارات المقارنات البعدية.

الجدول رقم (09): اختبار المقارنات البعديةScheffe

Sig	المؤهل العلمي (j)	المؤهي العلمي(i)
0.326	ليسانس	دبلوم مهني
0.036	ماجستير	
0.326	دبلوم مهني	ليسانس
0.065	ماجستير	
0.036	دبلوم مهني	ماجستير
0.065	ليسانس	

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يلاحظ من النتائج السابقة أنّ هناك اختلافات معنوية بين المؤهل العلمي: دبلوم مهني وماجستير، حيث قيمة Sig في اختبارScheffe بين دبلوم مهني وماجستير كانت 0.036 وهي أقل من 0.05، مما يدل على معنويتها، أمّا باقي الثنائيات قيمة Sig أكبر من 0.05 مما يدل على عدم معنويتها.

III. اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لكل اجمالي محور من محاور الدراسة حسب العمر

H_0: لا توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعًا للعمر عند مستوى معنوية 0.05.

H_1: توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعًا للعمر عند مستوى معنوية 0.05.

الجدول رقم (10): اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA حسب العمر

الخدمات المقدمة	Levene test		ANOVA	
	F	Sig	F_c	Sig
خدمات إدارية	0.653	0.529	1.073	0.357
خدمات استشارية	0.388	0.683	0.227	0.799
خدمات تنمية الموارد البشرية	0.367	0.696	0.027	0.973
خدمات مالية	0.112	0.894	0.041	0.960
خدمات تسويقية	1.698	0.203	0.075	0.928
خدمات فنية	0.409	0.668	1.702	0.203
خدمات السكريتارية	0.324	0.726	1.350	0.278

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يلاحظ من Levene test أنّ احتمالات الدلالة جميعها أكبر من 0.05، مما يدل على تجانس التباين بين الخدمات المقدمة من طرف الحاضنة، ويلاحظ كذلك من الجدول (09) أنّ احتمالات الدلالة الخاصة باختبار ANOVA لجميع محاور الدراسة أكبر من 0.05، مما يدل على قبول فرضية العدم، أي لا توجد فروق معنوية بين متوسطات اجابات عينة الدراسة تبعاً للعمر.

وبالرجوع للجداول الإحصائية نجد أنّ F_t قيمتها $F_t=(2.25,0.05)=3.39$ وهي أكبر من قيمة F_c المحسوبة، وهذا يعني قبول فرضية العدم.

رابعا: الاستنتاجات والتوصيات

- **الاستنتاجات:** على ضوء ما سبق يمكن صياغة مجموعة من الاستنتاجات كالآتي:

1- إنّ أغلب تعاريف الريادة تتمحور حول مجموعة من المفاهيم والحقائق منها:

- الريادة تتضمن ابتكاراً وإبداعاً للأفكار الجديدة، والمبادرة في وضعها موضع التنفيذ الفعلي من خلال توافق الموارد على اختلاف أنواعها في المنظمة؛
- إدراك أنّ ظاهرة الريادة لا يمكن عزلها عن العديد من الظواهر الأخرى المرتبطة بها مثل (الثقافة، التعليم، التدريب، التمويل، الإبداع....إلخ) في السياق الاقتصادي والاجتماعي الذي توجد فيه.

2- تهدف حاضنات المؤسسات بشكل أساسي إلى ترويج لروح الريادة ومساندة المشروعات الريادية الصغيرة على مواجهة صعوبات مرحلة الانطلاق.

3- يعد متغير حاضنات المشروعات واضحا لأفراد عينة الدراسة، ويعزى ذلك إلى قوة امتلاك أفراد العينة للتصور حول أهمية الخدمات المقدمة لتعزيز ريادة الأعمال بمدينة عنابة.

4- أوضحت نتائج تحليل الارتباط، وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين خدمات حاضنة المشروعات وتعزيز ريادة الأعمال، إذ ارتبطت الخدمات المعتمدة في الدراسة (إدارية، استشارية، تنمية الموارد البشرية، مالية، تسويقية، فنية، سكريتارية) مع تعزيز ريادة الأعمال بعلاقة معنوية موجبة، ويدل ذلك على الترابط المنطقي بين هذه المتغيرات.

5- بينت نتائج تحليل الانحدار وجود تأثير معنوي لخدمات حاضنة المشروعات (مجتمعة) بمدينة عنابة على تعزيز ريادة الأعمال، فضلا عن وجود تأثير معنوي لكل خدمة من الخدمات المقدمة على تعزيز ريادة الاعمال.

6- كشفت نتائج اختبار فرق المتوسطين t-test لكل اجمالي محور من محاور الدراسة عدم وجود فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعاً لنوع الجنس.

7- أظهرت نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لكل اجمالي محور من محاور الدراسة، عدم وجود فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعاً للمؤهل العلمي. ما عدى في محور خدمات السكريتارية الذي أظهر وجود فرق معنوي للمؤهل العلمي "دبلوم مهني وماجستير".

8- أظهرت نتائج ANOVA لكل إجمالي محور من محاور الدراسة، عدم وجود فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعاً للعمر.

- **التوصيات:** في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وما بني من استنتاجات يمكن الخروج ببعض التوصيات اللازمة لتعزيز ريادة الأعمال:

1- التأكيد على الخدمات التي تقدمها حاضنة المشروعات بمدينة عنابة لتدليل الصعاب أمام المشروعات المحتضنة، بغية تعزيز ونشر روح الريادة لدى القائمين على هذه المشروعات.

2- تنمية خدمات حاضنة المشروعات بمدينة عنابة مع مراعاة النقائص التي يمكن أن تكتنفها، من خلال التركيز عليها في العمل.

3- على حاضنة المشروعات بمدينة عنابة إقامة تحالفات مع المنظمات العلمية والجامعات وتشجيع التواصل المفتوح بين قطاعات الأعمال والأطراف ذات العلاقة، لتوفير البيئة المنتجة والمحفزة لريادة الأعمال.

4- اتاحة الفرص المناسبة لتدريب أصحاب المشروعات المحتضنة بمدينة عنابة، على ثقافة تحمل الخطر ونشر فلسفة المبادرة.

5- اشهار ثقافة الريادي في حاضنة المشروعات بمدينة عنابة، والعمل على تعزيز رأس المال الاجتماعي في المشروعات المحتضنة، بفضل وجود شبكة العلاقات الاجتماعية بين أعضاء فريق العمل الريادي.

6- إنشاء حاضنات متخصصة لدعم الأفكار الريادية والمشروعات الناشئة بمدينة عنابة، التي لا تتوفر لها المقومات اللازمة للبدء الفعلي في العمل والانتاج، بهدف الوصول إلى تنمية محلية متوازنة.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

- **الكتب**

1- طارق عبد السلام السالوس، "حاضنات الاعمال"، دار النهضة العربية، القاهرة،2005.

2- عاطف الشبراوي إبراهيم، حاضنات الأعمال مفاهيم مبدئية وتجارب عالمية، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2005.

3- عبد السلام أبو قحف، "العولمة وحاضنات الاعمال: حالات عملية وحلول مشكلات"، الطبعة الاولى، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، مصر، 2002.

4- فايز النجار، محمّد العلي، الريادة وإدارة الأعمال الصغيرة، عمان، دار حامد للنشر والتوزيع، 2006.

5- لزعر علي، "منهجية لطلبة الاقتصاد والتجارة والتسيير"، المعارف للطباعة، عنابة، الجزائر، 2012.

6- مجدي عوض مبارك، الريادة في الأعمال، إربد، الأردن عالم الكتاب الحديث، 2009.

7- مروة احمد، نسيم برهم، الريادة وإدارة المشروعات الصغيرة، القاهرة، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، 2008.

8- محمّد هيكل، " مهارات ادارة المشروعات الصغيرة"، الطبعة الاولى، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2003.

- **مقالات وملتقيات علمية**

1- ايثار عبد الهادي ال فيحان، سعدون محسن سلمان، "دور حاضنات الاعمال في تعزيز ريادة المنظمات"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد 30، 2012.

2- حسين عبد الرحيم، " نظم حاضنات الاعمال كآلية لدعم التجديد التكنولوجي "، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 02، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2003.

3- خالد مصطفى قاسم، "دور حاضنات المشروعات في تنمية القدرات التنافسية للصناعات الصغيرة والمتوسطة"، الملتقى الدولي الرابع للصناعات الصغيرة والمتوسطة، صنعاء، 20-22 نوفمبر 2007.

4- رنا أحمد ديب عيتاني، حاضنات الأعمال كآلية لدعم منشآت الأعمال الصغيرة في عصر العولمة، مجلة روسيكادا، العدد 02، جامعة سكيكدة، الجزائر، ديسمبر2004.

5- علي سماي، "دور الحاضنات التكنولوجية في دعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة"، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية،العدد السابع جوان 2010.

6- يصغ واثق صبري،" اثر استخدام المنشآت التجارية للإعلان الالكتروني في الشبكة العنكبوتية على الأداء التسويقي"، مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، المجلد الأول، العدد الأول، 2006.

- **رسائل وتقارير ونصوص قانونية**

1- القمة الأورو متوسطية للمجالس الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات،" تعزيز ريادة الاعمال والابتكار والابداع في المنطقة الاورو متوسطية، الاسكندرية، مصر، 18-19 أكتوبر 2009.

2-	نور ربحي الشريف، التحديات المالية والإدارية التي تواجه المشاريع الصناعية الصغيرة في مدينة الخليل، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 2009.
3-	وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، "مدونة النصوص القانونية والتنظيمية الخاصة بقطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة"، الجزائر، 2005.

- **المراجع باللغة الاجنبية**

- **الكتب**

1- Histrich Robert and Peters Michael, Entrepreneurs ship, 5th edition, McGraw-Hill Companies, London, 2002.
2- Koulter and Mary, Entrepreneurship in action,Prentice-Hall,USA,2001.

- **مقالات علمية**

1- Joel Wiggins, David V. Gibson,” Overview of US incubators and the case of the Austin Technology Incubator”, Int. J. Entrepreneurship and Innovation Management, Vol. 3, Nos. 1/2, 2003, p58
2- Ľubica Lesáková,” The Role of Business Incubators in Supporting the SME Start-up”, Acta Polytechnica Hungarica, Vol. 9, No. 3, 2012.
3-

- **تقارير ودراسات**

1- Chiranjibi,”Strategy For Promoting business Incubation Centers in Nepal”, Economic Policy Network, policy paper 21,2006.
2- David A. Lewis and all, ”Incubating Success-Incubation Best Practices That Lead to Successful New Ventures”, University of Michigan, USA, 2011.
3- European Commission,’ Benchmarking of business Incubators”, Centre for strategy & evaluation services, 2002.
4- Krzysztof Zasiadly,” Business Incubator Model Business Road Map 2020”, USAID MEP, Kazakhstan, 2010.
5- Tornatzky Louis and all, ”A National Benchmarking Analysis of Technology Business Incubator Performance and Practices” The National Business Incubator Association, USA, 2002.

- **المواقع الالكترونية**

1- حدود ونطاق النموذج الارشادي الريادي
http//www.highbeam.com/library/index.asp?refid=ae_or
2- أوجه الاختلاف بين ريادة الأعمال والأعمال الصغيرة
http://faculty.ksu.edu.sa/alshum/DocLib16/Forms/AllItems.aspx

تأثير حجم المدخرات
على تمويل استثمارات شركات التأمين على الأشخاص في الجزائر

أ.بارة سهيلة
جامعة باجي مختار- عنابة

الملخص:
تهدف الدراسة إلى معرفة مدى تأثير حجم المدخرات في شركات تأمين الأشخاص على تمويل استثمارات هذه الشركات في الجزائر، وإبراز دور شركات التأمين كوعاء ادخاري، حيث تمحورت هذه الدراسة على اشكالية تمثلت في: "فيما يكمن أثر حجم مدخرات شركات تأمين الأشخاص في تمويل استثمارات هذه الشركات؟"، كما جاءت هذه الدراسة لإثبات مجموعة من الفرضيات أهمها وجود علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين حجم مدخرات شركات تأمين الأشخاص وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0,05. وتناولت الدراسة هذا الموضوع بجانبيه النظري والميداني من خلال اعداد استبانة أسئلة تمّ تصميمها لغرض جمع المعلومات وتحليلها وفق برنامج SPSS. حيث توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها وجود علاقة تأثير بين الادخار والاستثمار في شركات تأمين الأشخاص، إضافة إلى تقديم بعض التوصيات أهمها المساهمة في نشر الوعي الادخاري والتأميني من طرف الدولة وشركات التأمين، من خلال تقديم برامج توعوية.

الكلمات المفتاحية: شركات التأمين، تأمين الأشخاص، حجم المدخرات، الوعي الادخاري، تمويل الاستثمارات.

Abstract
The study aims at examining the effect of the size of savings of personal lines insurance companies in Algeria, and highlighting the role of insurance companies as saving vehicles, by focusing on the problematic of: "Where does the effect of the size of the savings of personal lines insurance companies lies in financing the investments of these companies?" The study also aimed at proving a set of assumptions, the most important of which is the significant statistical correlation between the size of the savings of personal lines insurance companies and financing investments at 0.05 level of significance. The study examined this subject, theoretically and by a field survey through a questionnaire designed for collecting information and analysis in accordance with the SPSS programme. The study led to a set of conclusions the most important of which is the presence of a significant relationship between savings and investments of personal lines insurance companies, and making a few recommendations the most important of which is the participation of the State and insurance companies in savings and insurance awareness through awareness programmes.

Key words: insurance companies, personal lines insurance, size of savings, savings awareness, investment financing.

المقدمة:

تقوم منشآت التأمين الاجتماعية وشركات التأمين على الأشخاص بدور هام في الحفاظ على حياة الفرد الإنتاجية، وضمانها للآخرين سواء كانوا أفراد أسرة أو شركاء في ملكية مشروع أو مستفيدين في أي من الصور المختلفة، وذلك لأنّ حياة الفرد كعامل من عوامل الإنتاج الضرورية لعملية التنمية الاقتصادية مُعرضة للانقضاء وللحوادث، ما يوقف انتاجها في وقت مبكر وغير منتظر، وهذا هو دور شركات تأمين الأشخاص في حماية الأفراد من هذه الاخطار المحتملة الوقوع، الأمر الذي يجذب الزبائن لشراء منتجات هذه الشركات للحصول على هذه الخدمة، فتتجمع لدى شركات التأمين أموال طائلة نتيجة لقيامها بتجميع الأقساط التي يدفعها المؤمن لهم في بداية التعاقد، كما تلتزم هذه الشركات بأداء التزاماتها نحو زبائنها إذا تحقق الخطر خلال مدة العقد أو في نهايته تبعًا لطبيعة العقد. وبذلك تمر فترة زمنية بين أداء المؤمن لهم لالتزاماتهم ممثلة في الأقساط وأداء الشركة لالتزاماتها في شكل تعويضات، وتبقى الأموال خلال هذه الفترة لدى الشركة التي تقوم باستثمارها وتحصل مقابل ذلك على عائد ودخل من الاستثمار.

ويُعتبر الادخار بمختلف أنواعه من أهم مصادر تمويل الاقتصاد لِما يُوفره من رؤوس أموال تعمل على تحريك النُمو الاقتصادي، ونظرا لهذه الأهمية فإنّ عملية تحريك دوافع الادخار هي عملية هادفة لزيادة الوعي الادخاري الذي يرفع من حجم المُدخرات، الأمر الذي يُوفر قاعدة تمويلية للمؤسسات التمويلية تعمل من خلالها على تمويل الاستثمارات المحلية وبالتالي تحقيق أغراض التنمية الاقتصادية. ولكن يتوقف حجم الادخار على مدى وجود وتطور المؤسسات المختلفة التي تساعد على تكوينه بما تقوم به من امتصاص لجزء من الدخل القومي، سواء كانت على شكل ودائع في البنوك أو أسهم أو سندات أو تأمينات. وكمثال على هذه المؤسسات شركات التأمين وبنوك الادخار وأسواق الأوراق المالية، كما تتمثل في وجود هيئات التأمينات الاجتماعية، ومثل هذه المؤسسات من شأنها أن تُشجع الأفراد على الادخار إمّا اختياريا بالنسبة لبعضها أو اجباريا بالنسبة للبعض الآخر. وباعتبار أموال حملة الوثائق من أهم مصادر تمويل استثمارات شركات التأمين عند تراكمها، أصبح علينا محاولة توضيح ما تّم تقديمه، من خلال محاور هذه الدراسة والمتمثلة في المحور النظري، ومحور الدراسة الميدانية، والمحور الذي يتم فيه عرض النتائج وتقديم التوصيات.

الإشكالية: تتكون مصادر تمويل استثمارات شركات التأمين من مصادر داخلية وأخرى خارجية. إذ تعتبر أموال حملة الوثائق أهم عنصر من المصادر الخارجية خاصة بالنسبة لشركات تأمين الأشخاص. والتي يمثل تزايدها من فترة لأخرى تراكم لرؤوس أموال قابلة للاستثمار في شركات التأمين، ولتوضيح هذه العلاقة لا بُد من الإجابة عن الاشكال التالي: **كيف تؤثر حجم مدخرات شركات تأمين الأشخاص في تمويل استثمارات هذه الشركات؟.**

وتنبثق عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية متمثلة في:

- فيما يكمن نشاط شركات التأمين على الأشخاص في الجزائر؟
- فيما يتمثل مفهوم الادخار في شركات التأمين ؟
- ما هي العلاقة الموجودة بين الادخار والاستثمار في شركات التأمين الأشخاص؟
- ما هو أثر حجم الادخار على تمويل استثمارات شركات تأمين الأشخاص في مدينة عنابة؟.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من الدور الذي يلعبه الادخار على مستوى الاقتصاد الكلي وعلى مستوى شركات التأمين خاصة، إذ تلعب العوامل المؤثرة على زيادة أو انخفاض حجم الادخار دورا في التأثير على تمويل استثمارات شركات التأمين، ولهذا من الضروري التعرف على هذه العوامل لما لها من أثر، وتأتي هذه الدراسة لمحاولة الوصول لنتائج البحث التي تخدم قطاع التأمين في الجزائر.

أهداف الدراسة: لكل بحث علمي أهداف يسعى لتحقيقها. ويتمثل مسعى هذه الدراسة في :

- التعرف على منتجات شركات تأمين الأشخاص في الجزائر ونشاطها كمؤسسة مالية.
- التعرف على الادخار وطبيعته في شركات التأمين.
- كذلك التعرف نظريا على دور شركات التأمين كوعاء ادخاري.
- إضافة إلى التعرف ميدانيًا على العلاقة بين المتغير المستقل الادخار والمتغير التابع تمويل الاستثمار.

فرضيات الدراسة: تتمحور فرضيات الدراسة فيما يلي:

- توجد علاقة ارتباط معنوية بين حجم مدخرات شركات تأمين الأشخاص وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0,05.

- توجد علاقة تأثير معنوي بين حجم مدخرات شركات تأمين الأشخاص وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوي 0,05.

- توجد فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعا لنوع الجنس عند مستوى معنوية 0,05.
- توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعا للتخصص العلمي عند مستوى معنوية 0,05.

مجتمع الدراسة: بعد زيارة مديرية التأمينات بوزارة المالية تمّ التعرف على مجمل شركات التأمين بصفة عامة وشركات تأمين الأشخاص بصفة خاصة والمتمثلة في:

(Cardif eldjazair,TALA,SAPS,CARRAMA,AXA Vie,MACIR Vie). وتم استبعاد كارديف الجزائر التي تختلف طبيعة نشاطها عن الشركات الأخرى وتعاملها يكون مع البنوك فقط . وبهدف الحصول على نتائج أكثر دقة وواقعية تمّ القيام بمسح شامل لجميع تلك الشركات. إذ تمثل إطار الدراسة في هذه الشركات، في حين مجتمع الدراسة حُدِد في جميع الموظفين في الإدارة العُليا والوسطى لهذه الشركات. وكانت عينة الدراسة عينة عشوائية بسيطة ممثلة في طبقة المسؤولين المختصين من هذا المجتمع، ووزعنا الاستبانة كما هو موضح في الجدول الموالي:

الشركات محل الدراسة	عدد الاستمارات الموزعة			عدد الاستمارات المجمعة والمقبولة
	الإدارة العُليا	الإدارة الوُسطى	المجموع	
TALA	2	4	6	6
SAPS	4	10	14	6
CAARAMA	5	10	15	8

Macir Vie	2	5	7	4
Axa Vie	3	3	6	6
المجموع	16	32	48	30

محددات الدراسة: عند قيامنا بهذه الدراسة وضعنا بعض الحدود المتعلقة بما يلي:

-استهدفت الدراسة شركات تأمين الأشخاص فقط، كون الادخار يكون طويل المدى في عقود هذا النوع من الشركات، وهي بهذه الخاصية تساهم في تمويل استثمارات طويلة الأجل ترجع بعوائد على هذه الشركات.

-كما وُجِهت الدراسة لمعرفة آراء المسؤولين بهذه الشركات حول العلاقة بين حجم الادخار وتمويل الاستثمارات، وهذا باعتبار أنّ لموضوع الدراسة أبعاد استراتيجية هي من اختصاص هؤلاء المسؤولين.

أداة وطريقة جمع البيانات: يُعد اختيار أداة جمع البيانات خطوة أساسية لها تأثير مباشر على نتائج الدراسة، ولهذا يتعين انتقاء الأداة التي تتناسب مع أهداف التحليل وهو ما يُملي الطريقة التي يجب اعتمادها في ذلك، وعلى هذا الأساس سنقوم بوصف الأداة المستخدمة والطريقة المعتمدة في جمع البيانات.

حيث بهدف جمع المعلومات حول تأثير حجم المدخرات على تمويل استثمارات شركات التأمين على الأشخاص الجزائرية، قام الباحث بتطوير استبيان وهذا بالاعتماد على دراسات سابقة شملت دول عربية مختلفة مع تكييفها مع خصوصيات شركات التأمين على الأشخاص في الجزائر.

تضمن الاستبيان ثلاث محاور أساسية موزعة كما يلي:

-المحور الأول: تمّ تخصيصه للمعلومات الشخصية الخاصة بالمستجيب وكانت الأسئلة مغلقة وتمثلت في: العُمر، الجنس، المؤهل العلمي، التخصص العلمي.

-المحور الثاني: الخاص بالمتغير المستقل حجم المدخرات، وقد تضمن عدة فقرات متمثلة في: الفقرات المتعلقة بالدخل، والمتعلقة بالوعي الادخاري، كذلك الفقرات المتعلقة بالأوعية الادخارية البديلة، إضافة إلى معدلات السحب، ومعدل العائد الاستثماري، وأخيراً معايير الاستثمار الجيد في المنشأة التأمينية.

-المحور الثالث: المتغير التابع تمويل استثمارات شركات التأمين، خُصِص هذا المحور لأسئلة تتعلق بتمويل استثمارات شركات التأمين على الأشخاص، وقد تضمن 11 فقرة كان الهدف منها معرفة رأي المستقصى حول تأثير زيادة أو انخفاض حجم المدخرات على تمويل استثمارات شركات التأمين على الأشخاص.

أساليب التحليل الاحصائي: بعد جمع الاستبانات ومراجعتها والتأكد من صلاحيتها للتحليل الاحصائي تمّ القيام بتبويب البيانات وتفريغها في الحاسب الآلي باستخدام حزمة البرنامج الاحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS 19 (Statistical Package for Social Science) وتحليل البيانات بالاعتماد على مجموعة من الأدوات الاحصائية والمتمثلة في:

- مقاييس الاحصاء الوصفي مثل: النسب، المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، وهذا لوصف خصائص عينة الدراسة.
- معامل ارتباط ألفا كرونباخ للتأكد من ثبات أداة الدراسة ومن تناسقها الداخلي.
- اختبار ت للعينة الواحدة (One-Sample T.Test) للتأكد من مدى وجود فروق في الآراء.

- تحليل التباين الأحادي(ANOVA) وهذا للتحقق من وجود اختلافات في حجم المدخرات تبعا للتخصص العلمي.

المحور الأول: التأصيل النظري للادخار في شركات التأمين على الأشخاص

أولا: التأمين على الأشخاص: ماهية، أنواع، طبيعة عمل.

يعرف التأمين على الأشخاص في القانون الجزائري على أنّه: "عقد احتياطي يكتتب بين المكتتب والمؤمن، يلتزم بواسطته المؤمن بدفع مبلغ محدد في شكل رأسمال أو ريع في حالة وقوع الحدث أو عند حلول الأجل المحدد في العقد للمؤمن له أو المستفيد المعين، يلتزم المكتتب بدفع الأقساط حسب جدول استحقاق متفق عليه(الجريدة الرسمية، العدد15، ص 4) ".

إذن يتضح من التعريف أنّه تأمين يتعلق بشخص المؤمن له، فيؤمن نفسه من الأخطار التي تهدد حياته أو سلامة جسمه أو صحته أو قدرته على العمل.

وتوجد عدة أشكال لتأمين الأشخاص نذكر منها:

أ- **تأمين على الإصابات (الحوادث الجسمانية):** التأمين من الحوادث هو عقد يلتزم بموجبه المؤمن مقابل قسط أن يدفع مبلغ التأمين إلى المؤمن له في حالة تعرضه لإصابة في جسمه بسبب حادث ما أو إلى المستفيد في حالة ما أدت الإصابة إلى وفاة المؤمن له، بالإضافة إلى رد المصاريف الطبية والصيدلانية التي يكون المؤمن له قد أنفقها بسبب الإصابة(بن خروف عبد الرزاق، 2002،ص290).

ب- **التأمين على المرض:** وفيه يؤمن شخص على نفسه أو أفراد عائلته من المرض وما ينتج عن ذلك من عجز كلي أو جزئي أو الوفاة، ويضمن بذلك المؤمن مبلغ التأمين أو بتقديم مرتب مدى الحياة في حالة مرض المؤمن له أو للمستفيد في حالة الوفاة بسبب المرض المؤمن عليه، وكل ذلك مقابل قسط يتحصل عليه.

ت- **التأمين لحالة الحياة:** تعرف المادة 64 من قانون التأمينات الجزائري بأنه : "عقد يلتزم بموجبه المؤمن بدفع مبلغ محدد للمؤمن له عند تاريخ معين مقابل قسط إذا بقي المؤمن له على قيد الحياة عند هذا التاريخ" (سهام رياش،2008،ص61).وينقسم هذا النوع بدوره إلى ثلاثة أقسام هي:

- **تأمين رأس المال المؤجل:** هنا تلتزم مؤسسة التأمين بصرف مبلغ التأمين إذا بقي المؤمن له على قيد الحياة عند تاريخ محدد، ويكون ذلك في شكل رأس مال دفعة واحدة.
- **تأمين الريع:** في هذه الحالة تلتزم مؤسسة التأمين بدفع إيراد دوري مدى الحياة إذا بقي المؤمن له على قيد الحياة ووصل أجل الاستحقاق.
- **تأمين لضمان التأمين الأول:** في هذه الحالة يقوم المؤمن له بدفع قسط إضافي للأقساط الأصلية التي تخص التأمين لحالة الحياة فيترتب على المؤسسة دفع تعويض لورثة المؤمن له إذا توفي قبل التاريخ المحدد في العقد.

ث- **التأمين لحالة الوفاة:** هو عقد يلتزم بمقتضاه المؤمن في مقابل أقساط بأن يدفع مبلغ تأمين معين عند وفاة المؤمن المستفيد سواء أكان ذلك دفعة واحدة أو في شكل إيراد دوري(جديدي معراج،2004،ص49).

ويشمل التأمين على الحياة ما يلي:

- **التأمين العمري:** ومفاده بأن تتعهد مؤسسة التأمين بدفع مبلغ التأمين على شكل رأسمال أو إيراد مرتب طيلة الحياة للمستفيد. وذلك بعد تحقق الخطر والمتمثل في وفاة المؤمن له.
- **عقد التأمين المؤقت (** Jeron Bonnard, 1997 ,p291 **):** التأمين المؤقت هو تأمين محض تّم اكتتابه لمواجهة خطر مُعين دون أن يشتمل على عنصر الادخار، ومن أجل ذلك تُضيع على المؤمن له الأقساط التي دفعها إذا لم يتحقق الخطر المؤمن منه. ولم يمُت خلال المُدة المُعينة. وتكون هذه الأقساط في مُقابل ما يتحمله المؤمن من ضمان الخطر.

ج- **التأمين المختلط:** هو عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه في مقابل أقساط بأن يدفع مبلغ التأمين رأس مال أو إيراد إلى المستفيد، إذا توفي المؤمن على حياته خلال المدة الزمنية، أو للمؤمن على حياة نفسه إذا بقي على قيد الحياة عند قضاء المدة المعينة. وينقسم هذا النوع من التأمين المختلط بدوره إلى أربعة أصناف:التأمين المختلط العادي، التأمين لأجل محدد، عقد تأمين المهر، عقد تأمين الأسرة.

كما يوجد تصنيفات أخرى من تأمين الأشخاص ساري العمل بها هي:

أ- **التأمين التكميلي**: يصنف التأمين التكميلي ضمن التأمين على الحياة غير العادية. حيث يقوم المؤمن له بضمان دفع أقساط التامين على الحياة في حالة عجزه عن الدفع لأسباب مختلفة كالمرض والبطالة.

ب- **التأمين لصالح الغير**: يبين القانون الجزائري التأمين لصالح الغير بـ : " يمكن لمكتتب عقد التأمين أن يعين مستفيدا أو عدة مستفيدين من رأس المال أو ريع المؤمن " (مولود ديدان، 2006، ص23).

هنا يتضح لنا بأنّ المشرع الجزائري أجاز للمؤمن له أن يكتتب عقد التأمين لصالح شخص أو عدة أشخاص سيستفيدون من التعويض في شكل رأس مال أو ريع دائم إذا توفي المؤمن له.

ح- **التأمين الجماعي** (فايز احمد عبد الرحمن، 2006، ص40)**:** هو تأمين يعقده شخص لمصلحة مجموعة من الأشخاص تربطه بهم رابطة معينة، كالتأمين الذي يعقده صاحب العمل لصالح عماله.

وتختلف الطبيعة الخاصة لعمليات التأمين على الأشخاص عن تلك الخاصة بتأمينات الأضرار كثيرا، إلى الدرجة التي يترتب عليها عدم ملاءمة الكثير من النسب والمعدلات المستخدمة في التحليل المالي في مجال تأمينات الأضرار للتطبيقات في مجال التأمين على الأشخاص وأهم الخصائص (عبد المطلب عبده، 1992،ص2):

- **طول مدة العقد:** تعتبر الغالبية العُظمى من عقود التأمين على الأشخاص عقودا طويلة الأجل، حيث تعمد هيئات التأمين إلى اتباع سياسة متحفظة عند تقديرها لعناصر التكاليف المختلفة المتوقع تحقيقها خلال هذه المدة طويلة نسبيا.

- **طبيعة القسط المتساوي:** يؤدي اتباع طريقة القسط المتساوي في تحديد أقساط عقود التأمين على الأشخاص إلى أن يصبح القسط الصافي لعقود التأمين التي تغطي خطر الوفاة مُكون من جزئين (يتمثل الجزء الأول في القدر اللازم لمواجهة تكلفة تغطية خطر الوفاة، أمّا الجزء الثاني فيعبر عن الجزء الادخاري من القسط والذي يتم تجنيبه لمواجهة الالتزامات المستقبلية الناشئة عن العقد مكونا بذلك ما يُسمى الاحتياطي الحسابي.

- **تعاظم أهمية الاستثمار:** على ضوء ما سبق الإشارة إليه بخصوص طول مدة العقد وطبيعة القسط المتساوي في حساب الأقساط الذي يؤدي إلى تراكم مدخرات حملة الوثائق لدى هيئات التأمين. تحتل السياسة الاستثمارية أهمية قُصوى في مجال التأمين على الحياة نظرا للزيادة الكبيرة لحقوق حملة الوثائق، في هيئات التأمين على الأشخاص يصبح من الأهمية بمكان فحص وتحليل مكونات محفظة الاستثمار للتأكد من عدم مجازفة بأموال حملة الوثائق في استثمارات غير مضمونة، ويمثل الدخل الصافي الناتج من عمليات الاستثمار أكثر من ربع اجمالي دخل هيئات التأمين.

- **تكاليف الحصول على العمليات:** يُقصد بتكاليف الحصول على العمليات ذلك النوع من المصروفات الذي يتم انفاقه في سبيل الحصول على وثائق جديدة، ويتضمن هذا النوع من المصروفات عمولات الانتاج والنفقات الخاصة بالكشف الطبي، وكافة المصروفات الأخرى المتعلقة بعملية الاصدار، وهناك اختلاف المعدلات الخاصة بالمصروفات وتلك الخاصة بالتغير في الفائض في الشركات الجديدة التي تنمو بمعدلات كبيرة عن تلك الخاصة بالشركات الكبيرة المستقرة.

- **التباين الكبير في طبيعة الوثائق:** تختلف وثائق التأمين على الأشخاص من حيث تكوينها اختلافا كبيرًا، فبينما تغلب على وثائق التأمين المختلطة الصيغة الادخارية لا تحوي وثائق التأمين المؤقتة وخاصة قصيرة الأجل على ادخار يذكر. وبالتالي تختلف الآثار الناتجة عن التوسع في النشاط على نوعية الوثائق التي تّم التوسع ففي اصدارها، فيترتب على التوسع في الوثائق الادخارية زيادة أكبر في معدلات النمو الخاصة بالأقساط، الاحتياطي الحسابي حقوق الملكية، وكذا المعدلات الخاصة بالربحية، كما لو تّم التوسع بنفس المعدل ولكن في التأمين على الحياة المؤقتة.

ثانيا: طبيعة الادخار في شركات التأمين

لقد حظي الادخار باعتباره أحد أهم الظواهر الاقتصادية بالاهتمام من طرف الباحثين منذ القدم لارتباطه بأهم المتغيرات الاقتصادية، مثل دخول الأفراد واستهلاكاتهم المختلفة. ولأنه يعتبر من أهم مصادر تمويل المشاريع التنموية. لذا نجد أنه قد تعددت المفاهيم حوله وتباينت أنواعه، كما نجد أنه قد اختلفت التحاليل حول العوامل المؤدية أو المحددة للادخار. وهو ضروري لتوفير رؤوس الأموال الضرورية لتنفيذ أي برنامج استثماري لاحداث دفعة قوية في النمو الاقتصادي. ويُعرف الادخار على أنه: " ذلك الجزء من الدخل الذي لا يستهلك".(محمّد حسين وكاظم جاسم العيساوي، بدون سنة، ص96).يعني أنه يمثل تلك الحصة من الدخول التي لا توجه للاستهلاك. (Christian Romain, 2004 ,p52)

وتتمثل أشكاله في أنه يأخُذ أحد الصورتين التاليتين أو كلاهما معا: الادخار بسبب الطبيعة الفنية لعقود التأمين على الحياة و الادخار الاختياري ذات العائد، فمن الناحية الفنية فإن سداد تكلفة عقود التأمين على الحياة على أقساط متساوية طول مدة التأمين يخلق نوع من الادخار شبه الإجباري أو التلقائي بسبب حصول المؤمن على أقساط تزيد عن التكلفة الفعلية للحماية التأمينية خلال الفترات الأولى لعقد التأمين على الحياة،ويصبح من الضروري على المنشأة التأمينية تجميع هذه الزيادات و استثمارها بحيث تصبح كافية

لتغطية العجز في الأقساط المتساوية عن التكلفة الفعلية للحماية التأمينية خلال الفترات الأخيرة لعقد التأمين على الحياة (معوض حسن حسنين،1986،ص491).

و قد يكون الادخار لدى شركات التأمين اختياري عن طريق ترك المبالغ المستحقة للمؤمن لهم لدى الشركة ليعاد استثمارها لصالح حملة الوثائق والحصول عليها في شكل دفعات معاش أو مبالغ نقدية في تواريخ استحقاقها أو عند الطلب و يفضل المستثمرين شركات التأمين عن غيرها من الأوعية الادخارية والاستثمارية الأخرى لاستثمار أموالهم بهدف الاستفادة من السياسات الاستثمارية الرشيدة لهذه الشركات، ويعتبر التأمين المختلط ودفعات المعاش و وثائق التأمين الاستثمارية قنوات استثمار رئيسية تحقق الرغبات الاستثمارية إلى توفير الحماية التأمينية بالنسبة لحملة الوثائق، و بالإضافة إلى مصادر الادخار و تكوين الأموال لدى شركات التأمين فهي تُكون بعض الاحتياطيات الفنية لوثائق التأمينات العامة مثل احتياطي للأخطار السارية واحتياطي تعويضات، كما تقوم شركات التأمين بإعادة استثمار العوائد الاستثمارية التي تحصل عليها من محافظها الاستثمارية، و تمثل هذه المصادر جزءا لا بأس به من حجم الأموال المتاحة للاستثمار لدى شركات التأمين.

ومن بين مميزاته التي تؤثر بدورها في الهيكل العام للسياسات الاستثمارية لهذه المنشآت المتخصصة. حيث أنّه غالبا ما يكون هدف ثانوي بالمقارنة بهدف توفير الحماية التأمينية، وخاصة بالنسبة لمشتري وثائق التأمين المؤقت ووثائق التأمين لمدى الحياة والتأمين المختلط، لذلك فإن أغلب المدخرات لدى شركات التأمين على الأشخاص تبقى حتى تاريخ استحقاقها وبقيمتها الاسمية، الأمر الذي يؤثر على كيفية استثمارها و يعطي للقائمين على رسم السياسات الاستثمارية المرونة الكافية في التخطيط و التنفيذ، هذا بالإضافة إلى أنّ ضمان الانتظام في سداد أقساط التأمين على الحياة في مواعيدها خوفا من الأضرار التي تترتب على عدم السداد سوف يُساعد على التخطيط الجيد للسياسات الاستثمارية لشركات التأمين.

حيث في شركات تأمين الأشخاص يتضمن تشجيع الجميع على الادخار وتعبئة المدخرات بطريقة أفضل من الادخار التي تحققها المصارف، إذ أنّ الادخار في المصارف يتصف بسهولة سحب الرصيد المُدخّر، أمّا الادخار في التأمين على الأشخاص فإنّ الغالبية العظمى من الوثائق يكون فيها السحب بعد انقضاء ثلاث سنوات من بداية سريان العقد. ويؤدي ذلك إلى تكوين رصيد مناسب في نهاية مدة التأمين من مبالغ صغيرة (الأقساط) التي كان سيتم انفاقها حتمًا لو لم تسدد كأقساط للتأمين على الأشخاص، ويظهر مجال التوفير جليًا في التأمين على الحياة، لأنّ عقود التأمين على االحياة عقود طويلة الأجل تعمل على تجميع مبالغ نقدية كبيرة تحتفظ بها شركات التأمين كموجودات أو ذمم لها (Harrington Scott E, Niehaus Gregory R , 2004 ,p312).

ثالثا:شركات تأمين الأشخاص كوعاء ادخاري

يعتبر التأمين وسيلة ادخارية هامة خاصة في الدول النامية. حيث يتميز بصغر أقساطه نسبيا، مما يجعل الأفراد ذوي الدخول المنخفضة بمقدورهم الادخار للمستقبل. ويتميز التأمين عن مختلف الأوعية الادخارية الأخرى في أنه يعتبر وعاء ادخاري منظم يُدفع في شكل أقساط مما يعطيها صفة الثبات والاستقرار(عثمان بابكر، 2005،ص478). فالفرد المُؤمن في هذه الشركات يلتزم بدفع أقساط محددة يتفق عليها حسب جداول

تضعها هذه الشركات على أن يتم ايداع هذه الأقساط في مواعيدها المقررة التي يتفق عليها، وبصفة منتظمة طوال مدة التأمين في مقابل الحصول على حصيلة مالية معينة يتفق عليها في حالة حصول أخطار معينة يتفق عليها كالعجز أو الوفاة....الخ، ونظرا لأنّ هذه الشركات تتحمل التعويض عن الأخطار أنها لا ترُد المبالغ المدخرة كاملة لأصحابها في حالة مطالبة الفرد بتصفية مبالغ تأمينية، ولذلك فإنّ المُدخر لدى شركات التأمين على الأشخاص يُواظب عادة على الادخار ضماناً للحصول على الحصيلة التي يستهدفها من تأمينه.

قد يتساءل البعض ما علاقة التأمين على الأشخاص بالادخار؟ بيد أنّ التأمين مبني على عنصر الاحتمال يبقى الادخار عملية مالية تتم بجمع مبالغ مالية على المدى الطويل دون الاعتماد على عنصر الاحتمال بكونها عملية مؤكدة، فإذًا ادخار مبلغ معين بعد مدة سيصبح هذا المبلغ مضاف إليه نسبة معينة من الأرباح، والإجابة في كون التأمين على الأشخاص رغم بناءِه على عنصر الاحتمال إلاّ أنّه لو نظرنا إليه من الجانب التعاوني المنظم من قبل المؤمن فإننّا نجد أنّ المكتتبين كلهم يساهمون بأقساط دورية أو وحيدة على المدى الطويل، وكل هذه الأموال تشكل ادخارًا يستفيد منه كل مُستفيد من عقد التأمين على الأشخاص بمختلف أنواعه عِوض اِضاعة تلك المبالغ في استهلاكها، وبالخصوص في العقود التي تشكل فيها احتياطات حسابية (زيدات دليلة،2001، ص56).

التأمين كأحد أوعية الادخار: هناك أوعية ادخارية كثيرة مثل البنوك وصناديق التوفير و بنوك الادخار، وهي تقدم خدمات ادخارية بمعدل فائدة، ويعتبر التأمين أحد أوعية الادخار، ولمّا كان نجاح خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية يتوقف عل مقدار المدخرات التي يساهم بها الأفراد فإنّه كلما زادت معدلات الادخار أدى ذلك إلى نجاح خطة التنمية الاقتصادية وذلك عن طريق (بهاء الدين علي فوزي، بدون سنة نشر، ص1):

أ- استثمار مدخرات الأفراد في تمويل خطة التنمية الاقتصادية.

ب- كلما زاد معدل الادخار يقل معدل الاستهلاك ويخصص جزء كبير من المدخرات نحو الصناعات الانتاجية بدلاً من الاستهلاكية.

وتحصل شركات التأمين على الأقساط من الأفراد فيتكون لديها مبلغ كبير من المال توجهه للاستثمار بمعدل فائدة مناسب، فأقساط التأمين ذات تأثير فعّال على زيادة المدخرات، وبالتالي على خطة التنمية الاقتصادية، إذ أنّ هذه الأقساط تحتوي على جزء كبير مخصص للادخار أو الاستثمار خاصة أقساط التأمين المختلط ومدى الحياة. وبالتالي احتياطات التأمين على الأشخاص التي تعتبر مورد من موارد التنمية الاقتصادية والاجتماعية تكون أكبر من مثيلاتها في التأمينات الأخرى.

يرى البعض أنّ الادخار يتماشى والتأمين على الحياة، لأنّه يُمكِن الشخص من أن يجمع رأس المال ويؤدي للأسرة ما يؤديه مبلغ التأمين. ولكن فاتت هؤلاء أنّ الادخار يتطلب وقتًا طويلاً قبل أن يصل إلى المبلغ المُدخر إلى قدر معقول وقد تلحق الوفاة رب الأسرة قبل ذلك، فيتوقف الادخار عند حد لا يحقق للأسرة قدرًا كافيًا من الضمان، والتأمين على الحياة هو الوسيلة الوحيدة المؤكدة التي تستعمل كوقاية ضد توقف الادخار نتيجة للوفاة، لأنه يُمّكن الأسرة من الحصول على المبلغ الذي لم يستطع رب الأسرة جمعه بواسطة الادخار. فالاعتماد كُليًا على الادخار كوسيلة لوقاية مستقبل الأسرة بالاعتماد على طريقة مُحتملة وغير مؤكدة. إنّ أول

ما يحتاج إليه من يريد أن يؤمن مستقبل أسرته هو أن يسلك لذلك سبيلاً يحقق بيقين هذه الغاية، والتأمين على الحياة هو السبيل الوحيد لذلك، فهو الوقاية ضد الفشل في استمرار الادخار بسبب الوفاة المبكرة، وهو يضمن لأسرة المؤمن له مبلغ التأمين في حالة الوفاة المُبكرة، كما يضمن للمؤمن له نفسه للحصول على هذا المبلغ إذا ظل على قيد الحياة حتى نهاية مدة التأمين (عبد الودود يحي،1964،ص46).

لا يؤدي التأمين على الحياة إلى تكوين رصيد للأسرة بطريقة مؤكدة فحسب، وإنمّا يشجع الأفراد على الادخار ويعلمهم الاقتصاد وحسن التدبير، صحيح أنه توجد بعض النظم كبنوك الادخار تقوم بدور هام في هذا السبيل وفي تنمية غريزة الادخار عند غالبية الناس، ولكن يعيب هذه النظم أنها تسمح للمدخر دون قيد أو شرط أن يسحب مدخراته، ولذلك فإنّ خطة الادخار لفترة طويلة يمكن أن تتحقق نتيجة لأنّ المدخر يرى لسبب و لآخر أنّ من الأفضل أن يسحب المبلغ الذي تجمع له.

التأمين على الأشخاص من أهم وسائل الادخار والاستثمار: إنّ قطاع التأمين على الحياة يعتبر أداة هامة ومتميزة من أدوات تجميع المدخرات ومن ثم الاستثمار بكافة دول العالم وخاصة في الدول النامية (ابراهيم علي ابراهيم عبد ربه،2003،ص74) . فتأمينات الحياة عادة ما يغلب على عقودها العنصر الادخاري كعقود تكوين الأموال وعقود التأمين المختلط، وبالنسبة لعقود الوفاة يتبلور العنصر الادخاري في صورة المخصص الرياضي لها، خاصة في السنوات الأولى لمثل هذه العقود. وما يميز هذا النوع من الادخار (في قطاع التأمين) أنّ المؤمن له لا يستطيع التخلص من ارتباطه مع شركة التأمين (المؤمّن) دون أن يخسر جزءا ملموسا من حقوقه خاصة في السنوات الأولى من سريان عقد التأمين قبل هذا المؤمن. وهذا عكس ما يحدث في الأوعية الادخارية الأخرى، لذا تتصف ادخارات التأمين بالاستمرارية لمدة طويلة نسبيا، كما أنّ عائد استثمار أقساط التأمين على الحياة يعتبر عنصراً ضروريا من الناحية الفنية عند حساب قيمة هذه الأقساط. تدفع شركات التأمين على الأشخاص بجزء كبير من ادخاراتها في أوجه استثمار متعددة، وهكذا تساهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة في تمويل خط التنمية الاقتصادية. بما يُساعد على نُمو المشروعات المختلفة (خاصة في الدول النامية) سواء أكانت مشروعات عامة أم خاصة، بالإضافة إلى المساهمة في تمويل الحكومات لمساعدتها على حل مشاكل الخدمات العامة. ثم المساهمة في الاستثمارات لتحقيق التنمية الاقتصادية.

رابعا: العلاقة بين الاستثمار والادخار (بشير عبد الله بلق،2013،ص350): حظيت العلاقة بين الاستثمار والادخار باهتمام واضح في الأدب الاقتصادي بعد الدراسة التي قام بها **Feldstein**و**Horioka** سنة 1980 التي استخدمت معدل الارتباط بين الاستثمار والادخار كمقياس لحركة رأس المال الدولي في الأجل الطويل. حيث يشير معدل الارتباط المنخفض إلى درجة مرتفعة من حركية رأس المال دولياً والعكس صحيح. فإذا افترضنا أنّ المستثمرين القادرين على ط الاستثمار يمكنهم بسهولة أن يستثمروا أموالهم في أي مكان في العالم (أي لا توجد عوائق أمام تدفق رؤوس الأموال بين الدول المختلفة) فإنهم سيختارون الدول التي تعرض أعلى معدل عائد على وحدة الاستثمار، هذا سيعمل على رفع السعر حتى يتساوى معدل العائد على وحدة الاستثمار عبر مختلف البلدان.

حيث يتضح تأثير حجم المدخرات في تمويل استثمارات شركات التأمين في أنه (معوض حسن حسنين، 1986،ص490): عند التخطيط للسياسات الاستثمارية لشركات التأمين تحتاج إلى ضرورة دراسة و تحليل

طبيعة مصادر تمويل هذه السياسات و كيفية تجميع المدخرات في شركات التأمين، فمما لاشك فيه أنّ هذه السياسات الاستثمارية سوف تتأثر في جميع مراحلها المختلفة (التخطيط وتحديد الأهداف، التحليل الاستثماري، الاختيار، التقييم، المراجعة.....)بالخصائص المميزة للادخار وتكوين الأموال لدى شركات التأمين،فالملاحظ أنّ تمويل الخطط الاستثمارية للأفراد إنّما يعتمد على مصادر التمويل الذاتية التي تتمثل في المدخرات الشخصية وفائض الأرباح والتوزيعات، بينما يعتمد تمويل الخطط الاستثمارية للمنشآت المالية المتخصصة مثل البنوك وشركات التأمين على الودائع والاحتياطيات الفنية والاحتياطيات الاختيارية وعوائد الاستثمار، أمّا بالنسبة لتمويل الاستثمارات الحكومية فإنّه يعتمد بصفة أساسية على الأموال العامة و إصدارات الأوراق المالية الحكومية كالسندات و أذون الخزانة والضرائب، وغالبية الأموال التي تقوم شركات التأمين باستثمارها تمثل حقوق حملة الوثائق لدى هذه الشركات، ولذلك يجب أن تتميز السياسات الاستثمارية للمنشآت المالية المتخصصة بانخفاض درجات الخطورة والمحافظة على رأس المال المستثمرين وعلى النقيض من ذلك نجد أنّ أهداف المستثمرين الذين يمولون استثماراتهم من مدخراتهم الخاصة، وبصفة خاصة المضاربين فإنّهم يرغبون في تحمل درجات عالية من المخاطرة مقابل الحصول على عائد استثمار مرتفع وبصفة خاصة العائد الرأسمالي نتيجة التغير في قيمة الاستثمارات، وبجانب تأثر السياسات الاستثمارية لشركات التامين بطبيعة الأموال التي تتكون لديها ومصادر تمويل هذه السياسات فإنّ طبيعة نشاط هذه الشركات وما تتطلبه من قيود يجب أن تراعى أيضا عند التخطيط لبرامج الاستثمارات في شركات التأمين، وعلى ذلك يمكن تقسيم العوامل التي تؤثر في الهيكل العام للسياسات الاستثمارية لشركات التأمين إلى 3 مجموعات رئيسية :

-عوامل مالية و فنية :تتطلبها طبيعة نشاط شركات التأمين ؛

-عوامل استثمارية :يجب أن تراعى عند رسم السياسات الاستثمارية للمنشآت المالية المتخصصة ؛

-عوامل رقابية :تتطلبها قوانين الرقابة على شركات التأمين .

المحور الثاني: الدراسة الميدانية

أولا: المعالجة الإحصائية للإجابات: بعد أن قُمنا بتوزيع الاستبيانات على أفراد المجتمع المدروس واسترجاعها، حصلنا على البيانات المطلوبة والتي قمنا بتبويبها مع ما يتماشى ومتطلبات التحليل، وذلك من خلال وصف خصائص العينة وعرض النتائج الخاصة بكل محور من محاور الدراسة.

ثبات صدق أداة القياس: قبل اجراء البحوث واختبار الفرضيات لا بد من التأكد من موثوقية أداة القياس المستخدمة، وهناك نوعان لصدق أداة القياس وهما:

أ-الصدق المنطقي (صدق المحتوى): ويتعلق بمدى وضوح العبارات الواردة في الأداة المستخدمة، ومدى توافقها مع أهداف الدراسة، ويتم التأكد منها من خلال عملية التحكم لهذا الغرض، وللتأكد من صدق المحتوى للأداة المستخدمة تمّ عرضها على مجموعة من الأساتذة المختصين في الجامعة وكذلك من مسؤولين في التأمين، وطُلب منهم ابداء رأيهم حول مدى وضوح العبارات ومدى مناسبتها لأغراض الدراسة. وهذا لكي تتسم الاستبانة بالوضوح لدى الأفراد المستجوبين، وقد أدى ذلك إلى ادخال بعض التعديلات ليتم تجريبها على الوكالات محل الدراسة، وفي الأخير تمّ اعتماد الاستبانة بشكل نهائي.

ب- الصدق الذاتي (الثبات): يعكس مدى موثوقية أداة القياس والذي يتأثر بعدة عوامل أهمها(محفوظ جودة،2008، ص297):

- طول الاختبار: حيث يزداد الثبات بزيادة عدد العبارات في الاستبيان، والتي تؤثر بدورها على شمولية المحتوى.
- تجانس أو تباين درجات أفراد العينة: يقل معامل الثبات بزيادة تجانس أفراد العينة، ويكبر معامل الثبات مع تباين أفراد العينة في اجاباتهم.

وفي هذا الإطار تمّ استخدام معامل الثبات **ألفا كرونباخ** (Alpha Cronobach) للاتساق الداخلي، والذي بلغ لمجموع الأسئلة 78.2**%** وهي قيمة عالية (تفوق الحد الأدنى المطلوب 60%)تبرر استخدام الأداة في الدراسة، والجدول الموالي يلخص قيمة هذا المعامل.

اختبار معامل ألفا كرونباخ

ألفا كرونباخ	عدد المفردات
0,782	40

وبالرجوع لمعامل **الصدق** فهو يبرز أن المقياس يقيس ما وضع لقياسه، ويحسب عن طريق حساب جدر التربيعي لمعامل الثبات، ويعرف **بصدق المحك**.

صدق المحك = $\sqrt{0.782} = 0.884$

وهذه النتيجة مرتفعة تدل على أنّ المقياس جيد للدراسة

الجدول (01): معيار الحكم على الاتجاه

المتوسط المرجح	من 1.00 إلى1.79	من 1.80 الى 2.59	من 2.60 الى 3.39	من 3.40 الى 4.19	من 4.25 الى 5.00
الاتجاه	لا اتفق بشدة	لا اتفق	محايد	اتفق	اتفق بشدة

الجدول(02): الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة

المتغير	مستوى المتغير	التكرار	النسبة المئوية %	النسبة المئوية % المجمعة
العمر	20 الى 30 سنة	16	%45.7	%45.7
	31 الى 40 سنة	11	%31.4	%77.1
	41 الى 50 سنة	7	%20.0	%97.1
	51 فما فوق	1	%2.9	%100
	المجموع	35	%100	-
	ذكر	15	%42.9	%42.9

الجنس	أنثى	20	%57.1	%100
	المجموع	35	%100	-
المؤهل العلمي	دبلوم مهني	4	%11.4	%11.4
	ليسانس	21	%60.0	%71.4
	ماجستير(ماستر)	9	%25.7	%97.1
	دكتوراه	1	%2.9	%100
	المجموع	35	%100	-
التخصص العلمي	تأمين	10	%28.6	%28.6
	مالية	7	%20.0	%48.6
	محاسبة	6	%17.1	%65.7
	رياضيات واحصاء	1	%2.9	%68.6
	تخصص آخر	11	%31.4	%100
	المجموع	35	%100	-

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يشير الجدول (02) لنتائج التحليل الوصفي لعينة الدراسة، إذ يتضح أنّ أغلبية المستجوبين أعمارهم تتراوح ما بين 20 إلى 30 سنة، ما يُمثل نسبة 45.7% وهذا يدل على حداثة المعلومات المتوفرة لديهم وهذا يخدم موضوع الدراسة، حيث معظم عمال هذه الفئة هم الذين يتعاملون مع الزبائن ويُدركون أهم أسباب ادخار الزبائن لأموالهم وسبب شرائهم للمنتجات التأمينية، وتلي هذه الفئة فئة العمال الذين تتراوح أعمارهم بين 31-40 سنة بنسبة 31.4% وهي أيضا فئة شباب، مما يدل على أنّ مجال التأمين يُشجع الشباب خاصة الإناث منهم. إذ نجد في معطيات الجدول حسب الجنس أنّ نسبة الإناث تتعدى نسبة الرجال،إذ تُقدر نسبتهن 57.1 %، في حين الرجال بـ 42.9%. ونلاحظ كذلك من نتائج الجدول أنّ معظم الذين قاموا بتعبئة الاستبانة هم من حملة شهادة الليسانس بنسبة 60% تليها ماستر بـ 25.7%،وهذه النسب ترجع أكثر للعمال الذين مهمتهم التخطيط للسياسة الاستثمارية وتوجيه المدخرات. إضافة إلى التخصص الذي يُدعِم مهمتهم حيث نلاحظ تنوع التخصصات بالنسبة للمستجوبين بـ 31.4%،لكن الأغلبية الباقية ترجع تخصصاتها للتأمين كونه التخصص المطلوب في هذا المجال نظرًا للمعرفة ودقة المعلومات. كما توجد تخصصات أخرى مهمة منها المحاسبة والمالية لمعرفة أصحاب هذه التخصصات كيف تُحسب الأقساط وتُجمع المدخرات وتمول الاستثمارات.

الجدول (03) المحور الأول: الدخل

المحور	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه
	يتوقف حجم المدخرات لدى الأوعية	3.54	1.039	%70.8	أتفق

الدخل	الادخارية المختلفة على مستوى دخل الأفراد				
	حجم المدخرات بشركات التأمين مرتبطة طردياً بزيادة حجم دخول الأفراد	3.49	1.147	%69.8	أتفق
	يعتبر الادخار الاجباري في شركات الضمان الاجتماعي عامل رئيسي لجذب دخول الأفراد	3.49	1.011	%69.8	أتفق
	زيادة الادخار في شركات التأمين تتماشى عكسيا مع تقليل توجيه الأفراد لدخولهم للاستهلاك	3.14	1.088	%62.8	محايد
	يختلف توجيه دخول الأفراد للادخار في شركات التأمين من شركة لأخرى	3.83	0.664	%76.6	أتفق
المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري		**3.497**	**0.481**	**%69.94**	أتفق

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يتضح من الجدول (03) أنّ معظم إجابات أفراد عينة الدراسة في اتفاق على تأثير الدخل على حجم المدخرات، وهذا بدلالة متوسط حسابي 3.49 وانحراف معياري قدره 0.481، ونسبة دراية المستجوبين على أنّ زيادة وانخفاض حجم المدخرات في شركات التأمين يرجع لمستوى الدخل هي 69.94% ،يعني هذا وجود علاقة طردية بين حجم الادخار والدخل في شركات التأمين، إذا عملت هذه الشركات على جذب دخول الأفراد لشراء منتجاتها وعدم توجيه دخولهم للاستهلاك الذي يتماشى عكسيا مع الادخار. ولكن هذه العبارة الأخيرة أجمع معظم المجيبين باتجاه مُحايد نحوها. لوجهة نظرهم أنّ زيادة أو انخفاض الاستهلاك لا يؤثر في الادخار في شركات التأمين، لأنّه ادخار اختياري وكون ثقافة الاكتناز هي البديل للادخار عند تقليل استهلاكهم.

الجدول (04) المحور الثاني: الوعي الادخاري

المحور	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه
الوعي الادخاري	زيادة الوعي الادخاري يساعد على زيادة حجم المدخرات	4.29	0.667	%85.8	أتفق بشدة
	فهم ومعرفة الأفراد لأهمية الادخار ومزاياه يؤدي لزيادة حجم المدخرات	4.29	0.667	%85.8	أتفق بشدة
	يساهم الوعي الادخاري لدى الأفراد في التقليل أو الحد من سحب مدخراتهم	3.69	1.051	%73.8	أتفق
	الوضع المادي للأفراد يلعب دورا في زيادة أو انخفاض الوعي التأميني	3.57	0.979	%71.4	أتفق
	لا توجد برامج فعالة لرفع الوعي	4.03	0.923	%80.6	أتفق

	الادخاري في المجتمع بشكل مستمر				
	قبول المصاعب والرضا بالقضاء والقدر سبب في التأثير على الوعي الادخاري في التأمين	4.09	1.040	%81.8	أتفق
المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري		**3.99**	**0.525**	**%79.8**	أتفق

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

تُبين نتائج الجدول أنّ أفراد عينة الدراسة على إدراك بأهمية تأثير الوعي الادخاري على حجم الادخار وبالتالي على تمويل استثمارات شركات التأمين، حيث كلما زاد الوعي الادخاري لدى الأفراد في مجتمع ما أدى ذلك لزيادة توجيه مداخيلهم للادخار. كما اتفق المستجوبون بشدة على أنّ فهم ومعرفة أهمية الادخار يؤدي لزيادة حجم المدخرات. حيث نلاحظ أنّ هذا الاتفاق ينعكس بدلالة متوسط حسابي قدره 3.99 وانحراف معياري 0.525 ونسبة مئوية 79.8%.

الجدول (05) المحور الثالث: الأوعية الادخارية البديلة

المحور	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه
الأوعية الادخارية البديلة	وفرة الأوعية الادخارية البديلة يقلل من حجم المدخرات لدى شركات التأمين	3.17	1.043	%63.4	محايد
	المنافسة ما بين الأوعية الادخارية البديلة تؤدي إلى تحويل المدخرات من شركات التأمين إلى أوعية أخرى	3.49	0.919	%69.8	أتفق
	التغير في مجالات الاستثمار بالنسبة للأوعية الادخارية المختلفة التي تقدمها شركات التأمين يؤثر على حجم المدخرات لدى هذه الشركات	3.46	0.741	%69.2	أتفق
	مستوى الخدمة الجيدة المقدمة للعملاء من طرف شركات التأمين يؤثر على حجم المدخرات	3.57	0.948	%71.4	أتفق
	تؤثر خدمات التأمين التكافلي على حجم المدخرات الموجهة لشركات التأمين على الحياة	3.51	0.951	%70.2	أتفق
المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري		**3.44**	**0.539**	**%68.8**	أتفق

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يوضح الجدول(05) أنّ متوسط إجابات أفراد عينة الدراسة تراوحت ما بين (2.91-3.54) بنسبة مئوية ما بين (63.4%-71.4%)، وتُشير هذه النتيجة إلى مدى دراية المستجوبين بمدى تأثير منافسة الأوعية الادخارية البديلة لشركات التأمين على الادخار وتوفير الأموال في هذه الشركات. حيث يوجد حياد من طرف المستجوبين

بنسبة 63.4% على أنّ وفرة الأوعية الادخارية البديلة تُقلل من حجم المدخرات. هذا الحياد لا يدل على الاتفاق أو العدم، حيث كانت اجاباتهم مبررة بأنّ هذه البدائل الادخارية العامل الذي يتحكم في لجوء الأفراد لها هو الوعي الادخاري. إذ أنّ تفضيل الأفراد لخدمات التأمين التكافلي على تأمين الأشخاص هو إدراكهم بعدم شرعية هذا النوع الأخير من (التأمين على الحياة –وفاة...) وفيما يخص الاتجاه العام لهذا المحور نجد أنّ هناك اتفاق بنسبة 68.8% وانحراف معياري 0.539 ومتوسط حسابي 3.44. وهذا يُشير إلى أهمية تأثير الأوعية الادخارية البديلة على حجم مدخرات شركات التأمين.

الجدول (06) المحور الرابع: معدلات السحب

المحور	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه
معدلات السحب	حجم المدخرات لدى شركات التأمين يتأثر بمعدلات السحب	3.54	0.95	%70.8	أتفق
	تعتبر طبيعة المدخرات في شركات التأمين الدافع الرئيسي لمعدلات السحب	2.91	1.067	%58.2	محايد
	يعتبر الاقتراض بضمان الوثائق سبب مهم في سحب المدخرات من قبل حملة الوثائق	2.89	0.9	%57.8	محايد
	تصفية وثائق التأمين محدد رئيسي لسحب المدخرات	3.03	1.071	%60.6	محايد
المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري		**3.09**	**0.72**	**%61.8**	محايد

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

من البيانات الواردة في الجدول(06) يتضح وجود حياد حول أثر معدلات السحب على حجم مدخرات شركات التأمين. حيث اتفق ما نسبته 70.8% من أفراد عينة الدراسة على أنّ حجم المدخرات يتأثر بمعدلات السحب، خاصة في فرع التأمين على الحياة والتقاعد الإضافي كون حملة الوثائق من حقهم سحب مدخراتهم بعد ثلاث سنوات من ادخارها، ولكن لا تعتبر طبيعة المدخرات في شركات التأمين هي الدافع الرئيسي لسحب أموالهم، بل الدافع لسحبها هو الحاجة لهذه المدخرات أو توجيهها لمقاصد أخرى وهذا ما أجمع عليه 58.2% من المستجوبين. في حين أنّ الاقتراض بضمان الوثائق لا يعتقد عمال شركات التأمين محل الدراسة أنّه سبب في سحب المدخرات كون معظم الزبائن لا يدركون بحقهم في الاقتراض بضمان الوثائق. كذلك من لديهم معرفة لا يفضلون ذلك لتأمين أنفسهم من أخطار محتمل وقوعها. في حين أنّ تصفية وثائق التأمين ليست محدد رئيسي لسحب المدخرات لأنّ هذه العملية لا تحدث دوما وإن حدثت ليست محدد رئيسي بل تأثيرها ضعيف. وعلى العموم أجمع المستجوبين بنسبة 61.8% ومتوسط حسابي 3.09 وانحراف معياري 0.72 على حيادية تأثير معدلات السحب عل حجم المدخرات.

الجدول (07) المحور الخامس: معدل العائد الاستثماري في التأمين على الأشخاص

المحور	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه
معدل العائد الاستثماري	ارتفاع معدل العائد الاستثماري في شركات التأمين يؤدي لزيادة حجم المدخرات	3.89	0.758	%77.8	أتفق
	يتأثر حجم المدخرات لدى شركات التأمين بالتغيرات التي تطرأ على معدلات الفائدة السائدة في الأسواق المالية المحلية والعالمية	3.54	0.886	%70.8	أتفق

	زيادة معدلات الفائدة على الودائع والاستثمارات في الدول الأجنبية يؤدي لهروب رؤوس الأموال وتحويل المدخرات	3.37	0.942	%67.4	محايد
	يتناسب معدل العائد الاستثماري مع مجال استثمار المدخرات	3.57	0.979	%71.4	أتفق
المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري		**3.592**	**0.532**	**%71.8**	أتفق

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

تكشف البيانات الواردة في الجدول(07) وجود اتفاق وحياد ما بين فقرات هذا المحور بمتوسطات حسابية تتراوح ما بين (3.37-3.89) ونسب مئوية تتراوح ما بين (67.4%-77.8%) وهذه النتائج تشير إلى ادراك أفراد عينة الدراسة لأهمية هذا المتغير،وذلك كون أنّ ارتفاع معدل العائد الاستثماري في شركات التأمين للحصول على عوائد مالية من وراء قيامهم بهذه العملية ماعدا أنّه في حالة زيادة معدلات الفائدة على الودائع والاستثمارات في الدول الأجنبية يؤدي لهروب رؤوس الأموال وتحويل المدخرات، هناك حياد اتجاه هذه العبارة في هذا المحور، وهذا لعدم دراية أفراد العينة المستجوبة بتأثير معدلات الفائدة في الدول الأخرى على تجميع المدخرات المحلية. وعلى العموم هناك اتفاق بنسبة 71.8% بمتوسط حسابي 3.592 وانحراف معياري 0.532 على أهمية تأثير هذا المتغير على حجم مدخرات وبالتالي تمويل استثمارات شركات تأمين الأشخاص.

الجدول (08) المحور السادس: معايير الاستثمار الجيد في المنشأة التأمينية

المحور	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه
معايير الاستثمار الجيد	وضوح معايير الاستثمار في شركات التأمين سبب رئيسي في زيادة المدخرات	3.83	0.985	%76.6	أتفق
	خبرة شركات التأمين في الاستثمار دافع لادخار الأموال في هذه الشركات	4.17	0.664	%82.8	أتفق
	تنوع مجالات استثمار شركات التأمين مهمة لارتفاع حجم الادخار	3.91	0.887	%78.2	أتفق
	توفير المزايا التأمينية له أهمية بالغة في توجيه الادخار للشركات التي توفر هذه المزايا	4.09	0.818	%81.8	أتفق
	تقليل مخاطر الاستثمار وحماية أموال المؤمن له من أهم عوامل زيادة المدخرات	4.03	1.014	%80.6	أتفق
المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري		**4.00**	**0.627**	**%80**	أتفق

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

تشير نتائج الجدول إلى أنّ متوسط إجابات عينة الدراسة على هذا المحور قدر بـ 4.00 وانحراف معياري يساوي 0.627 وما نسبة 80% من الإجابات تدل على اتفاق حول مدى أهمية تأثير معايير الاستثمار الجيد في المنشأة التأمينية على حجم مدخرات شركات التأمين، الأمر الذي ينعكس على تمويل الاستثمارات، حيث وضوح معايير الاستثمار في شركات التأمين سبب رئيسي في زيادة المدخرات. كذلك امتلاك شركات التأمين لخبرة كافية تمكنها من كسب ثقة العملاء خاصة أصحاب المشاريع ورؤوس الاموال الذين يرغبون في اللجوء لشركات التأمين التي توفر لهم حماية وتمنحهم عوائد. وهي أيضا من العوامل المهمة التي تجذب مدخرات الأفراد.

الجدول (09):المتغير التابع

المحور	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه
تمويل الاستثمارات	يحتاج التخطيط الجيد للسياسة الاستثمارية لشركات التأمين لضرورة دراسة وتحليل طبيعة مصادر تمويل هذه السياسات وكيفية تجميع المدخرات	3.63	0.91	72.6	أتفق
	تعتبر حقوق حملة الوثائق من المصادر الخارجية لتمويل استثمارات شركات التأمين	3.14	0.91	62.8	محايد
	الأموال المتاحة للاستثمار في شركات التأمين غالبيته من أموال حملة الوثائق (أي من أقساط التأمين)	3.74	0.81	74.8	أتفق
	تراكم الأقساط يؤدي لتكوين أموال قابلة للاستثمار في شركات التامين	3.86	0.87	77.2	أتفق
	مدخلات خزينة شركات التأمين معظمها آتية من الأقساط الصادرة المتحصل عليها من طرف المؤمن لهم	3.77	0.91	75.4	أتفق
	زيادة حجم الأقساط تُوسع القاعدة الاستثمارية لشركات التأمين وبالتالي تحقيق الارباح	3.89	0.86	77.8	أتفق
	سياسة الاستثمار في شركة التأمين على الحياة تقوم على استثمار الأقساط فور استلامها	3.11	0.93	62.2	محايد
	تزداد الأموال المستثمرة في شركات التأمين بزيادة حجم المدخرات	3.46	1.01	69.2	أتفق
	تتأثر السياسة الاستثمارية لشركات التأمين بطبيعة الأموال التي تتكون لديها	3.63	0.77	72.6	أتفق
	سبب نجاح الاستثمارات متعلق بحجم الأموال المدخرة	3.60	0.94	%72	أتفق
	تواجه شركة التأمين على الحياة مشاكل متعلقة بتمويل	3.17	0.92	63.4	محايد

	الاستثمارات				
المتوسط الحسابي المرجح والانحراف المعياري	**3.545**	**0.39**	**70.8**	أتفق

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

من خلال معطيات الجدول(09) نرى وجود اتفاق في بعض العبارات التي تراوحت متوسطاتها الحسابية ما بين (3.89-3.46) مما يدل على قوة تبني أفراد عينة الدراسة للمتغيرات. أمّا الفقرات الأخرى من واقع الجدول يوجد فيها اتجاه محايد، إذ أنّ المتوسط الحسابي قُدر ما بين (3.11-3.17) هذا مفاده أنّ أفراد عينة الدراسة ليس لديهم تصور كافي حول أنّ حقوق حملة الوثائق من المصادر الخارجية لتمويل استثمارات شركات التأمين، لاعتبارهم أنّه بمجرد شراء الزبون لمنتج من منتجات شركات التأمين فإنّ دخول أمواله تصبح مصدر داخلي للشركة وتمثل رأيهم بنسبة 62.8%. كذلك وجهة نظر المستجوبين حول عبارة أنّ سياسة الاستثمار في شركة التأمين على الأشخاص تقوم على استثمار الأقساط فور استلامها لأنه حسب رأيهم استثمار الأقساط يكون بعد تخصيص مبالغ مالية واحتياطيات لتوقع حدوث الخطر المؤمن منه. إضافة إلى أنّ المشاكل التي تواجهها شركات التأمين ليست متعلقة بتمويل الاستثمارات فقط. وفيما يتعلق بالاتجاه العام كان هناك اتفاق بدلالة المتوسط الحسابي البالغ 3.54 وانحراف معياري 0.39 مما يدل على أنّ هذا المتغير واضح لأفراد عينة الدراسة، وتصورهم حول أهمية تأثير حجم مدخرات شركات التأمين على الأشخاص على تمويل استثمارات هذه الشركات قدر بـ 70.8%.

قياس علاقة الارتباط بين محاور المتغير المستقل (حجم المدخرات) والمحور التابع (تمويل الاستثمارات):

H_0:لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين حجم الادخار وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0.05.

H_1: توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين حجم الادخار وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0.05.

الجدول (10): معامل الارتباط الكلي

معامل الارتباط الكلي		**تمويل الاستثمارات**
	حجم المدخرات	0.572
	Sig الدلالة	0,000
	N	35

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

تبين معطيات الجدول (10) أنّ هناك علاقة ارتباط طردية ذات دلالة احصائية بين المتغير المستقل "حجم المدخرات" والمتغير التابع " تمويل استثمارات شركات التأمين"، إذ بلغ معامل الارتباط بينهما 0.572، وبما أنّ Sig= 0.000 هي أصغر من α0.05= فعليه نرفض الفرضية العدمية H_0 ونقبل فرضية الوجود H_1 أي وجود علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين حجم الادخار وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0.05.

تحليل واختبار أثر حجم المدخرات على تمويل الاستثمارات

H_0:لا توجد علاقة أثر ذات دلالة إحصائية بين حجم المدخرات وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0,05.

H_1: توجد علاقة أثر ذات دلالة إحصائية بين حجم المدخرات وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0,05.

الجدول(11): تقدير معلمات نموذج الانحدار البسيط

م مستقل / م تابع	Constant	حجم المدخرات	F المحسوبة	F الجدولية عند مستوى (33، 5%)	R^2 معامل التفسير
	B	A			
تمويل الاستثمارات	0.927	0.727	16.057	4.1709	0.327

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

إنّ قيمة F المحسوبة لنموذج الانحدار البسيط بلغت 16.057 وهي أكبر من قيمة F الجدولية البالغة 4.1709 بمستوى معنوية 5% وبدرجة ثقة 95% .وهذا يعني ثبوت معنوية نموذج الانحدار المُقدر عند مستوى المعنوية المذكور،وبالتالي القاعدة واضحة هي رفض فرضية العدم H_0 وقبول فرضية الوجود H_1 بمعنى توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين حجم المدخرات وتمويل الاستثمارات عند مستوى معنوية 0.05 .

ونلاحظ أنّ قيمة R^2 معامل التفسير 0.327 أي أنّ المتغير المستقل قادر على تفسير قيمة 32.7%، أمّا النسبة الباقية فتعود إلى مساهمات متغيرات أخرى غير داخلة في نموذج الدراسة.

اختبار فرق المتوسطين t-test لكل إجمالي محور من محاور الدراسة على نوع الجنس.

H_0: لا توجد فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعا لنوع الجنس عند مستوى معنوية 0,05.

H_1: توجد فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعا لنوع الجنس عند مستوى معنوية 0,05.

الجدول (12): اختبار فرق المتوسطين t-test

المحور	Levene's test		T	Sig (2 tailed)
	F	Sig		
الدخل	1.395	0.246	-0.746	0.461
الوعي الادخاري	0.103	0.750	-1.565	0.127
الأوعية الادخارية البديلة	1.719	0.199	-2.128	0.041
معدلات السحب	1.012	0.322	0.248	0.778
معدل العائد الاستثماري	3.042	0.090	-0.728	0.472
معايير الاستثمار الجيد	3.144	0.085	0.169	0.867

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

من الاختبار الأول Levene يتضح وجود دلالة لجميع المحاور، إذ أنّ قيمة الدلالة الخاصة بكل محور هي على الترتيب (0.246-0.750-0.199-0.322-0.090-0085) وجميعها أكبر من 0.005، مما يؤشر لوجود تجانس بين الإناث والذكور، وهذا يعني الاعتماد لدلالة اختبار t على قيمة Sig (2 tailed) وهي على التوالي: (0.461-0.127-0.041-0.778-0.472-0.867) والتي تعني قبول فرضية العدم H_0 التي تدل عل عدم وجود فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعا لنوع الجنس عند مستوى معنوية 0,05 .ماعدا في محور الأوعية الادخارية البديلة نجد قيمة Sig (2 tailed) = 0.041 وهي أقل من 0.005،بالتالي نقبل فرضية الوجود H_1 يعني وجود

فروق معنوية بين متوسطي إجابات العينة تبعا لنوع الجنس عند مستوى معنوية 0.05، ويرجع هذا لاختلاف آراء الجنسين نظرا لأنّ أغلبية المستجوبين نساء وتختلف وجهات نظرهم عن الرجال.

اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لكل إجمالي محور من محاور الدراسة حسب التخصص العلمي

H_0: لا توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعا للتخصص العلمي عند مستوى معنوية 0,05.

H_1: توجد فروق معنوية بين متوسطات إجابات العينة تبعا للتخصص العلمي عند مستوى معنوية 0,05.

الجدول (13) : تحليل التباين الأحادي حسب التخصص العلمي

المحور	F	الدلالة Sig
الدخل	0.409	0.801
الوعي الادخاري	0.379	0.821
الأوعية الادخارية البديلة	1.291	0.296
معدلات السحب	0.848	0.506
معدل العائد الاستثماري	0.742	0.571
معايير الاستثمار الجيد	0.561	0.693

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS

يوضح الجدول(13) مقارنة المتوسطات باستخدام اختبار F (ANOVA) وعليه يتضح وجود دلالة بالنسبة لمحاور الدراسة. إذ أنّ قيمتها :(0.801-0.821-0.296-0.506-0.571-0.693) وهي كلها أكبر من 0.05 مما يدل على عدم وجود فروق معنوية بين متوسط إجابات العينة تبعا للتخصص العلمي عند مستوى معنوية 0.05.

المحور الثالث: النتائج والتوصيات

النتائج:

- نتائج دراسة هذا الموضوع أسفرت على وجود اهتمام بالدور الذي يلعبه الدخل في التأثير على حجم المدخرات بنسبة مئوية قدرت بـ 69.94% باعتبار أنّ الدخل هو المصدر الذي تسدد منه الأقساط.
- أشرت نتائج تحليل تأثير الوعي الادخاري على زيادة أو انخفاض حجم المدخرات في شركات التأمين أنّ هناك تأييد على مدى تأثير الوعي التأميني والادخاري على زيادة حجم المدخرات بنسبة 79.8%،إذ أنّ الدراية الجيدة لأفراد المجتمع بكل ما يتعلق بمجال التأمين فكرًا وممارسة يساهم في جذب مدخراتهم لشركات التأمين.
- كما أظهرت النتائج أنّ الاهمية النسبية لمحور الأوعية الادخارية البديلة تصل إلى 68.8%، نظرا للمنافسة التي تواجهها شركات تأمين الأشخاص من طرف البنوك وشركات الضمان الاجتماعي. إذ أنّ كل من التأمين لحال الحياة والوفاة لديهما بدائل في التأمينات الاجتماعية، إلى جانب مجانية التعليم والرعاية الطبية في الجزائر تجعل الأفراد لا يلجؤوا إلى طلب هذه الخدمات من طرف شركات تأمين الأشخاص، أمّا بالنسبة للبنوك فمعدلات الفائدة الممنوحة من طرفها أكثر جاذبية لمدخرات الأفراد مما تؤدي بالأفراد إلى استغنائهم عن مدخرات شركات التأمين. إضافة إلى البديل الآخر الذي ظهر في الآونة الاخيرة في الجزائر هو التأمين

التكافلي، والذي بدوره يؤثر على موقف الأفراد اتجاه منتجات التأمين على الأشخاص للاعتقاد الديني لديهم بعدم مشروعية هذه الخدمات.

- لقد بينت النتائج أنّ هناك اتجاه محايد لمحور معدلات السحب، وهذا لعدم دراية المسؤولين بأهمية هذا المحور في التأثير على حجم المدخرات، إذ أنّ بعض العمليات التي تقوم بها شركات التأمين تؤدي إلى سحب الزبائن لمدخراتهم، وبالتالي تؤثر على تمويل الاستثمارات في هذه الشركات، كالقروض الممنوحة من طرف هذه الشركات بضمان الوثائق بسعر فائدة منخفض يكون أقل من عائد الاستثمار في قنوات استثمارية أخرى، إضافة إلى أهم عنصر في هذا المحور الذي يؤدي لسحب المدخرات هو التصفية، والتي تؤدي إلى انهاء عقد التأمين بناءا على طلب المؤمن له لأسباب داخلية وأخرى خارجية قبل حلول الأجل المحدد في عقد التأمين، وهو ما يُخالف توقعات وإستراتيجية شركات التأمين، أمّا بالنسبة لاستبدال وثائق التأمين من طرف أصحابها لا يقل تأثيره أهمية عن التصفية.
- كما أوضحت النتائج أهمية معدل العائد الاستثماري في التأثير على حجم المدخرات بنسبة 71.8%، وهناك علاقة طردية بينهما، حيث ارتفاع هذا العائد في أوعية ادخارية أخرى يؤدي إلى هروب رؤوس الأموال لديها، وتؤثر على الطلب على منتجات تأمين الاشخاص.
- كما توصلت الدراسة إلى تأييد بنسبة 80% لمدى تأثير معايير الاستثمار الجيد في المنشأة التأمينية على حجم المدخرات فيها، حيث وضوح هذه المعايير وخبرة شركات التأمين في المجال، وتوفير مزايا تأمينية إضافة إلى تقليل المخاطر وحماية المؤمن له، كلها عوامل تؤثر على زيادة حجم المدخرات .
- كما كشفت النتائج وجود ما نسبته 70.8% تُمثل تأثُر تمويل استثمارات شركات التأمين بحجم مدخرات شركات التأمين، إذ تزايد هذا الأخير يؤدي إلى زيادة الأموال المستثمرة في شركات التأمين الأمر الذي يؤدي إلى توسيع القاعدة الاستثمارية لها.
- أسفرت النتائج على وجود علاقة ارتباط طردية ذات دلالة احصائية، بين حجم المدخرات وتمويل استثمارات شركات التأمين حسب معامل الارتباط الكلي.
- كما توجد نتيجة واردة في تحليل هذه الدراسة تدل على وجود علاقة أثر ذات دلالة احصائية بين حجم المدخرات وتمويل الاستثمارات حسب نموذج الانحدار البسيط.
- كما تمّ اثبات عدم وجود فروق معنوية بين أغلبية متوسطات محاور الدراسة تِبعًا لنوع الجنس، ما عدا محور الاوعية الادخارية البديلة توجد فيه فروق معنوية حسب اختبار T.Test
- أثبتت نتائج اختبار تحليل التباين الاحادي AVOVA عدم وجود فروق معنوية ذات دلالة احصائية حسب التخصص العلمي لكل محاور الدراسة.

التوصيات:

- المساهمة في نشر الوعي الادخاري والتأميني من طرف الدولة وشركات التأمين، من خلال تقديم برامج للتوعية.

- تشجيع الأفراد على شراء برامج تأمين على الحياة لا سيما البرامج التي تحتوي على عنصر الادخار أو التقاعد يساعد على نمو معدلات ادخار المجتمع، ومصادر دخل التقاعد مما يؤدي إلى زيادة إمكانية الاستثمار الإنتاجي والازدهار الاقتصادي وتخفيف الأعباء الاجتماعية عن كاهل القطاع العام.
- سعي شركات التأمين لتحقيق مقاصد التأمين من خلال صيغ اسلامية يكون هدفها الأول هو التكافل والتعاون لجذب شريحة العملاء الذين لم يقبلوا قبل على طلب التأمينات الاختيارية.
- عمل اتفاقيات بين شركات التأمين لتجنب المنافسة غير المشروعة، والتنافس على تقديم خدمات أفضل للعملاء وليس على بدائل.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع بالغة العربية

أ- الكتب:

1- ابراهيم علي ابراهيم عبد ربه،(2003): التأمين ورياضياته، الدار الجامعية، مصر.

2- بن خروف عبد الرزاق، (2002)، التأمينات الخاصة في التشريع الجزائري، مطبعة ردكول، الجزائر، ط3.

3- جديدي معراج، (2004):مدخل لدراسة قانون التأمين الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

4- عبد المطلب عبده، (1992) : التحليل المالي في التأمين على الحياة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.

5- فايز أحمد عبد الرحمن، (2006): التأمين على الحياة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ص40.

6- محفوظ جودة، (2008)، التحليل الاحصائي باستخدام SPSS، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى.

7- محمّد حسين وكاظم جاسم العيساوي، (بدون سنة نشر): الاقتصاد الكلي، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن.

8- مولود ديدان،(2006): قانون التأمينات، دار بلقيس، الجزائر.

ب- المقالات

1- بشير عبد الله بلق،(2013): العلاقة بين الاستثمار والادخار في الاقتصاد الليبي للفترة (1970-2005)، المجلة الجامعة، المجلد الثاني، العدد15.

2- بهاء الدين علي فوزي، (بدون سنة نشر): بحث في تسويق تأمينات الحياة، جمهورية مصر العربية.

3- عثمان بابكر،(2005): التطبيقات الاقتصادية الاسلامية المعاصرة، الطبعة الأولى، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني.

4- معوض حسن حسنين، (1986): تصميم نموذج رياضي للسياسات الاستثمارية لشركات التأمين الكويتية، المجلة العلمية لكلية التجارة، جامعة أسيوط، مصر، عدد 9،سنة6 .

ت- **المذكرات**:

1- زيدات دليلة،(2001): عقد التامين على الحياة في القانون الجزائري "دراسة تحليلية"، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة الجزائر.

2- سهام رياش،(2008): قطاع التأمين ومكانته في الاقتصاد الوطني، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.

ث- **الجرائد**

الجريدة الرسمية، المادة 10، من القانون (06-04)، الصادرة بتاريخ 12مارس2006، العدد15.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

Livres :

1-Christian Romain, (2004): 24 mots clés de l'économie et de la gestion, édition Maxi livre, France.

2 - Harrington Scott E, Niehaus Gregory R ,(2004): Risk Management and Insurance, Second Edition, Mc Graw Hill, Mexique.

3-Jeron Bonnard,(1997): Droit et pratique des assurances, 11iéme Edition, Delmas, France.

الحكم الراشد و دوره في إصلاح الجماعات المحلية

أ. فتوح خالد -أ. إبراهيم بن عيسى
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الملخص:

يعتبر الحكم الراشد أهم وسيلة حالية لإصلاح أية منظمة حكومية، لأنه لا تنمية في بلد محدد ما لم يصاحبه حكما راشدا يكون فعالا يساعد على تحديد الاحتياجات ورسم الخطط، فقد تقوم الدولة أو الحكومة بتحديد الأولويات وتطوير ميادين النفقة، لكن كل تلك الجهود لن تكلل بثمار ما لم يكون هناك نظام راشدا في التسيير، فخلصت هذه الدراسة على أن الجماعات المحلية بإمكانها أن تعكس الوجه الحقيقي للظروف الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والثقافية التي يمكن أن يعيشها المواطن باعتباره الأقرب من ممثليه والأدرى باحتياجاته ومن ثم ترجمتها في شكل مشاريع واعتمادات مالية بالميزانية المحلية، لكن ما تعانيه الجماعات المحلية وما يعكسه الواقع المعاش في الجزائر أظهر عكس ذلك، لكن وجود مبادرات وطرق للإصلاح الجذري كمسعى الحكم الراشد فتح أبواب جديدة للنهوض بالجماعات المحلية .

<u>الكلمات المفتاحية</u> : الحكم الراشد، الجماعات المحلية.

Abstract :

The good governance, the most important means current to fix any organization, because it does not develop in a specific country unless accompanied by a ruling adult be effective helps to identify needs and drawing plans, it is the state or the government set priorities and develop the fields of maintenance and disposal of large sums of money but all these efforts will be crowned with the fruits of unless there is a system of governance in Rashid, Fajlst this study that local groups could reflect the true face of the economic conditions, social, political and cultural that can be experienced as a citizen of the closest representatives and fully aware of its needs and then translated in the form of projects and local budget funds, But what ails the local communities and how it reflects reality in Algeria showed the opposite, but there are initiatives and ways to fix the root as an endeavor of good governance open new doors for the advancement of groups of local

Key words: good governance, local financial

مقدمة :

إن منح الجماعات المحلية بما فيها البلدية والولاية ميزانية مستقلة يعكس التوجه اللامركزي والديمقراطي للنشاط المالي للدولة من خلال إعطاء نوع من حرية التصرف في الاعتمادات المالية الموجهة للجماعات المحلية أي جعلها قاعدة لا مركزية لتسيير المال العام، لكن هذا وفقا لطموحات المجتمع المحلي باعتباره المستفيد

الأول من أي عملية تنمية، إلا أن ما تواجهه الجماعات المحلية من تحديات خاصة في الجانب المالي على غرار الموارد المالية مدى توفرها وطرق استغلالها، ونصيب المجتمع المحلي منها، كل هذا أوجب البحث عن أفضل الطرق وأحدثها من أجل بعث وتحسين الدور المالي على المستوى المحلي بما ينعكس إيجابا على المجتمع المحلي خاصة، فكان ذلك من خلال إسقاط نموذج الحكم الراشد بمبادئه وعناصره على الوسط الذي يحيط بالجماعات المحلية باعتباره يمثل الإصلاح العميق للدولة ونهجا تسير عليه كل دولة تريد النهوض بقطاعاتها ومصالحها أي لغرض بلورة التسيير الفعال على المستوى الكلي والجزئي، فكانت الجماعات المحلية عامة والبلدية خاصة أفضل مقياس للدراسة فهي مستمدة من (اللامركزية، الديمقراطية، المشاركة الشعبية) وتعتمد على الشفافية والمساءلة في تنفيذ قراراتها المالية، وهي المبادئ التي ينادي بها الحكم الراشد ويعمل على تطبيقها للحصول على أفضل تسيير لمصالح الجماعات المحلية، فالحكم الراشد ومن خلال مبادئه يعمل على تدعيم وترسيخ التسيير الفعال والجيد بإعطائه الأولوية للفاعلين في المجتمع بإشراك الدولة مع القطاع الخاص والمجتمع المدني في جو من الديمقراطية والشفافية والمساءلة والقانون، وهو ما سنتطرق إليه في موضوع المداخلة التي تمحورت الإشكالية فيها حول: ما مدى دور الحكم الراشد في إصلاح الجماعات المحلية؟
وتنجر عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات نخالها تتمثل فيما يلي :

- ما المقصود بالحكم الراشد ؟
- إلى أي دلالة يمكن أن يأخذنا هذا المفهوم ؟
- ما هي القاعدة التي انطلق منها حتى أصبحنا نقول اليوم بأن هناك حكم راشد ؟
- وإن كان فعلا، فما هي المعايير التي تجعلنا نسلم بوجوده ؟
- ما هي الوسائل والآليات الكفيلة للنهوض بالجماعات المحلية في إطار الحكم الراشد ؟

I) - الحكم الراشد كمسعى للإصلاح :

يعتبر الحكم الراشد أهم وسيلة حالية لإصلاح أيّ منظمة حكومية، لأنه لا تنمية في بلد محدد ما لم يصاحبه حكما راشدا يكون فعالا يساعد على تحديد الاحتياجات ورسم الخطط، فقد تقوم الدولة أو الحكومة بتحديد الأولويات وتطوير ميادين النفقة وتصرف أموال طائلة لكن كل تلك الجهود لن تكلل بثمار ما لم يكون هناك نظام راشد في التسيير.

1- تعريف الحكم الراشد

أعطت L'OCDE تعريفا للحكم الراشد بالنظر إلى الأهداف المنتظرة والشروط الواجب توفرها في الحكم الراشد وذلك على النحو التالي[1] :"الحكم الراشد مرتبط بمجموعة من المنظمات التي تمثل الديمقراطية في الشعب، هذه المنظمات مرتبطة بواسطة شبكة متينة من القوانين والمسؤولية لها أهداف تتمثل في تحقيق المنفعة لكافة المجتمع"، أما في الجزائر فقد لمح القانون 06- 06 المتضمن القانون التوجيهي للمدينة إلى

[1]- Rapport de L'OCDE , les orientations de la participation au développement et la bonne gouvernance. www.OCDE.com

الحكم الراشد من خلال المادة الثانية في الفصل الأول المتعلق بالمبادئ العامة:" هو الذي بموجبه تكون الإدارة مهتمة بانشغالات المواطن وتعمل للمصلحة العامة في إطار الشفافية".

2- عناصر الحكم الراشد:

يستنبط الحكم الراشد مدلوله من خلال تفاعل ثلاث عناصر أساسية وهي: القطاع العام (الدولة أو الحكومة)، القطاع الخاص والمجتمع المدني .

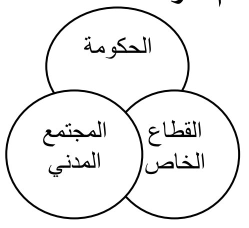
2-1 الحكومة (الدولة): وتمثل السلطة العليا المنتخبة أو ما يعبر عن السلطة التنفيذية والتشريعية، فلها سلطة المراقبة وممارسة القوة ولديها مسؤولية الخدمة العامة وبالتالي خلق محيط وبيئة مساعدة مهمتها العمل على: وضع إطار قانوني وتشريعي مستقر وثابت فعال وعادل للأنشطة العامة والخاصة، إضافة إلى تعزيز الاستقرار والمساواة في السوق .

2-2 القطاع الخاص : يعرف القطاع الخاص بشكل عام بأنه " ذلك الجزء من الاقتصاد الغير خاضع لسيطرة الحكومة ويدار وفقا لاعتبارات الربحية المالية"، أما من ناحية المحاسبة القومية فيُعَرَّف على أنه يشمل : المشروعات الخاصة، القطاعات العائلية، الهيئات التي لا تهدف للربح، وتخدم العائلات، وذلك بغض النظر عن ملكية المقيمين (أو غير المقيمين) للشركات الخاصة .

2-3 المجتمع المدني: وهو " كيان يلعب وسيط بين الدولة والمواطن من خلال مكونات المجتمع المدني [1]: النقابات، المنظمات المهنية، منظمات حقوق الإنسان، المنظمات غير الحكومية (ONG) للتنمية، منظمات حقوق المرأة والمجموعات البيئية ومراكز البحث الفكري والتكتلات الدينية والحركات الشعبية الأهلية أي البنى الاجتماعية التقليدية (منظمات المجتمع المحلي) والمجموعات الدينية (الحركات الشعبية الأهلية)[2].

ويمكن تمثيل التكامل بين عناصر الحكم الراشد كما يلي :

الشكل يوضح التكامل بين عناصر الحكم الراشد



المصدر: تجميع المعطيات السابقة .

3- معايير قياس الحكم الراشد :

---

[1]- Rapport , Commission Economique pour l'Afrique et centre (ECA) de développement , sous régionale , 2002 Addis Ababa . Ethiopie .

[2]– زينة حلمي "المجتمع المدني العربي " تقييم التأويلات وتعيين التحديات شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية بالتعاون مع مؤسسة هينرخ بُل ، مكتبة الشرق الاوسط ، سبتمبر 2004 .www. Boel-meo.org

لقد اختلف الباحثون والمنظمات المختصة في إيجاد صيغة موحدة لمعايير الحكم الراشد، هذا نظرا لاختلاف وتباين الوضعية العامة لكل بلد، وهو ما ألزم كل دولة التكيف وإتباع مؤشرات معينة على حسب ظروفها مع التدرج في تطبيق كل معيار بعد التعرف على مواطن الحكم السيئ الذي يتميز به[1]

وتعددت المعايير والمقاييس حسب أولويات كل جهة فهناك من رتبها حسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية ثم السياسية من خلال الاعتماد على معيار على حساب آخر، لكن تبقى معظم المعايير مشتركة، وتصب في معنى واحد وهو الحكم الراشد، من خلال تفعيل المشاركة بسيادة القانون والمسائلة والشفافية كما يلي :

3- 1 المشاركة:

وهي مفهوم مرتبط بالمجتمع المفتوح والديمقراطي، بمعنى تهيئة السبل والآليات المناسبة للمواطنين المحليين كأفراد وجماعات، من أجل المساهمة في عمليات صنع القرارات، إما بطريقة مباشرة أو من خلال مؤسسات شرعية وسيطة تمثل مصالحهم كالمجالس المحلية المنتخبة، ولكي تكون المشاركة فعالة، يجب أن يتوفر لأعضاء الجماعات المحلية فرصة وافية متساوية لإدراج مطالبهم على جدول أعمال الحكومة، ولطرح همومهم تعبيرا عن الخيارات التي يفضلونها كحصيلة نهائية لعملية صنع القرار، فالمشاركة تمكن المجتمع من الاستخدام الأمثل لطاقات وقدرات أفراده وجماعاته المنظمة باختيار ممثليه عن طريق الانتخاب، فهي تدعو إلى إعطاء دور أكبر للمجتمع المدني وتوجب تطبيق اللامركزية على صعيد الإدارة العامة أو الحكومية، وتمكن المواطنين من المشاركة في بنية السلطة بشكل ديمقراطي ومن التأثير على السياسات الاجتماعية المشرّعة، وأخيرا فسح المجال أمام تنمية تراعي النوع الاجتماعي أي إعطاء فرصة للمرأة . فالمشاركة هي مستمدة من الانتخاب، الديمقراطية، اللامركزية، التشريع، ومراعاة النوع الاجتماعي وذلك كالآتي :

3- 1 -1 الديمقراطية:

إن للديمقراطية أوجه وسمات لكل دولة الحق في اعتماد شكل أو طريقة تستمدها منها، ويمكن حصر الضرورية منها في : [2]

- التحكم بقرارات الحكومة حول السياسات العامة فيما يخص ممثلين منتخبين عن الشعب، يتم انتخابهم في انتخابات دورية وعادلة، أين يمارس ممثلو الشعب المنتخبون سلطاتهم الدستورية دون مواجهة معارضة تعلو هذه السلطات من قبل مسؤولين غير منتخبين، مع فسح المجال على التعددية ممثلة في المعارضة .
- يحق لجميع البالغين التصويت في الانتخابات وترشيح أنفسهم لتولي مناصب عامة، كما يحق للمواطنين التعبير عن رأيهم فيما يتعلق بالشؤون السياسية دون خطر تعرضهم للعقاب من قبل الدولة .

---

[1] – الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية ، مقال بعنوان مفهوم الحكم الصالح لحسن كريم ، مركز دراسات الوحدة العربية مع المعهد السويدي بالإسكندرية ، ط1 ، بيروت ، ديسمبر 2004 ، ص 101 .

[2] – جون تايلور ، مداخلة في مؤتمر " الحكم الصالح من أجل التنمية في الدول العربية " ، 6 فيفري 2005 . www.OCDE.ORG.

- يحق للمواطنين السعي لإيجاد مصادر أخرى للمعلومات كوسائل الإعلام الإخبارية ومثل هذه المصادر يحميها القانون، كما يحق تشكيل مؤسسات وهيئات مستقلة، بما في ذلك أحزاب سياسية وجماعات مهنية مستقلة .

كما يتميز النظام الديمقراطي بمجموعة من الخصائص الأساسية وأبرزها أمران هما : سيادة الشعب، الإقرار بحقوق الأفراد وحرياتهم وضمانها .

- سيادة الشعب :

حيث أن السيادة هي تلك السلطة العليا التي تملك حق التشريع والتي لا تعرف بجانبها أو فوقها فيما تنظم من علاقات سلطة عليا أخرى، وعبرت الأنظمة الديمقراطية بأن صاحب السيادة فيها هو الشعب أو الأمة، فيقال بأن السلطة مصدرها الشعب .

ونجد أن هذه السلطة تخضع لمبدأ الفصل حسب (مونتيسيكيو في كتابه روح القانون 1748)، إذ أن هذا الفصل هو الأفضل لضمان النظام الديمقراطي وتتمثل في : السلطة التنفيذية، السلطة التشريعية، السلطة القضائية.

- الإقرار بحقوق الأفراد وحرياتهم وضمانها :

إن النظام الديمقراطي قد أقر - قانونيا على الأقل - يُعَدّد غير قليل من الحقوق والحريات، وذلك مثل حرية الرأي، وحرية الاعتقاد، والحرية الشخصية، وحق الملكية وحق العمل والسكن والانتقال والتعليم، إلى غير ذلك من الحقوق والحريات، وهذا الإقرار يكون مخالفا للنظم الاستبدادية التي لا تقر بشيء مثل ذلك .

3- 1 -2 الانتخاب واللامركزية

يعد هذان العنصران أساسيان لتفعيل الديمقراطية خاصة والمشاركة بشكل عام، فاللامركزية تعبر عن مدى توزيع الوظائف السياسية والسلطة على المستوى المحلي والذي عن طريقه يمكن للمجتمع التعبير عن انشغالاته واهتماماته من جهة ومراقبة ومتابعة العمل الحكومي من جهة أخرى، وهو ما سيعمل على تمرير مختلف البرامج والمشاريع باعتبار الجهات المحلية الأدرى والأقرب باحتياجات المجتمع المحلي .

أما الانتخابات فهي الطريقة الشرعية التي يعبر بها المجتمع المحلي عن ممثليه، فله الحق في اختيار الأصلح والأجدر لمن له القدرة على تسيير شؤونه، كالانتخاب لاختيار ممثلين على المستوى المحلي المجالس الشعبية البلدية والولائية والمعبر بواسطة أحزاب سياسية .

3- 1 - 3 التشريع والنوع الاجتماعي

- أما بالنسبة للتشريع والذي هو ممثل بالسلطة التشريعية فله ثلاث وظائف تحدد دوره وأهميته فالأولى : هي سن القوانين والثانية : مراقبة نشاط السلطتين (القضائية والتنفيذية) وأخيرا توفير الخدمات للناس في الدوائر الانتخابية، وتتجسد أهمية التشريع في تقوية الحكم الراشد من خلال الوظيفة الاستشارية التي يمارسها والتي تقرب الشعب من المجالس الشعبية المنتخبة - أما بالنسبة للنوع الاجتماعي فهو يركز على دور المرأة في الحياة الاجتماعية، من خلال إعطاء نفس الأدوار والمسؤوليات للمرأة على غرار الرجل وفق ما تنص عليه أبجديات حقوق الإنسان التي تنادي بالمساواة بينهما.

3- 2 سيادة القانون :

يمثل هذا المعيار أحد دعائم الحكم الراشد وعليه يمكن تعريف سيادة القانون على أنها " مجموعة من القواعد القانونية التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض من جهة وعلاقتهم بسلطة الدولة من جهة أخرى، والتي تسعى إلى حماية حقوق الأفراد وتمتعهم بالحقوق والحريات الأساسية للإنسان وتحقيق مفهوم المساواة وتخضع جميع سلطات الدولة والأفراد للقانون وتعمل وفقا له".[1] يمكن حصر عنصرين أساسيين لبلورة فكرة سيادة القانون :

3- 2 -1 الدستور وهو يشكل القانون الأساسي والأسمى بالنسبة للنظام القانوني للدولة، وهو عادة ما يتضمن القواعد والمبادئ الأساسية التي تحكم المجتمع ومختلف نواحي الحياة .

3- 2 -2 القضاء وهو يمثل أحد مفاتيح الحكم الراشد حيث يستمد هذا الأخير شرعيته من استقلاله وحياديته رسميا حسب ما ينص عليه الدستور .

3- 2 -3 حقوق الإنسان : يمثل دعم واحترام حقوق الإنسان المعترف بها دوليا معيارا رئيسيا من معايير الحكم الراشد، كما أن احترام حقوق الإنسان مطلب أساسي من متطلبات تحقيق التنمية المستدامة، وعليه يجب إبقاء الحكومات والمواطنين على اطلاع على التزامات دولهم تجاه حقوق الإنسان، ومعرفة أداء دولهم على مدى تنفيذ هذه الحقوق .

3-3 الشفافية والمساءلة : تعد الشفافية والمساءلة من أهم محددات الحكم الراشد نظرا لما يحملانه من صفات تساعد على مكافحة مختلف مظاهر الفساد وسوء استعمال المال العام من ناحية، واعتمادها على عناصر الحكم الراشد مجتمعة (قطاع عام، قطاع خاص، مجتمع مدني) للوصول للحكم الراشد .

3-3-1 الشفافية : وتعد واحدة من المصطلحات الحديثة التي استخدمتها الجهات المهتمة بمكافحة الفساد في العالم، تعبيرا عن ضرورة الإفصاح للجمهور واطلاعهم على منهج السياسات العامة، من هنا يمكن تعريف الشفافية على أنها [2]" الانفتاح على الجمهور فيما يتعلق بهيكل ووظائف القطاع الحكومي، ونوايا السياسات المالية العامة، وحسابات القطاع العام الذي من شأنه تعزيز المساءلة وتثبيت المصداقية، وحشد تأييد أقوى للسياسات الاقتصادية السلمية من قبل جمهور على علم بمجريات الأمور،كما أن انعدامها أي الشفافية يؤدي إلى زعزعة الاستقرار وعدم الكفاءة والافتقار إلى العدالة "*

3-3-2 المساءلة : تعكس المساءلة واجب المسؤولين عن الوظائف الرسمية سواء أكانوا منتخبين أو معينين، وزراء أم موظفين وغيرهم، في أن يقدموا تقارير دورية عن عملهم وسياستهم ونجاحاتهم في تنفيذها، ويمكن أن تكون المساءلة تنفيذية، تشريعية، قضائية ومساءلة الرأي العام، من هنا فالمساءلة والمحاسبة لا يمكن

[1] – مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني ،" زيادة المستوى المعرفي واحترام الشباب الأردني لسيادة القانون " الأردن ص.05 _www. Hayatcenter.ORG

[2] – عماد الشيخ داود "الشفافية ومراقبة الفساد" ، مجلة الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية ، ص 146 .

أن تتم بصورة مناسبة وفعالة دون ممارسة الشفافية إذ أن في غياب الشفافية والمساءلة ينتشر الفساد ويترتب عليه انخفاض كفاءة الدوائر الحكومية والمؤسسات بشكل عام[1].

4-4 معايير أخرى :

هناك بعض المعايير التي لم تشترك في مختلف التعاريف ومفاهيم الحكم الراشد على غرار المعايير السابقة فنجد:

- **التوافق :** ويرمز إلى القدرة على التوسط والتحكيم بين المصالح المتضاربة من أجل الوصول إلى إجماع واسع حول مصلحة الجميع، وإن أمكن حول المصلحة العامة، والسياسات العامة .

- **الاستجابة :** تتمثل في سعي الأجهزة المحلية إلى خدمة جميع الأطراف المعنية، والاستجابة لمطالبها، خاصة الفقراء والمهمشين .

- **فعالية الحكومة :** هذا المؤشر وضع لفائدة الحكومات في تقييم الوضع وتطبيق السياسات السليمة وضمان أجود للخدمات العمومية، وهذا من خلال كفاءة الموظفين وكذا استقلال النشاط العمومي من الضغوطات السياسية ومصداقية الحكومة .

- **الكفاءة والفعالية :** ويعبر ذلك عن البعد الفني لأسلوب الحكم المحلي ويعني قدرة الأجهزة المحلية على تحويل الموارد إلى برامج وخطط ومشاريع تلبي احتياجات المواطنين المحليين وتعبر عن أولوياتهم، مع تحقيق نتائج أفضل وتنظيم الاستفادة من الموارد المتاحة [2].

5- علاقة الفساد بالحكم الصالح :

من خلال التطرق لمختلف معايير الحكم الراشد، نلتمس أن هناك تناقضا كبيرا بين الفساد والحكم الراشد ، فالفساد يسعى دائما لعكس أهداف الحكم الراشد، والحكم الراشد جاء للقضاء على مظاهر الفساد ، فالفساد الذي هو : "كل عملية تتضمن استخدام المنصب العام لتحقيق مصلحة خاصة، أي أن يستغل المسؤول منصبه من أجل تحقيق منفعة شخصية ذاتية لنفسه أو لمجتمعه، وهنا يكمن التناقض الأول بين الفساد والحكم الراشد، لأن الفساد دال على ضعف المساءلة، بمعنى إلى أي درجة يجب على الحكومة أن تبرر ما فعلته ؟ هذا على المستوى الكلي، أما على المستوى الفردي، فالمساءلة تتضمن قدرة الموظف العام ونوابه على أن يوضح إلى أي مدى يعمل لخدمة المصلحة العامة، وأن تكون هناك معايير لقياس ذلك"[3].

---

[1]– أحمد فتحي أبو كريم " الشفافية والقيادة في الإدارة " ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2008 ، ص102.

[2] – سمير محمّد عبد الوهاب " الاتجاهات المعاصرة للحكم المحلي والبلديات في ظل الأدوار الجديدة للحكومة "منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2009، ص 15.

[3]– علي الصاوي " دور المجالس العربية في محاربة الفساد"كتاب دور البرلمانات في مكافحة الفساد ،منظمة برلمانيون عرب ضد الفساد ط1 ، برانت شوب، 2005، لبنان ،ص49.

كما أن الفساد هو نقيض لحقوق الإنسان فهو يصنع التميز والتفاوت في الحصول على فرص العمل أو التنمية أو توزيع المداخيل بين فئات المجتمع من خلال تفضيل فئة على أخرى بوسائل غير مشروعة وهو بذلك مخالف لمبادئ حقوق الإنسان التي تنادي بالمساواة والعدالة .

وبالطبع لن تكون هناك مساءلة ما لم توجد شفافية، فإذا كان الهدف من بعد المساءلة هو كشف الفساد والحد منه، فالشفافية غايتها القصوى ووجودها يعني القضاء عليه، لأن الشفافية تعكس الممارسات المختلفة في المؤسسات، مما يدل على أن كل شيء واضح للعيان، أما وجود الفساد فيعني اللاشفافية لأن الفساد يعيش في الأماكن المظلمة وبالتالي المؤسسات التي تعيش في النور تفيد بأنها مؤسسات نظيفة خالية من الفساد، إذن الشفافية أداة لمحاربة الفساد والحد منه[1].

كذلك فإن ضعف المشاركة يؤدي إلى الفساد، فيجب أن تكون مرجعية صانع القرار أصوات المواطنين موجودة، وبالطبع لن تكون هناك مساءلة ما لم توجد شفافية، لذا فنحن بحاجة إلى مزيد من تدوير المعلومات وفتح الباب أمام المواطنين للمشاركة في الحياة السياسية وتطوير الحكم الراشد من خلال تعزيز قدرة المجتمع على مكافحة الفساد ضمن منظومة سيادة القانون، المساءلة، حقوق الإنسان، الشفافية، والمشاركة .

II) الحكم الراشد كأداة لتدعيم إصلاح الجماعات المحلية

إن مبادئ الحكم الراشد في أغلبها تصب لإصلاح الجانب اللامركزي للدولة بما فيها المالية المحلية للجماعات المحلية، فهناك العديد من الأفكار والاقتراحات الهادفة إلى إصلاح الجماعات الإقليمية وهو ما سنقف عليه من خلال تناول الاقتراحات المعتمدة لإصلاح الجماعات الإقليمية وإدارتها .

1- إصلاح الجانب القانوني للبلدية والولاية

بالرغم من تكريس أهم مبادئ اللامركزية في كل من المواثيق الوطنية، فقد جاء في الميثاق الوطني أنه "ينبغي للامركزية أن تخول للبلديات والولايات كامل الصلاحيات للنظر في كل المشاكل ذات المصلحة المحلية أو الجهوية التي بإمكانها حلها". فالبلدية لها اختصاصات في جميع الميادين بدون استثناء فمن خلال دستور 1996 في مادته (15) التي تقضي بأن الجماعات الإقليمية تضم البلدية والولاية وأن البلدية هي الجماعة الإقليمية القاعدية، وكلاهما تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي.

نجد أن ممارسة الشؤون المحلية تبتعد كثيرا عن مظاهر اللامركزية والديمقراطية، الأمر الذي يعرقل تطور وتنمية الجماعات الإقليمية، ويحولها إلى درجة قاعدية للبيروقراطية من جهة وإلى محرك للشؤون والمصالح المركزية من جهة أخرى .

إن مثل هذا الوضع أصبح واقعا تتعايش معه يوميا إدارتنا المحلية دون التفكير في حلول من شأنها التخفيف من حدة المشاكل، ومحاولات الإصلاح القليلة التي نلاحظها من حين لآخر لا نجدها من اجتهاد المسؤولين المحليين مباشرة، فالسلطات المركزية تظل المفكر والمقرر الوحيد لمصير هذه الإدارات والنتيجة يقع

---

[1] – أحمد فتحي أبو كريم " الشفافية والقيادة في الإدارة " ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2008 ، ص81.

عبؤها مباشرة على المواطن لأنه لا يشترك في تسطير الاستراتيجيات واتخاذ القرارات التي تخدمه، باعتبار القرار مركزي فإنه سيخدم لا محالة السلطات المركزية .

وعليه فإن إصلاح الإطار القانوني المحلي وتكييف نصوصه أصبح من الأمور المستعجلة لتحقيق التنمية المحلية وإقرار مبادئ الديمقراطية المحلية .

1-1 إعادة النظر في بعض أحكام قانون البلدية

أولا: تحديد مسؤوليات وعلاقات رئيس المجلس الشعبي البلدي :

باعتبار رئيس البلدية منتخبًا من طرف المواطنين مؤقتا لمدة 05 سنوات، فلابد من توسيع وتدقيق صلاحياته ومنحه أكثر استقلالية في اتخاذ القرار، لأن تبعيته الدائمة للسلطة الوصائية وانتظار موافقة ومصادقة هذه الأخيرة على كل قراراته يعرقل شؤون البلدية ويفقد معنى اللامركزية التي يطالب رؤساء البلديات بتجسيدها بعد وثوق المواطنين فيهم وانتخابهم لهم .

أما بالنسبة لمهام رئيس المجلس الشعبي البلدي المكرسة في قانون البلدية 11-10 (المادة 15) ومهام الأمين العام للبلدية التي توضح في مرسوم أو قرار التعيين فنلاحظ فيها تداخلا كبيرا لأن ما نراه في الواقع هو قيام الأمين العام للبلدية بأغلبية المهام إن لم تكن كلها وهل يعود ذلك حقا بسبب تداخل المهام أم أن عامل الكفاءة هو الذي يحدد هذه الوضعية ؟

فباعتبار الأمين العام معين فلابد له من كفاءة علمية وخبرة ميدانية واسعة ليشغل هذا المنصب، ومنه فهذا الأخير سيجسد السياسة المركزية على المستوى المحلي، وبالمقابل نجد رئيس المجلس الشعبي البلدي الذي ينتخبه المواطنون نظرا لمكانته بينهم ولدرجة قدرته على الإقناع، يخضع باختصار لاعتبارات ذاتية لا تأخذ بعين الاعتبار الثقل العلمي ولا حتى الخبرة الميدانية، وهذا الأخير سيحاول أن يخدم المواطن وينشط السياسة المحلية، وهنا يقع التعارض بين المصالح المركزية والمصالح المحلية .

هذا الأمر يدعو إلى التفكير في تكييف العلاقة بين رئيس المجلس الشعبي البلدي والأمين العام وفق ما يخدم مصلحة المواطن، هذا بالتحديد الدقيق والفصل بين مهام كل منهما دون أن يمس ذلك بالتكامل الذي لابد من ملاحظته في نتيجة هذه المهام ولا يكون ذلك إلا بإقرار قانون أساسي خاص يحكم الوظائف الإدارية داخل البلدية .

ومن بين أهم التدابير المتخذة في قانون البلدية الجديد (11- 10) :

- تكريس عمل الهيئة التنفيذية المنتخبة (المجلس الشعبي البلدي) وذلك من خلال استعانة رئيس المجلس الشعبي البلدي بنواب له بدل مساعدين .
- ومن التدابير المتخذة في إطار تحديد الصلاحيات داخل المجلس البلدي تم الفصل بين القانون الأساسي الذي يحكم المنتخبين عن القانون الخاص برئيس المجلس الشعبي البلدي بالموازاة مع كيفيات تعيينهم .
- كما أن التعديلات الجديدة على القانون المتعلق بالبلدية عملت على فرض نوع من الانضباط على أعضاء المجلس الشعبي البلدي، حيث :" يعلن مستقيلا كل منتخب تغيب بدون عذر مقبول لأكثر من ثلاث دورات عادية للمجلس الشعبي البلدي خلال السنة . كما تلزم هذه التعديلات بمتابعة الدورات التكوينية وتحسين المستوى المتعلق بالتسيير البلدي .

- وفي إطار تدعيم النوع الاجتماعي، يعلن رئيسا للمجلس الشعبي البلدي وفي حالة تساوي الأصوات، المرشحة أو المرشح الأصغر سنا (دعم مشاركة المرأة(المادة 65) .

ثانيا: ضرورة مواصلة المشاريع البلدية :

بما أن البلدية هي الجماعة القاعدية للدولة فعلى هذه الأخيرة أن تساعدها في إنجاز مشاريع عديدة لتطوير وخلق تنمية فعالة في وسطها خاصة الاستثمار في القطاعات التي تتسم بمزايا نسبية (بلديات زراعية، بلديات رعوية، بلديات سياحية ...) كذلك في القطاعات التي تتسم بكثافة الأيدي العاملة التي يمكنها أن توسع القاعدة الضريبية[1] (أي موارد محلية جديدة)، لكن الأمر الملاحظ هو عدم إتمام المشاريع البلدية خاصة منها الطويلة الأجل بسبب إهمالها أو محاولة عرقلتها من طرف رئيس المجلس الشعبي البلدي الجديد وهذا لأسباب سياسية أو غايات نجهل طبيعتها لأنها بعيدة كل البعد عن مبادئ اللامركزية والديمقراطية التي تضع خدمة المواطن والصالح العام فوق كل اعتبار، وهذا يعني انعدام الاستمرارية في تحقيق الاستراتيجيات على المستوى المحلي، ولهذا يجب مراعاة خصوصيات البلديات .

على خلاف الولايات والوزارات فإن التنظيم الإداري للبلديات وتحديد هياكلها وأجهزتها لا يخضع لمخطط موحد وهذا بسبب اختلاف حجم البلديات خاصة من ناحية عدد السكان الذي يظل أهم معيار يقوم عليه الهيكل التنظيمي للبلدية، وهذه فكرة جيدة يجب العمل بها والمحافظة عليها لأنها تراعي اختلاف البلديات من ناحية عدد السكان لأن تسيير بلدية بأكثر من50000 نسمة يختلف عن تسيير بلدية تضم أقل من 20000 نسمة، مما يتطلب إعادة النظر في النظام الأساسي للبلديات وإدماج متغيرات عديدة كطبيعة البلدية (حضرية، ريفية، سهبية، رعوية، زراعية، سياحية)، بالإضافة إلى التمييز بين الحاجات المستعجلة والضرورية والاختيارية لوضع الاستراتيجيات الملائمة لتحقيقها.

ثالثا: منح أكثر استقلالية للبلديات :

مقارنة مع قانون البلدية الصادر بأمر 67-24 المؤرخ في 08 يناير 1967 فإن قانون 11-10 ضيق نوعا ما من استقلالية البلدية في بعض المجالات، ونلاحظ هذا من خلال عدة أحكام وردت في القانون الحالي .

الأمر الذي لابد من إقراره هو خلق قانون يتعلق بحقوق وحريات الجماعات الإقليمية الذي نجد فرنسا مثلا قد تبنته منذ سنة 1982 وهذا القانون لابد أن يمنح البلدية أكثر استقلالية خاصة فيما يتعلق بالتسيير الداخلي اليومي لشؤونها وكذا بتنظيم أعضاء المجلس الشعبي البلدي فيما بينهم وعلاقتهم برئيس المجلس الشعبي البلدي وبقية الموظفين، ولا بأس في توسيع الرقابة على الأمور الكبرى التي تتطلب تدخلات السلطات العليا، هذا بترشيد القرارات ومساعدة البلديات التي يصعب عليها تحمل مثل هذه المسؤوليات الكبرى .

وكخطوة جديدة لمنح نوع من الاستقلالية للجماعات المحلية جاء في نص التدابير الخاصة بقانون البلدية والولاية الجديد ما يلي :

[1] – المؤتمر الدولي المعني بتمويل التنمية ،" المائدة المستديرة الأولى بشأن حشد الموارد المالية المحلية من أجل التنمية " ، الدوحة ، قطر ، 29 نوفمبر 2008 http://www.un.org/esa/ffd/Doha

- لضمان السير الحسن للمدن الكبرى قررت الحكومة تكريس تنظيم (شوارع ومناطق حضارية) من أجل تسيير حضاري أحسن وخاصة في المدن الكبرى كالعاصمة، وهران، قسنطينة .

- كما أن القانون الجديد شدد على توضيح العلاقات وتقاسم المهام بين الدولة، الولاية والبلدية تفاديا لتداخل الصلاحيات في شكل اختصاصات متقاسمة أو مفوضة، ويتطابق إلى حد بعيد مع المعطيات الجديدة للمجتمع في ظل بروز كفاءات وأجيال جديدة من القيادات ما بين النساء والشباب وكذا التعمير الكثيف للسكان الذي انجر عنه تعقد كبير في العلاقات والتعامل مع الحاجيات الاجتماعية المتعددة الأشكال .

- وفي إطار الاستقلالية في اتخاذ القرارات تم إدراج قاعدة الملائمة (L'opportunité) إلى جانب قاعدة الانتظام (La régularité) أي وجود عدة خيارات أمام الآمر بالصرف (رئيس المجلس الشعبي البلدي)عند أداءه لمهامه، فحسب هذه القاعدة يمكنه الاختيار في حدود الإمكانيات المتاحة وفي إطار المصلحة العامة فلا يستشير الدولة في اتخاذ كل قرار يراه مناسبا للبلدية .

2-1 إعادة النظر في بعض أحكام قانون الولاية :

حسب المادة الأولى من قانون الولاية 12-07 فإن هذه الأخيرة جماعة إقليمية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي في الفقرة الأولى، وأنها دائرة إدارية في فقرتها الثانية، من هذه المادة يتضح لنا الدور المزدوج الذي تلعبه الولاية فهي تمثل اللامركزية المجسدة في المجلس الشعبي الولائي المنتخب من طرف المواطنين، وعدم التركيز الممثل في الوالي المعين بقرار رئاسي، وهنا نلاحظ تشابه بين الولاية والبلدية في وجود شخصين أحدهما معين والآخر منتخب ولكن ثمة اختلاف في أهمية ووزن كليهما، الوالي يقابله الأمين العام للبلدية، ورئيس المجلس الشعبي البلدي يقابله رئيس المجلس الولائي.

يعين الوالي بمرسوم رئاسي ومهامه كممثل للدولة تشكل الجزء الأكبر من جل مهامه .

كما أن الوالي يعتبر الرئيس الإداري للولاية، وحلقة الاتصال بين الولاية والسلطة المركزية، فهو المتصرف بسلطة الدولة، مندوب الحكومة والممثل المباشر لكل وزير ودوره في هذه الوضعية لابد من إعادة تحديده وضبطه للسماح له بممارسة مهامه المتعلقة بتنسيق مهام ومصالح الدولة وتجسيد السياسات العمومية التي تنطلق من الجماعات الإقليمية في أحسن الظروف، ولتغليب اللامركزية على عدم التركيز في الولاية لابد من إعادة النظر في صلاحيات الوالي كممثل للدولة وصلاحياته كممثل للولاية .

ولدعم اللامركزية على مستوى الولاية نص قانون الولاية والبلدية على إعطاء صلاحيات واسعة للولاة حيث يمكن للوالي في إطار الإجراءات التنظيمية الجديدة، "إنهاء مهام وتوقيف كل منتخب تعرض للمتابعة القضائية أو كان محل إدانة جزائية نهائية لأسباب مخلة بالشرف، أو لها صلة بالمال العام .

كما أنه وفي حالة رفض رئيس المجلس الشعبي البلدي تنفيذ كل عمل خولته له القوانين والتنظيمات، مثل المصادقة على الميزانية أو تنفيذ القرارات الضرورية في مجال حفظ النظام والسكينة العمومية، يمكن للوالي إعذاره والحلول محل هذا الأخير بالتفويض كما يكون هذا الإجراء في حالة البلديات التي تعاني الانسداد، ضمانا لسيرورة شؤون البلدية وخدمة المواطن التي تبقى رهينة نزاعات أعضاء المجالس الخاضعين في تحركاتهم للحسابات السياسية .

2 - آلية الفصل بين مهام وواجبات رئيس المجلس المحلي

يمكن توزيع مهام رئيس المجلس المحلي إلى شقين جانب بصفته منتخب والجانب الثاني بصفته ممثل للدولة، لكن السير الحسن لرئيس المجلس الشعبي المحلي لا يخرج عن الصفات التالية :

1-2 العمل السياسي (بصفته منتخبا) :

لاشك أن مدلول كلمة سياسة هي من الناحية الموضوعية سياسة الدولة وتدبيرها بما للسياسة من مدلول سائغ متكامل، وهي من الناحية الوظيفية الهيئة الشرعية التي تتولى قيادة الأمة وتنظيم مجتمعها وترعى مصالحها وتوفر لها السلامة والأمن والرخاء، فهي بوتقة تتبلور فيها إدارة المجتمع وسلطاته . لهذا كان من المواصفات الأساسية في اختيار الرئيس المحلي أن يكون له : [1]

أولا : سعة الأفق : صفة يجب أن تتوافر في الرئيس المحلي، ذلك أن سعة الأفق تمنعه من الانزلاق في متاهات طويلة من عدم تقدير المواقف تقديرا صحيحا، وتثير اهتمام المواطنين برأيه، وتشدهم إلى حكمته وبصيرته .

ثانيا: القدرة على الفهم السريع : من الأمور الجوهرية، فمن الثابت أن الإدارة المحلية تتعرض لأنشطة مختلفة كالزراعة والصحة والتعليم والاقتصاد والهندسة المعمارية، لهذا كان من الضروري أن يتصف الرئيس المحلي بهذه الصفة ليستطيع أن يفهم ويهضم ما يعرض عليه من تقارير فنية .

ثالثا: قوة الحجة والقدرة على مواجهة الجماهير:

صفة أساسية يجب أن تتوافر في الرئيس المحلي، ذلك أن عملية التطوير الاجتماعي Social change تتم عن طريق إدخال أفكار ومبادئ جديدة. ولا يمكن أن تدخل هذه الأفكار والمبادئ الجديدة إلى المجتمعات المحلية ببساطة، إذ قد يقدم في طريق ذلك اعتبارات معينة كالمصالح الشخصية لبعض المواطنين من القادة أو التقاليد والعادات .

رابعا: السلوك الشخصي للرئيس المحلي من الأمور الهامة التي تؤثر في نجاح رجل الإدارة المحلية:

فليس له أن يمضي في حياته الخاصة منساقا لنزواته وعواطفه من غير اعتبار لأثر ذلك في مشاعر الناس، ذلك أن الشخص الذي توضع فيه ثقة الناس إنما تبقى فيه هذه الثقة وتتأكد أو تتناقص وتزول في ضوء ما يقدمه من خدمات لجماعته، ذلك أن كل تصرف شخصي للرئيس المحلي هو موضع نقد ومناقشة بين غالبية الأهالي في المدينة أو القرية، ومن الأمور المطلوبة أيضا في أن يكون حياديا وعادلا في تصرفاته، ومضمون ذلك أن يكون في إدارته لأمور المجلس أو في حل مشاكل المواطنين حياديا.

خامسا : السلوك الديمقراطي :

كما أنه من الأمور الأساسية أن يكون رجل الإدارة المحلية مؤمنا بالجماهير وقُدُراتها محبا لها، وأن يكون متفهما لمعنى الديمقراطية، وذلك أن رجل الإدارة المحلية ليس هو الشخص الذي يفرض رغباته الخاصة أو أوامره عن طريق الإكراه، ويستحسن أن يكون لدى رجل الإدارة المحلية دراسة وافية عن التركيب النفسي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة ونسبة السكان العاملين ونسبة المواليد والوفيات والخصوبة وذلك عن

---

[1] – مصطفى الجندي " الإدارة المحلية واستراتيجيتها" منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر، 1987 ، ص 159-160 .

طريق مسح اجتماعي واقتصادي يشمل الإمكانيات المتاحة والطاقات المعطلة ونصف المعطلة سواء أكانت بشرية أو مادية حتى يكون لديه حصر شامل لكل إمكانيات الوحدة المحلية .

2-2 بصفته إداري تنفيذي :[1]

هناك علاقة وظيفية بين نظام الحكم المحلي ومفهوم الإدارة العلمية بشكل عام، وقد يقال أن نظام الحكم المحلي يرتبط أساسا بشكل النظام السياسي القائم في المجتمع، وهذا قول لا غبار عليه إطلاقا لأنه ما لم يوافق هذا النظام السياسي على تطبيق الحكم المحلي فإنه من العسير بطبيعة الحال تنفيذ ذلك مع تجاهل القرار السياسي في هذا الشأن لكنه من زاوية أخرى فإن ممارسة هذا النظام من خلال مواقع التنفيذ على اختلاف مستوياتها يرتبط بالأساليب الإدارية، ما لم تكن عملية ورشيدة فإنها تسيء إلى فلسفة الحكم المحلي، ومن ثم إلى شكل النظام السياسي القائم في المجتمع ومعنى ذلك أن الحكم المحلي قرار سياسي، وممارسة إدارية .

وعلى هذا الأساس كان للإداري الحكيم أن يصوغ إدارته للموقع وفقا لأساليب علمية .

وعلى هذا فالأخذ ببعض مبادئ الإدارة المحلية ضروري جدا مثل :

- أولا : يجب أن يكون للمجلس المحلي سياسة واضحة معروفة وخطة عمل يعرفها العاملون بالمجلس جميعا بل والأعضاء الشعبيون .

- ثانيا : يجب أن يقوم رئيس المجلس الشعبي المحلي أو الوالي بتحديد مسؤولية كل عامل أو عضو منتخب .

- ثالثا : كخطوة جديدة وحتى يتفرغ رؤساء المجالس الشعبية المنتخبة للعمل الإداري والجدية فيه، قررت الحكومة منع كل رئيس منتخب كان يشغل منصب وظيفي (أستاذ جامعي، موظف لدى القطاع العام ...) أو مهنة حرة (محامي، طبيب ...) أو يمارس نشاط تجاري أو صناعي [2] قبل اعتلائه منصب - رئيس المجلس الشعبي البلدي -، ومكنته من الاستفادة من تعويضات عن وظيفته السابقة يضاف لها راتب - رئيس المجلس الشعبي البلدي – (جاء هذا الإجراء ضمن تدابير قانون البلدية الجديد)

III) آليات تجسيد الحكم الراشد المحلي :

إن ما يلاحظ في كثير من البلدان النامية هو الاعتراف بأن الدولة مريضة ومعتلة ولابد من علاجها والحل يتمثل في الحكم الراشد كونه المرادف الحقيقي للإصلاح العميق للدولة [3]، وهناك نقاشات حادة من جراء هذا الوضع (اعتلال الدولة)، وعليه فإن الشفافية والمشاركة أصبحا أكثر أهمية من أي وقت مضى من أجل ترسيخ الديمقراطية والاستقرار، لأن تقوية العلاقة بين الإدارة والمواطنين تعد أولوية فعالة في سبيل ترسيخ الديمقراطية، فالحل كما ذكر أعلاه يكمن في الشفافية وضمان المشاركة .

1- الحكومة المحلية الإلكترونية

---

[1] – نفس المرجع السابق ، ص 161 .

[2] - Mohamed SBIHI , "La gestion des Finances communales" , BABEL distribution , Rabat 1976 , page 16 .

[3] – الأخضر عزي ، غالم جلطي :"قياس قوة الدولة من خلال الحكم الراشد" (إسقاط على التجربة الجزائرية)
http://www.uluminsania.net/a34.html

أولا- تعريف :

يقصد بالحكومة الإلكترونية بصفة عامة[1] " إنجاز كل الوظائف عبر الشبكات باستخدام أنظمة الكمبيوتر."

أما الحكومة الإلكترونية المحلية وبنوع من التخصيص فتعني استخدام تكنولوجيا المعلومات، خاصة تطبيقات الإنترنيت المبنية على شبكات المواقع الإلكترونية، لدعم وتعزيز حصول المواطنين على الخدمات التي تقدمها الحكومة المحلية، إضافة إلى تقديم الخدمة لقطاع الأعمال والدوائر الحكومية المختلفة بشفافية وكفاءة عالية وبما يحقق العدالة والمساواة، يمكن مناقشة أربعة وظائف تصب كلها في معنى واحد للحكومة المحلية الإلكترونية[2]:

أ/- الخدمات الإلكترونية والمواطنين

ب/- الإدارة الإلكترونية وكفاءة الحكومة

ج/- الديمقراطية الإلكترونية والمشاركة الشعبية

د/- التجارة الإلكترونية والتبادلات الإلكترونية

ثانيا: أهمية الحكومة الإلكترونية

لقد بينت التجارب الأولية في هذا المجال محاسن لا يستهان بها، بعضها يظهر مباشرة (ربح الوقت، التكلفة، الجودة) والبعض الآخر لا يمكن قياسه ولا يظهر إلا مع مرور الوقت .

أ/ الفوائد المباشرة :

- زيادة المخرجات (كنتيجة لزيادة طاقة العمل)
- تقليل الحاجة إلى المقابلات (مداولات عن بعد، البريد الإلكتروني) .
- تقليل الحاجة إلى التنقل والسفر (استخدام النظم الإلكترونية) .
- تقليل عدد المكالمات الهاتفية (استخدام نظام البريد الإلكتروني داخليا) .
- صرف الأعمال الروتينية، كالبحث في الملفات التقليدية .
- توفير العمالة كنتيجة لدخول الآلة مكان الإنسان .
- الحفاظ على المعلومات والوثائق (انتقال المعلومات يكون عبر الشبكات) .

ب/ الفوائد غير المباشرة :

- الرقابة الأفضل على الأعمال والوقت (تقليل حركة العمال) .
- تبسيط الإجراءات وتقليل النماذج اللازمة في المعاملات الإدارية .
- تحسين أوضاع الموظف وشعوره بالرضا والوعي الوظيفي .

---

[1] – عادل رزق :"الإدارة الرشيدة ،الحكم الجيد أو الحوكمة " مقال منشور بمجلة المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، الإدارة الرشيدة ، الإصلاح الإداري والمالي ، مصر 2009 ، ص 163 .

[2] – محمّد طعامنة ، – هدى العزاوي " اقتصاديات المالية العامة " ، دار المسيرة ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص 325 إلى 327.

- تقليل الاحتكاك بين المواطن والإدارة ومعه تحسين العلاقة بينهما .
- رفع مستوى الرضا لدى المواطن .

إن الحصول على هذه المزايا لا يعني عدم وجود تحديات تعرقل السير الحسن للحكومة المحلية الإلكترونية والتي على رأسها :[1] البيروقراطية، الأمية، مقاومة التغيير، غياب الإمكانيات المالية اللازمة، عدم وضوح مجالات الحكومة المحلية الإلكترونية، عدم توفر الموارد البشرية المؤهلة .

2- الشفافية في سير عمل الجماعات الإقليمية

تتمثل الشفافية في أن تكون قرارات وأعمال الجماعات الإقليمية مفتوحة للفحص وقابلة للاطلاع عليها من طرف إدارات أخرى والمجتمع المدني .

ومن هذا وحسب ما كرسه المرسوم رقم 88-131 المؤرخ في 04 يوليو 1988 المنظم للعلاقات بين الإدارة والمواطن، فإن هذا الأخير يمكنه الاطلاع على التدابير والتنظيمات التي تضعها الإدارة والاطلاع على الوثائق والمعلومات، لكن هناك بعض الحدود والمتمثلة في مراعاة مجال المعلومات المحفوظة والمعلومات التي يحميها السر المهني والتنظيم .

كذلك لضمان شفافية أكثر فإن الإدارة يجب أن تكون مهيأة وقادرة على الإفصاح عن نشاطها وأفعالها وقراراتها مطابقة للأهداف المحددة والمتفق عليها، كما تكون لهذه الإدارات من الوسائل والمرونة ما يسمح بالاستجابة وبسرعة لتطلعات المجتمع خدمة للصالح العام .

ومما يضمن مزيدا من الشفافية وضع التعددية كأحد أبعاد التنمية ودعم استقلالية منظمات المجتمع المدني وضمان الحق في الإعلام، بالإضافة إلى كل هذا يجب ألا ننسى أسبقية القانون فعلى الإدارة تطبيق القوانين والتنظيمات بكل مساواة وشفافية مع إشراك المواطنين في الإعلام والاستشارة ومشاركة الجمهور في عملية اتخاذ القرارات، ويمكن أن تتاح الشفافية في الجانب المالي من خلال :

2-1 شفافية النفقات العمومية

يشير صندوق النقد الدولي إلى أن تحضير الميزانية يجب أن يندرج في إطار فرضيات ومعطيات اقتصادية واضحة ومعلن عنها، وتحديد واضح لأهداف السياسة الميزانية إذ أن أنظمة الإعلام للميزانية الحالية قائمة أساسا على منطق التكليف في حين تبقى عامة اتجاه النتائج الأمر الذي يؤثر سلبيا على نوعية القدرات العمومية لأنه لا يوجد أي معلومات حقيقية ودقيقة حول فائدة الإعتمادات، فعلى سبيل المثال يسود الاعتقاد بتفضيل دينار من الأموال العمومية غير مفيد على دينارين مفيدين، على هذا الأساس يجب على الأنظمة الميزانية للدول أن تحتوي على معلومات كاملة حول الأهداف المراد تحقيقها الأمر الذي يحتاج إلى مجهودات فكرية وبشرية تفوق تلك المستخدمة في أنظمة الميزانية التقليدية، وذلك قصد متابعة الإعتمادات المستهلكة ميزانيا، ماليا، محاسبيا، ويجب أن يتم التنفيذ وفقا لقواعد وإجراءات محددة مسبقا مع العمل

---

[1] – سمير محمّد عبد الوهاب : "الاتجاهات المعاصرة للحكم المحلي والبلديات في ظل الأدوار الجديدة للحكومة" مقال منشور بمجلة المنظمة العربية للتنمية الإدارية – البلديات والمحليات في ظل الأدوار الجديدة للحكومة ، مصر ،ص 81- 83 .

على تنظيم الصفقات العمومية وضمان نزاهتها مع التقليل قدر الممكن من اللجوء لإجراء التراضي، على أن يتمتع التنفيذ بإعداد تقارير تسلم للسلطة التشريعية وتكون في متناول الجمهور.

يشير صندوق النقد الدولي في هذا الصدد إلى ضرورة التقليل من النفقات العمومية الخارجية في الميزانية العامة للدولة Extra budgétaire ويقصد بها حسابات التخصيص الخاص، الميزانيات الملحقة ومساهمات الأفراد وشبه الجباية، وذلك لإعادة الاعتبار لمبدأ الوحدة الذي يعد أساسا لضمان تعظيم تخصيص النفقات العمومية، حيث يسمح بإخضاع كل النفقات العمومية دون تمييز إلى قواعد الفحص الأمر الذي يمكن بذلك السلطات العمومية من القيام باختبارات الميزانية والتحكم في النفقات العمومية .

2-2 وضوح قواعد توزيع الاختصاص

وهذا فيما يتعلق بالعلاقة بين القطاع العمومي والقطاع الخاص وتوزيع الاختصاص داخل القطاع العمومي نفسه، حيث تتطلب المؤسسات الدولية حدودا بين القطاع العمومي وباقي أعوان الاقتصاد . كما أن تدخل السلطة العمومية في الاقتصاد عن طريق التشريع والمؤسسات العمومية يجب أن يكون قائما على قواعد واضحة وإجراءات لا تمييز فيها. ويتم توزيع مسؤوليات الميزانية بين الكيانات العمومية للدولة، الجماعات العمومية، الضمان الاجتماعي بصورة واضحة خاصة توزيع صلاحيات النفقات والإيرادات فيما بينها كما ينبغي وضع تعريف دقيق لدور الجماعات المحلية المختلفة كالولاية والصندوق المشترك للجماعات المحلية، البلدية، الخزينة وتحديد العلاقات القائمة بينها في خصوص المسائل المالية وتؤكد المؤسسات الدولية على أهمية المجالس الشعبية المحلية في المجال المالي .

3-2 وجود الرقابة الخارجية

ينبغي أن يكون المراجعون المنفردون ومكتب المراقبة مستقلين عن السلطة التنفيذية وعن الهيئة التي يجري مراجعة حساباتها، وأن يكونوا بمنأى عن أية تأثيرات سياسية، ويجب أن يتمتع المراجع ومكتب المراجعة بالكفاءة المطلوبة، وتوجيه العناية والاهتمام اللازمين للتقيد بمعايير مراجعة الحسابات، حيث يمثل هذا الجهاز المستقل في الجزائر مجلس المحاسبة .

يقوم مراجع الحسابات بتصميم إجراءات المراجعة القانونية على نحو يضمن بدرجة معقولة رصد الأخطاء والتجاوزات والأعمال غير المشروعة، التي قد تؤثر بشكل مباشر وفعلي على المبالغ التي تتضمنها البيانات المالية، ويتولى المُراجع تحديد درجة الموثوقية التي تتمتع بها الرقابة الداخلية .

- فإخضاع الجماعات المحلية لرقابة الانضباط الميزاني والمالي باعتبارها تخضع لقواعد ومبادئ المحاسبة العمومية من شأنه إخضاع المسؤولين على إحداث ضرر بالخزينة العمومية لإجراءات عقابية[1] ، من شأنها ردع أي محاولة لتسييب المال العام وذلك في إطار مخالفات المادة 88 من الأمر 95-20 " إلا أن كل هذه الإجراءات لازالت غائبة في الواقع باعتبار أغلب الحسابات إن لم نقل الكل، لم تدرس وتتراكم لعدة سنوات تفوق الـ 10 سنوات .

أما فيما يتعلق بالفساد ومكافحته فالحل يكمن وراء تفعيل دور أجهزة الرقابة والمتمثلة في :

[1] - الأمر رقم 95-20 ، والمرسوم الرئاسي رقم 95-377 المؤرخ في 20 نوفمبر 1995 المحدد للنظام الداخلي لمجلس المحاسبة.

- الديوان الوطني لمكافحة الفساد الذي أمر بالتعجيل بتنصيبه رئيس الجمهورية في السنة الفارطة، لكن لم يتم ذلك لحد الآن في غياب المتابعة .

- الهيئة الوطنية المركزية للوقاية ومحاربة الفساد والمقررة بموجب القانون الصادر في 20 فيفري 2006 والتي لم تبدي أي مستجدات بهذا الشأن .

- المفتشية العامة للمالية (IGF) كهيئة لمراقبة شروط إنفاق المال العام وآليات تنفيذ الصفقات العمومية .

في ظل تنامي وتفاقم هذه الظاهرة بالجزائر ومن خلال الآثار الوخيمة المترتبة عنها (تتكبد الجزائر 10 ملايير دولار سنويا) [1] ومن خلال ما هو متوفر من أجهزة وتنظيمات رقابية لمواجهة الفساد، يظهر لنا أن الخلل يكمن في غياب الإرادة السياسية التي ترعى وتحرك الأجهزة الرقابية لاستئصال الظاهرة .

3- مشاركة المواطن في صنع القرار على المستوى المحلي

من بين أهم القنوات التي من خلالها يمكن للمواطن أن يشارك مشاركة فعالة في صنع القرار نجد المجتمع السياسي والمجتمع المدني، فالمجتمع السياسي يختار من خلاله المواطن ممثليه عن طريق الانتخاب، فيزكيهم ويعطيهم الشرعية التي تضعهم في مختلف المستويات العمومية للسلطة لتمثيله والتكلم بصوته والدفاع عن حقوقه بنزاهة وشفافية، أما بالنسبة للمجتمع المدني فبعد أن يزكي ممثليه المحليين (APC,APW) تبقى الحاجة إلى قناة أخرى تسمح له بالبقاء على اتصال دائم بهم لإبلاغهم بمطالبه المتجددة والمتغيرة كلما اقتضى الأمر ذلك .

- ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948 على أنه "لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية، وأنه لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة للبلاد إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختيارا حرا، ويحق لكل شخص أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته[2]"، كما أن دستور سنة 1996 ينص كذلك على مشاركة المواطن، حيث تنص المادة 16 من دستور 1996 :"يمثل المجلس المنتخب قاعدة اللامركزية، ومكان مشاركة المواطنين في تسيير الشؤون العمومية ."

- ينص كل من قانون البلدية والولاية على أنه يمكن لأي شخص بحكم اختصاصه تقديم معلومات لأشغال لجان المجالس المحلية المنتخبة إذا أراد رئيس اللجنة الاستفادة من خبراته يظهر من خلال تحليل ما سبق ذكره أنه يمكن للمجتمع المدني أن يشارك في صنع القرار على المستوى المحلي إذا أرادت السلطات المحلية إشراكه في العملية[3]، لكن هذا غير كافي إذا لم تشارك المكونات الأخرى للمجتمع المدني مثل الجمعيات الثقافية، الاجتماعية أو الرياضية في اتخاذ القرار.

1-3 المفاهيم الرئيسية في مجال تنمية المجتمع

---

[1] – مؤسسة سوسياد وجريدة الشروق ، الملتقى الدولي الأول "حماية المؤسسات والشركات من ظاهرة الرشوة"، يوم 6و7 جوان 2010 .

www.echoroukonline.com

[2] – المواد 20–21– 23 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المؤرخ في 10 ديسمبر 1948 .

[3] – القانون 10–11 المتضمن قانون البلدية و القانون 12–07 المتضمن قانون الولاية .

تعتبر تنمية المجتمع من الناحية النظرية بمثابة التنظيم الهادف لجماعات المجتمع الذين يتأثرون بمشكلات مشتركة، وعن طريق التسهيلات والتوجيه يمكن تنمية الموارد المجتمعية وفقا لمبدأ المساعدة الذاتية، وذلك بهدف تنمية القيادة المحلية وتحقيق الرفاهية في المجتمع[1]، وذلك عن طريق برامج تؤدى على مستوى الجيرة، أو المدينة أو المنطقة الريفية، أو بين جماعات من الناس يرتبطون برباط الاهتمام المشترك[2] .

وفي ضوء هذا المفهوم النظري، يمكن أن نحدد على وجه الخصوص المفهوم الإجرائي لتنمية المجتمع على الوجه التالي :

- تعني تنمية المجتمع تعديل ظروف الحياة بشكل أفضل داخل الوسط المحلي (مدينة، قرية، شارع وحي) بوصفها مجتمعا محليا وتنهض عملية التنمية على وجود جماعات منظمة من داخل المجتمع .

2-3 أشكال ومستويات مشاركة المواطن

ا- **المشاركة غير المباشرة للمواطن :**

ويقصد بها انتخاب مجموعة أشخاص من طرف الشعب على المستوى المحلي، بحيث تعمل هذه الهيئة المنتخبة على تحقيق مطالب المواطنين، تتحقق فاعلية المشاركة الانتخابية للمواطن من حيث أن نتائجها تنعكس مباشرة على تلك العلاقة التي تنشأ فيما بين الناخبين والمنتخبين عقب سير العملية الانتخابية .

ب- **المشاركة المباشرة للمواطن :**

ويقصد بها التدخل المباشر للمواطن لتوجيه تسيير الشؤون المحلية لخدمة مصالح المواطنين بصفة عامة، ويتجسد ذلك في الحوار والاتصال المباشرين بين المواطن وممثليه أو بين المواطن والإدارة كأن يشارك في اقتراح مشاريع معينة أو طرح بديل لبعض المشاريع المبرمجة من قبل اقتراح تقنيات جديدة لإضفائها على التسيير المحلي .

لكن المشاركة المباشرة لا تتم من قبل كل مواطن على حدا بل تكون في إطار ما يعرف بالمجتمع المدني الذي يتضمن جمعيات ثقافية، رياضية، بيئية، دينية وعمرانية .

إن مشاركة المواطن قد تعطل السير الحسن للجماعات المحلية إذا لم تضبط ببعض القواعد وهي :

- الأخذ بعين الاعتبار المشاركة الفردية والجماعية وذلك من خلال انضمام المواطن إلى الحركات الجمعوية .
- يجب ألا تتعدى مشاركة المواطن على المصلحة العامة المرجوة، بحيث ينبغي أن ينحصر تدخل الدولة في الأمور التي تعود بالمصلحة العامة .
- ضرورة وجود سياسة اتصال بين الإدارة المحلية والمواطن وذلك بإجبار الإدارة المحلية على خلق قنوات للاتصال مع المواطنين من أجل تزويدهم بالمعلومات الضرورية التي تمكنهم منم المشاركة الفعالية وبالمقابل على الإدارة الأخذ بآراء المواطنين من خلال مشاركتهم .
- توعية المواطنين من خلال إبراز أهمية المشاركة .

---

[1] - Elizabeth Ferguson , Social Work , An Introduction ,J.B. Lippincott Company ,N.Y , 1972 , P 477

[2] - Tony Tripodi , Social Workers At Work ,(An Introduction to Social Work Practice), Peacock ,Itsaco , Illinois 1972 , P 111 - 112

3-3 تفعيل آليات المشاركة المحلية [1]

يتعلق مبدأ المشاركة الشعبية بشقيها السياسي والتنموي وذلك من خلال مشاركة المواطنين المحليين في عملية اتخاذ القرارات المحلية من خلال انتخاب أعضاء المجالس الشعبية المحلية وكذلك المشاركة في تنفيذ المشروعات والأعمال التي تسهم في مجالات التنمية المحلية المختلفة .

ويفترض هذا البديل كذلك وجود جمعيات غير حكومية بجانب النظام الحالي تعاونه في أداء وتوصيل الخدمات المحلية والاضطلاع بمهام التنمية المحلية ويتطلب هذا الاتجاه مجموعة من المقومات الأساسية على النحو التالي :

أ- تشجيعه وتنمية الشعور المحلي للمشاركة السياسية والتنموية وذلك بتدعيم أعمال المؤسسات المحلية المنتخبة والربط بين سياسات التنمية على المستويات المركزية .

ب- الاهتمام بالتطوير الإداري والبناء المؤسسي لجمعيات التنمية المحلية لتدريب العاملين والمتطوعين بها على أساليب الإدارة الحديثة .

ج- تنازل المؤسسات الرسمية تدريجيا عن بعض الاختصاصات والسلطات لهذه الأجهزة وكذلك بعض الموارد المحلية لأداء بعض الخدمات المحلية .

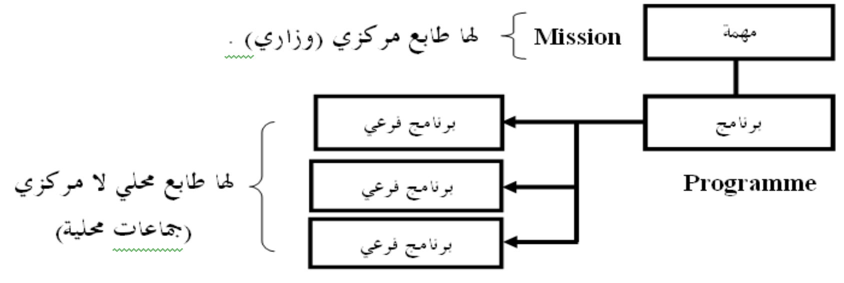
د- إعادة فكرة اشتراك المستفيدين من الخدمات في إدارة الخدمات كمجالس الجمعيات التعاونية، الجمعيات الدينية، والرياضية، الجمعيات النسوية .

4- إصلاح الجانب المالي

1-4 الجانب الميزاني

باعتبار أن الميزانية هي الأداة المستعملة لتجسيد تدخلات الدولة وتنفيذ السياسات العمومية سواء على المستوى الكلي المركزي (ميزانية الدولة) أو على المستوى المحلي (ميزانية الجماعات المحلية)، ومع تطور دور الدولة في نظام اقتصاد السوق أصبح من الضروري تحديث نظم الميزانية المعمول بها بما يتماشى وتحقيق فعالية أكبر.[2]

شكل يبين مخطط الميزانية الجديد



[1] – محمّد خالد المهايني ، جامعة دمشق اليات حماية المال العام والحد من الفساد الإداري المنظمة العربية للتنمية الادارية 2009 ، ص320 – ورقة عمل مقدمة في الملتقى العربي الثالث بعنوان "آليات حماية المال العام والحد من الفساد الإداري" المنعقد في الرياط – المملكة المغربية ، مايو 2008 .

[2]- budget de l’Etat et finance publique , cahiers français n° 329. la documentation française, p 11.

من خلال هذا التوجه الجديد للميزانية يتضح لنا انتقال الميزانية من ميزانية الوسائل إلى ميزانية النتائج، فالنظرة إلى اعتماد الميزانية تصبح أكثر واقعية باعتبارها تعكس هدف ونتيجة معينة ملموسة (خدمة أو سلعة) وليس مبلغ نفقة محدد .

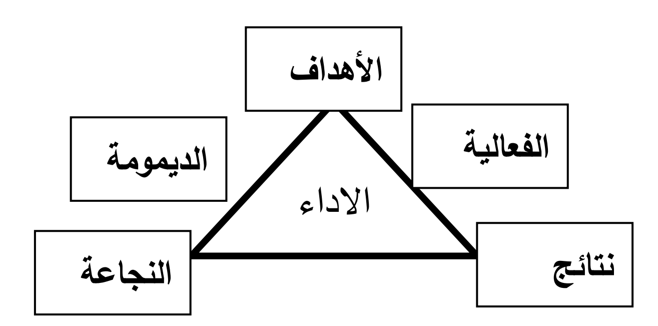
فالمنتظر من الميزانية المحلية (الأداء) يقاس انطلاقا من خلال العلاقة بين الوسائل، الأهداف، والنتائج .

- فالعلاقة بين الوسائل والنتائج تقيس لنا النجاعة L'Efficience والتي هي : [1] استغلال الوسائل وتنفيذ المهام والوظائف العمومية حسب الأولويات

- أما العلاقة بين الوسائل والأهداف تقيس لنا درجة الفعالية L'Efficacité والتي تمثل الإستغلال الأمثل للوسائل (النفقات الملتزم بها) للحصول على أفضل النتائج .

- أما العلاقة بين الأهداف والوسائل فتقيس لنا مدى الديمومة La pertinence وهي تمثل مدى توفير الوسائل اللازمة لتحقيق الأهداف المرجوة .

والشكل التالي يوضح لنا العلاقات الثلاث :[2]



فالأهداف والوسائل تصب في قالب واحد وهو الأداء .

<u>البرنامج</u>: هو توليفة بين الوسائل والأهداف، وتقييم تأثير كل منهما على الآخر. وكذا، التكاليف المباشرة وغير المباشرة والآثار المترتبة عنها، وقياس البرامج يكون من خلال قياس النتائج والأهداف المسطرة مسبقا. وينقسم البرنامج إلى برامج فرعية لها طابع لامركزي .و يتم اختيار البرنامج وتقييمه من خلال تحليل تكاليفه وعائداته ومقارنتها، وتقديم الميزانية في شكل برامج يعني أن معلومات الميزانية ستجمع على حسب غايات مشتركة، تحقق عادة على المدى المتوسط (الطابع المتعدد السنوات للبرنامج)

و كمثال لتجسيد هذه الفكرة في الميزانية نأخذ مثال مقترح في إطار مشروع تحديث النظام الميزاني للحكومة الجزائرية، والذي يتعلق بإعداد الميزانية في شكل برنامج، ويكون ذلك كالتالي:

اسم الوزارة : وزارة التعليم الوطني .

اسم البرنامج : التعليم الأساسي .

---

[1] - Bernard Dafflon " la gestion des Finances publiques locales " Economicas , Paris 1998 , p 55 .

[2] - Fabrice Robert , "Les FS locales ", La documentation Française 2008 , p 166 .

اسم البرنامج الفرعي : إصلاح مؤسسات التعليم الأساسي (هو قطاع تابع للبلديات) .
اسم النشاط : جرد الوسائل التي يتم نقلها من الابتدائي إلى المتوسط .
الأهداف الإستراتيجية للنشاط : تقليص تكاليف الإصلاح .
أما **الهدف**: فهو النتيجة المرجوة من برنامج ما، ويشترط في أن يكون قابلا للقياس ومحدد الآجال وعادة ما يكون في شكل إعلان يشرح ما ينبغي تتبعه ويشرح معايير تقييمه.

2-4 ضمان الشفافية وتفعيل دور الرقابة

أما بالنسبة لقانون ضبط الميزانية (بالنسبة لقانون المالية) فإنه في إطار الإصلاح لابد من وظيفته الأساسية (رقابة فعلية) وذلك بتطبيقه العملي، ونحن نعلم أن قانون ضبط الميزانية المتعلق بالسنةN (حسب المادة 68) يجب أن يرفق قانون المالية لهذه السنة بمشروع لقانون المتضمن ضبط الميزانية N-3، إذن من أهداف الإصلاح تقليص هذه المدة باستخدام الإعلام الآلي والوسائل المتطورة التي تسمح بالاطلاع على نتائج الميزانية بسرعة كبيرة.

خاتمة

إن رغبة المواطن في تحسين ظروفه المعيشية تفرض عليه البحث عن ما يخدم مصالحه ويسهل تعاملاته باعتباره محرك كل عملية تنمية، فقربه من المسؤولين المحليين والمصالح المحلية غير المركزة يفرض عليه معرفة كل ما يحيط به بدءا من مخططات وبرامج التنمية المحلية والميزانية المحلية وصولا إلى محاسبة المسؤولين المحليين ومساءلتهم عن مدى صحة صرف المال العام،إلا أن قلة وعي المواطن بحقوقه وجهله لواجباته أسهم إلى حد كبير في انتشار مظاهر الفساد بكل معانيه، على غرار إدراك المواطن لمختلف قرارات ومحتويات المداولات التي تتم على مستوى المجالس الشعبية والتي من خلالها تمرر أهم القضايا التي تهم وتمس المواطن المحلي والتي يمكن أن تجعل منه طرفا هاما في تحديد وتسيير توجهات وتطلعات الوحدات المحلية (الولاية والبلدية)، كإعداد وتنفيذ والتصويت على مختلف مراحل الميزانية إضافة إلى المناقصات التي تتم على مستوى الجماعات المحلية وغير ذلك من الانشغالات، من هنا كان من الضروري البحث عن كل ما من شأنه توطيد وتدعيم العلاقة بين المواطن والمجالس الشعبية المنتخبة، فكان الحكم الراشد النهج الاستراتيجي الذي يجعل الجماعات المحلية أقرب إلى تحقيق الإصلاح العميق والشافي لكل ما يمكن أن تواجهه من صعوبات، فمن خلال المعايير والخصائص التي يعتمد عليها الحكم الراشد، يتضح الخلل الحاصل في الجماعات المحلية، فكل مشكل تعاني منه الجماعات المحلية إلا ويقابله عدم احترام مبدأ من مبادئ الحكم الراشد وعلى هذا الأساس فإن إصلاح الجماعات المحلية يستدعي التطبيق الصارم لعناصر ومستلزمات الحكم الراشد بما فيها المشاركة الشعبية، المساءلة، الشفافية وتطبيق القانون .

المراجع :

اللغة العربية

1. أحمد فتحي أبو كريم " الشفافية والقيادة في الإدارة "، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن 2008.
2. حمدي عبد الحارس البخشونجي "التدخل المهني في مجال تنمية المجتمعات المحلية" المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر .

3. سمير محمّد عبد الوهاب " الاتجاهات المعاصرة للحكم المحلي والبلديات في ظل الأدوار الجديدة للحكومة "منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2009 .

4. علي الصاوي " دور المجالس العربية في محاربة الفساد" كتاب دور البرلمانات في مكافحة الفساد، منظمة برلمانيون عرب ضد الفساد ط1، برانت شوب، لبنان،2005.

5. مصطفى الجندي " الإدارة المحلية وإستراتيجيتها" منشأة المعارف بالإسكندرية - مصر 1987

6. محمّد طعامنة، - هدى العزاوي " اقتصاديات المالية العامة "، دار المسيرة - الأردن، ط1، 2007 .

7. لحسن كريم : الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية، مقال بعنوان مفهوم الحكم الصالح، مركز دراسات الوحدة العربية مع المعهد السويدي بالإسكندرية، ط1، بيروت، ديسمبر 2004 .

المجلات :

1. عماد الشيخ داود"الشفافية ومراقبة الفساد"، مجلة الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية .

2. عادل رزق :"الإدارة الرشيدة،الحكم الجيد أو الحوكمة " مقال منشور بمجلة المنظمة العربية للتنمية الإدارية، الإدارة الرشيدة، الإصلاح الإداري والمالي، 2009، مصر.**الملتقيات:**

1- جون تايلور، مداخلة في مؤتمر" الحكم الصالح من أجل التنمية في الدول العربية "، 6 فيفري 2005 على الموقع:.www.OCDE.ORG .

2- زينة حلمي "المجتمع المدني العربي " تقييم التأويلات وتعيين التحديات شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية بالتعاون مع مؤسسة هينرخ بُل - مكتبة الشرق الأوسط، سبتمبر 2004،.www. Boel-meo.org

3- مؤسسة سوسياد وجريدة الشروق، الملتقى الدولي الأول "حماية المؤسسات والشركات من ظاهرة الرشوة"، يوم 6و7 جوان 2010 .www.echoroukonline.com

4- الأخضر عزي، غالم جلطي :"قياس قوة الدولة من خلال الحكم الراشد" (إسقاط على التجربة الجزائرية) .http://www.uluminsania.net/a34.html

ورقة عمل مقدمة في الملتقى العربي الثالث بعنوان "آليات حماية المال العام والحد من الفساد الإداري" المنعقد في الرباط - المملكة المغربية، مايو 2008 .

5- مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني،" زيادة المستوى المعرفي واحترام الشباب الأردني لسيادة القانون " الأردن www. Hayatcenter.ORG .

المؤتمر الدولي المعني بتمويل التنمية،" المائدة المستديرة الأولى بشأن حشد الموارد المالية المحلية من أجل التنمية "، الدوحة، قطر، 29 نوفمبر 2008 http://www.un.org/esa/ffd/Doha

القوانين والتشريعات :

1- الأمر رقم 95-20، والمرسوم الرئاسي رقم 95-377 المؤرخ في 20 نوفمبر 1995 المحدد للنظام الداخلي لمجلس المحاسبة .

2- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المؤرخ في 10 ديسمبر 1948 .

3- القانون 10-11 المتضمن قانون البلدية والقانون 12-07 المتضمن قانون الولاية .

اللغة_الأجنبية .

1- Bernard Dafflon " la gestion des Finances publiques locales " Economicas , Paris 1998.

2- Elizabeth Ferguson , Social Work , An Introduction ,J.B. Lippincott Company ,N.Y , 1972.
3- Mohamed SBIHI , "La gestion des Finances communales" , BABEL distribution , Rabat 1976 .
4- Tony Tripodi , Social Workers At Work ,(An Introduction to Social Work Practice), Peacock ,Itsaco , Illinois 1972 .

Revues et rapports

1- Rapport de L'OCDE , les orientations de la participation au développement et la bonne gouvernance. www.OCDE.com
2- Rapport , Commission Economique pour l'Afrique et centre (ECA) de développement , sous régionale , 2002 Addis Ababa , Ethiopie
3- Fabrice Robert , "Les FS locales ", La documentation Française 2008.
4- budget de l'Etat et finance publique , cahiers français n° 329. la documentation française,

الشباب الجزائري بين هشاشة التكوين النفسي وتحديات المواطنة

د. زقار رضوان

المركز الجامعي لتمنراست- الجزائر

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية الشباب في المجتمع، وإلى ضرورة الاهتمام بهم من خلال توفير الإمكانيات التي تسمح لهم باستثمار قدراتهم إلى أبعد مدى، على اعتبار أن تحضر وتطور كل مجتمع مؤسس على قوة البناء النفسي لشبابه. منذ الطفولة يتعين إدماج الفرد في سياق التنشئة الاجتماعية المتجسد في مؤسسات المجتمع المدني، وتوفير الظروف التي تسمح له بإشباع حاجياته واستثمار مواهبه ومعرفة حقوقه وواجباته، بغية تنمية روح المواطنة لديه، لأن الفشل في ذلك يقود إلى بناء غير متماسك لدى الشاب ويصعب عليه مواجهة تحديات المواطنة.

يستعمل مفهوم المواطنة للتعبير عن العلاقة التي تربط الفرد(الشاب) بالدولة التي يعيش فيها، وتضبط هذه العلاقة حقوق وواجبات كل طرف. توفر الدولة مثلا شروط الحياة الضرورية للمواطن، وهو بدوره يؤدي التزاماته التي أنيطت به، مما يجعل العلاقة بين الطرفين تكاملية إلى حد كبير، بحيث أن كل طرف يأخذ ويعطي في إطار هذه العلاقة مما يعبر عن الرشد، وما يؤديه من دور في تنمية روح المواطنة، فالشاب الناضج يتحمل مسؤولياته عن طيب خاطر، بينما يعاني من لديه هشاشة في التكوين النفسي من الفشل في تحمل مسؤولياته.

تسمح الملاحظة بالمشاركة في مجتمعنا بمعاينة العديد من الظواهر التي لا تتماشى وروح المواطنة فحسب، وإنما تجعلنا نتساءل عن مدى بلوغ النضج لدى الشاب الجزائري، ووعيه بالتحديات التي تفرضها عليه مستجدات الحياة. رغم الجهود الكبيرة المبذولة من طرف المجتمع في سبيل مساعدة الشاب على بناء ذاته، إلا أننا نعاين العديد من المظاهر التي تعكس هشاشة في التكوين النفسي وتعمل على إجهاض روح المواطنة: التعدي على الملك العمومي، تعاطي وإدمان المخدرات، البطالة، تقبل الفساد، العنف والهجرة غير الشرعية، وضعف الشعور بالانتماء والغزو الثقافي، هي في نظرنا علامات توحي بفشل البناء النفسي عند البعض، وتجعل النجاح في مواجهة تحديات المواطنة محل تساؤل.

Summary: Algerien youth between fragility of psychological construction and citizenship's challenges.

The aim of this communication is to indicate the importance of youth in the process of development in all nations. For this raison we have to take care of them to prepare all conditions that enable them to take profit from all possibilities society provide, and develop to the peak their abilities and talents. This is what makes a real change and sustainable development. We use generally the concept of citizenship to determine the relationship between youth(individuel) and community on the basis of rights and duties. From

psychological point of view, we prefer the concept of adulthood which means psychological maturity.

In Algeria, in spite of considerable efforts done by the community to the benefit of youth, fruits still under projected objectives. When psychological construction is fragile, this may lead to different forms of troubles and threatens the sense of citizenship: toxicomania, unemployment, violence, corruption are signs which reflect that the process of individuation is weak and that sense of citizenship faces difficulties.

Through controlable signs by using the technique of observation, the author tries to display that the sense of citizenship faces different dangers if the society doesn't make the necessary tools to avoid such threats. On the other hand, it is the role of society to preserve youth on which depends its progress.

Key words : citizenship, adulthood, youth, psychological construction.

يشكل الشباب بالنسبة لكل مجتمع رأس مال بشري هام، لا بد من إدراجه في كل مخطط اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي، يهدف إلى الرفع من المستوى الحضاري للأمة. إنه خزان الطاقة البشرية التي بدونها لا يستطيع أي مجتمع أن يتحرك في اتجاه البناء والتشييد، وعندما يتلقى الشباب التكوين والتحضير الذي يتناسب مع مواهبه، فذلك من العوامل الأساسية التي تسمح بتقدم المجتمع ورقيه. قبل الثروات الطبيعية والموارد المنجمية والمحروقات وحتى الطاقات المتجددة التي تسعى العديد من المجتمعات للتحكم فيها حاليا، يعتبر الشباب الرهان الحقيقي لكل مجتمع ينشد التغيير نحو الأحسن، فهو جوهر الطاقات المتجددة التي تعتبر ركيزة التنمية المستدامة، والاستقلالية في كل ما تطمح إليه الأمة من ازدهار، ولذلك فقد صدق من قال أن "الشباب عماد الأمة"، فهم بحق الركيزة التي يبنى عليها صرح المجتمع الراقي.

وتمثل مرحلة الشباب فترة الخصوبة التي تسمح بالإنتاج وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مختلف المجالات، ولذلك فإن الاهتمام بها يعد أكثر من ضرورة، إنه من أولويات كل بلد همه الأكبر أن يلتحق بالركب الحضاري والأمم العظمى، وعليه فعلى المجتمع تعود المسؤولية الكبرى في الأخذ بيد هذه الشريحة نحو الرشد وبث روح المواطنة فيها، مما يسمح للمجتمع بالاستفادة من الطاقات والمواهب المتنوعة لشبابه. تمثل هذه الشريحة العنصر الأساسي في محرك العصرنة، وهي حجر الزاوية في كل بناء منشود، كما تعتبر الحلقة التي تربط عالم الأطفال الذين تنقصهم القوة والمعرفة، وعالم الكهول الذين تبدأ قواهم في التلاشي. وقد عرفت الأمم المتحضرة أهمية هذه المرحلة النمائية فهيأت لها كل ما يلزم، فهي تجني ثمار أبنائها، وثمار مواهب دول أخرى لم تعرف كيف تستثمر شبابها. في حين، لا يزال مغيب على المجتمعات المتخلفة تهيئة الظروف التي يتطلبها شبابها، فنراها تفشل في بناء مؤسسات المجتمع المدني، وتخسر معركة الحضارة، فهي تستثمر الكثير من جهدها ومالها في أبنائها في مرحلتي الطفولة والمراهقة، حتى إذا قوي عودهم واقترب وقت جني ثمارهم، إذا هم تتخطفهم المجتمعات القوية بما تقدمه من إغراءات وإمكانيات، فتجني ثمارهم بدل مجتمعاتهم الأصلية، التي تجني الخيبة والخسران جراء الخطأ الذي ترتكبه في حق شبابها، عندما لا تهتم بإعدادهم وتكوينهم وتهيئة الظروف لهم.

تبذل في الجزائر جهود جبارة، خصوصا من الناحية المادية والهيكلية، في ميدان التربية في الأطوار المختلفة للتعليم، والتكوين المهني والتنمية بشكل عام، لكن المردود من وراء كل هذا لا يزال لم يرق إلى مستوى الاستثمارات المبذولة لصالح الشباب. لا تزال المحروقات هي المصدر الرئيسي في مداخيل البلاد، مما قد يشير إلى أن بلوغ الرشد في مجتمعنا المدني لم نصل إليه بعد، وأن الاستهلاك يطغى على الانتاج في العديد من القطاعات. في الحالات التي يبلغ فيها الشاب رشده بما يكفي، قد يجد أن مجتمعه لا يتلاءم مع مستوى نضجه، فيضطر للهجرة ويفضل الاندماج في مجتمع آخر يلبي أكثر حاجته في الرشد والمواطنة معا. ولما يتفطن الشاب إلى الثغرات التي تعتري منظومة القيم في مجتمعه، فهذا قد يسهل عليه الانحراف، ويعيقه عن بلوغ الرشد.

إن المتأمل في ديناميكية الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري، وفي الميكانيزمات التي تحرك مؤسسات المجتمع المدني لينتبه إلى العديد من السلوكات التي لا تخدم تنمية روح المواطنة، وإنما تعرقل الأفراد في مواجهة تحدياتها، وتعمل على تحطيم مقوماتها، وإضعافها وإضاعة القيم التي تقويها. تسمح الملاحظة بالمشاركة بمعاينة العديد من السلوكات المضادة للمجتمع كالانتهازية والأنانية، وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، والولاء للعصبة بدل احترام القوانين التي تحكم مؤسسات المجتمع المدني. لا تساعد العناصر السابقة على النمو الفردي والاجتماعي السوي، وإنما تترك ثغرات في بناء الفرد من الناحية النفسية والاجتماعية، وتعيق الشاب عن بلوغ الرشد، وتكون بمثابة عراقيل في مواجهة تحديات المواطنة.

تظهر الصورة متكاملة إذن، فيما يخص علاقة الحياة النفسية الداخلية للشاب بتحقيق السواء في النفس، والانسجام مع مؤسسات المجتمع المدني. فالشاب مسؤول عن المساهمة في تطوير مؤسسات المجتمع المدني الذي يحتضنه، وهذه الأخيرة مطالبة بتهيئة الظروف التي تسمح للشاب باستغلال قدراته وإمكانياته، ومتى قصر طرف في حق آخر، فإن ذلك يجعل نمو روح المواطنة يتعثر أو يضطرب، ويؤثر ذلك سلبا على المجتمع ككل. هكذا إذن، تُسخر الجزائر إمكانيات ضخمة لصالح الشباب في مختلف القطاعات(الرياضة، التربية والتعليم، التكوين المهني، التشغيل...)، هادفة إلى تحقيق التنمية والتقدم، ومع ذلك فإن المردود من وراء هذا الاستثمار دون القدر المطلوب. فما هو سر هذه الظاهرة الغريبة، التي تجعل المجتمع يستثمر أكثر في شبابه، ولكنه يجني القليل منهم؟ وما سر لجوء الشباب إلى الانغماس في مخاطر التشتت بدل اغتنام التسهيلات المقدمة له من طرف مجتمعه في سبيل خلق الثروة وبلوغ النجاح؟

1. الشباب والرشد

إن الغاية من التطور البشري عموما تكمن في بلوغ الرشد الذي يتطلب تحمل المسؤولية، والاضطلاع بالواجبات المختلفة التي تتطلبها الحياة. وعندما ينضج الكائن البشري يصبح قادر على الاضطلاع بالمهام المنوطة به، نتيجة التأهيل الذي حققه، ودرجة الحرية النفسية التي وصل إليها، وما تمنحه للإنسان من إرادة في الحياة، وتؤهله لتأدية دوره الفعال في المجتمع الذي يعيش فيه. إذا كان بلوغ الرشد مسار طبيعي بالنسبة للكائن البشري، فهذا لا يعني أن كل فرد ينجح في الوصول إليه، إذ يجب أن نميز هنا الرشد بالمعنى القانوني أو الاجتماعي للكلمة، والذي يمكن أن يبلغه أي إنسان عندما يصل إلى سن معينة، والرشد النفسي الذي يمثل غاية الانسجام مع النفس والمجتمع معا، والذي قد لا يبلغه الانسان حتى المماة. يبلغ الانسان الرشد

عندما يكتشف نفسه ويتعرف على موارده وقدراته فيتقبلها ويستثمرها، ويتعلم تسيير نزواته في إطار البيئة التي يعيش فيها. القدرة على التحكم في الذات تعطي الفرد الثقة في نفسه، وتسمح له بالاعتماد عليها في مواجهة تحديات الحياة والمواطنة معا، وهذا ما ينعكس أيضا من خلال تحمل المسؤولية وتأدية الإلتزامات عن طيب خاطر، والكفاح المستمر من أجل ضمان الحقوق.

في إطار الرشد، يقع على كاهل الشباب مسؤولية خدمة وطنهم الذي ضحى رجاله الكثير في سبيل أن يجعلوا شبابهم أقوياء من الناحية الجسدية والعلمية والمهنية، وعلى الشباب أن يقدر الجهود المبذولة من طرف المجتمع لصالحه، ويحافظ على موارد الأمة وثروتها وكل الإمكانيات التي تضعها بين يديه، وفي نفس الوقت عليه أن يتوقف عن النظر إلى ما يتمتع به شباب المجتمعات المتقدمة نظرة أخذ وتطفل، بل يجب أن ينظر نظرة رشد، فيساهم في إعلاء صرح الحضارة البشرية، فيطور ويجدد، ويستثمر بصورة مثلى ما بين يديه من وسائل وإمكانيات تسمح له بتطوير مهاراته واكتساب الخبرة الضرورية لكل نجاح. إن هذا لهو الضامن الأكيد في بناء مستقبل واعد ورقي أصيل.

لقد وفرت الدولة الجزائرية العديد من الفرص، منها: الدعم الفلاحي، دعم البناء الريفي، أجهزة التشغيل المختلفة(الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب...) والقروض البنكية، التي تسمح لهم بتحقيق الاستقلالية والاندماج في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وبالفعل فقد نجح كثير من الشبان في ذلك فأنشأوا مؤسسات صغيرة أو متوسطة، في مختلف مجالات الحياة، ولم يتمكن البعض منهم من كفاية ذاته فحسب، وإنما راح أبعد من ذلك عندما شغّل شبان آخرين معه، فساهم بذلك في التخفيف من حدة البطالة في المجتمع وتمكن بنجاحه من إعالة العديد من أسر المجتمع. غير أن هذه النماذج التي تعكس لنا قوة البناء النفسي وبلوغ الرشد في المجتمع ليست كثيرة، بالنظر إلى كبر شريحة الشباب في مجتمعنا، وكذا الامكانيات الضخمة، وخصوصا المادية منها، التي سخرت لصالح الشباب. بعضهم دخل في مشاريع غير منتجة نتيجة قلة التكوين والتأهيل، وعجز آخرون عن تسديد مستحقاتهم المالية تجاه البنوك. في حين يرى بعضهم أن هذا نصيبهم من الثروة النفطية، فهم يتملصون من تسديد ديونهم للبنوك، أو يتجمعون للضغط على الجهات المسؤولة لإجبارها على مسح ديونهم.

هكذا، تظهر النتائج في نظرنا دون المستوى المطلوب، بالنظر إلى حجم الاستثمارات المادية والاجتماعية التي تم رصدها لصالح الشباب. ذلك أن الاهتمام بالجانب المادي على حساب الجانب النفسي والتربوي والتكويني هو الفخ الذي وقع فيه نظامنا الاجتماعي في نظرنا. لقد انحرفنا منذ مدة، واتجهنا للاهتمام بالكم على حساب النوعية، وبالمادة على حساب القيم، فتسارع البعض لتحصيل مال مغشوش أو لقب زائف، وغيبنا عن وعي أو عن غير وعي القيم الإنسانية التي تعتبر من المقومات الأساسية للمواطنة والنجاح عموما. مشاريع كثيرة اقترحت على الشباب من أجل مساعدتهم على بناء مستقبلهم والمساهمة في بناء مجتمعهم، غير أن هذه التسهيلات كثيرا ما تم التعامل معها بنوع من الانتهازية والصبيانية التي تعكس هشاشة التكوين النفسي عند شريحة معتبرة من الشباب. يُحَول البعض القروض الاستثمارية ومبالغ الدعم والتسهيلات إلى أشكال مختلفة من طرق الاستهلاك: السياحة في الخارج، شراء سيارات سياحية، وأحيانا في إشباع غير سوي لشهوات البطن والفرج. في إطار الدعم الريفي للبناء مثلا، يفكر أحدهم بوضع أساس وهمي

لبناء بيت، للحصول على إعانة الدولة، حتى إذا حصل له ذلك، أخذ المال وتخلى عن البناء. يلهث آخر للحصول على أشجار لغرسها واستثمارها، حتى إذا حصل الغرس وأُخذ المال عن كل شجرة، تخلى عن النشاط وترك الشجيرات تلاقي الجفاف، ثم الموت، ولعله وجد لذلك تبريرات مختلفة. إن عدم تحمل المسؤولية والنكوص بمجرد ظهور صعوبات بسيطة في الطريق، لهو من أكبر المؤشرات على هشاشة التكوين النفسي لدى الفرد. وعندما لا تواجه هذه السلوكات بمواقف صارمة من طرف المجتمع، سواءا بالإرشاد أو القمع، فإن المرض يستفحل وينتشر أكثر فأكثر، وتصبح المسؤولية متبادلة بين الطرفين: الشاب والمجتمع، وتصبح هنا إذن هشاشة الأفراد معول هدم لسياق المواطنة والتنمية معا.

2. الشباب وتحديات المواطنة

يعود مفهوم المواطنة عموما إلى بدايات تشكل مفهوم الدولة، وذلك للإشارة إلى العلاقة التي تربط بين المواطن ومؤسسات المجتمع المدني(المؤسسات الرسمية، الأحزاب السياسية، الجمعيات...) التي تلعب دورا أساسيا في تنمية روح المواطنة، إذ يمكن تعريفها: "باعتبارها العضوية الكاملة في دولة أو بعض وحدات الحكم... والمواطنون لديهم بعض الحقوق مثل حق التصويت وحق تولي المناصب العامة وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم"(ليلة،78،2007). وبهذه الصورة فإن المواطنة ترتبط بحق الإنسان في الحصول على مزايا اجتماعية وسياسية مقابل قيامه ببعض الواجبات التي تضمن استمرارية المجتمع، وذلك من خلال الدعم الاقتصادي والأمني الذي يقدمه الفرد للمجتمع. هكذا تظهر المواطنة كعقد مبرم بين الدولة، ممثلة في مؤسسات المجتمع المدني، والمواطن، من أجل خدمة بعضهما البعض في إطار تكاملي.

كما يشير مفهوم المواطنة إلى مشاعر الانتماء التي يحس بها الفرد اتجاه الوطن الذي يعيش فيه، وكذا فهمه لحقوقه وواجباته، ويقوم على الإحساس بالعدالة والمساواة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، والتمتع بروح المشاركة واتخاذ القرارات بشكل جماعي، كون الشعب مصدر السلطات، إضافة إلى الاحترام المتبادل بين المواطنين، بغض النظر عن العرق والجنس والثقافة، والاعتدال والتوازن في السلوك والعمل واحترام الأقليات والاختلاف والتنوع الثقافي(جرار، 2011، 42-46). تنمية روح المواطنة يتضمن إذن بعث الشعور بالانتماء، ويفترض أن يكون هذا الإحساس نابع من عمق الانسان، وعندما يؤدي الفرد واجبه أو يطالب بحقه فهو دائما يحرص على أن يقوم بهما على أكمل وجه، وفي إطار ما تقتضيه المواطنة.

في مجتمع كالجزائر، حيث يمثل الشباب نسبة معتبرة من مجموع السكان العام، تظهر أهمية تنمية روح المواطنة لدى الشباب، إذ بدونها نشهد هدرا للطاقة البشرية بمختلف أشكالها، كما أن المواطنة دون شباب يعني كف لديناميكية الحياة الاجتماعية، ولذلك فإن نجاح مؤسسات المجتمع المدني مرتبط إلى حد كبير بمدى متانة التكوين النفسي ونماء روح المواطنة لدى الشباب. كما أن توجيه وتسيير الطاقات الشبانية المختلفة في اتجاه الرشد يساهم بدوره في بناء الهوية وربط الشاب بقيم ومباديء المجتمع الذي يعيش فيه.

يبرز الشعور بالانتماء كمقوم للمواطنة لدى الشباب في مجتمعنا جليا، خصوصا في بعض المباريات الكروية الهامة، وتصفيات كأس العالم لكرة القدم، أين نجد فريق يقوم بدوره اتجاه المواطنة والوطن، في حين يقوم مشجعوه بالغياب عن أماكن عملهم والتخلي عن واجباتهم. كما يعمد آخرون إلى تهديد المواطنة

بلجوئهم إلى العنف وتخريب الممتلكات العامة والخاصة. يفقد بعض الشباب سائقوا السيارات مواطنتهم عندما يفكرون أن احتفالهم بالفوز، أو تعاملهم مع الهزيمة يعفيهم من تحمل الأخطاء التي يرتكبونها في حق المواطنين(عشرات الحوادث بعضها مميت، مخالفات مرورية كثيرة، اعتداءات مختلفة). ثم إن روح المواطنة لا ترتبط فقط بكرة القدم، ولكن أيضا بالعلم، والاقتصاد والانتاج في كل المجالات. هكذا، يجدر بالشباب في سبيل مواجهة التحديات التي تفرضها المواطنة، أن يتحلى بتقبل واسع لذاته ولبني جنسه، حيثما كان نشاطه، الأمر الذي يسمح له ببذل التضحيات في خدمة مجتمعه، كنضال منه في سبيل تحقيق الحرية والسيادة، لا يتحين الفرص الاجتماعية التي يسمح فيها لنفسه بإشباع نزواته على حساب المواطنة. ترمي هذه الأخيرة في معناها الواسع إلى معرفة الواجبات وأدائها ومعرفة الحقوق والنضال من أجلها: وهذا ما يعبر عنه بممارسة المواطنة.

في إطار مواجهة تحديات المواطنة، يحتاج الشباب إلى جانب حاجياته المادية التي تتماشى ومطالب النمو، إلى احترام مميزات المرحلة العمرية التي تؤهله للرشد، ذلك أن الحرمان منها يهدد حياة الفرد والمجتمع معا. يحتاج الشاب لغرس روح الفضيلة في نفسه، مما يجعله يتعامل مع المزايا الممنوحة له بأدب وتقدير لها، ولمن ضحى من أجل جعلها بين يديه، لا أن يتعامل معها كأنه يسترجع حقا قد سلب منه. كما يحتاج للإرشاد ولمن يأخذ بيده نحو الرشد، ويفتح بصيرته على نور الحق وسحر الصواب، ويَغمُرَ نفسه بالسكينة والاطمئنان. يحتاج الشاب أيضا إلى من يربيه على فضيلة الصبر وبذل الجهد وروح المثابرة وتهذيب الطموح والقناعة، ولمن يعلمه أن العلم والعمل هما الطريقان الكفيلان بإخراجه من ظلمات الجهل ورق التبعية. هذه الشيم هي التي تجعل الشاب يشعر بقيمته وانتمائه ويطمح إلى الاستقلالية والحرية والمشاركة الاجتماعية.

يحتاج الشباب لمن يبصره بأن استثماره لما بين يديه من إمكانيات كفيل بأن يحقق له النجاح ولمجتمعه القوة والثروة، ولأن يدرك أن الاستمتاع بممتلكات مستوردة من هنا أو هناك، دون أن يكون له فيها أدنى مساهمة لا يبعد عنه سهام اللوم والعتاب من الموقف الطفولي الذي ينتهجه. وأن يعي أن استيراد السلع من المجتمعات المتقدمة واستهلاكها أو استعمالها لا يعني بتاتا أنه قد أصبح متقدما أو أن بلده قد تطور، وأن هذا أبعد من أن يضمن تقدما حتى ولو في الأفق. فالمواطنة هي انتماء يقتضي توفر حقوق للفرد، ومشاركة تتطلب ممارسة واجباته الاجتماعية(Duchastel, 2002)، وعن طريق هاذين الأمرين يتحقق ممارسة سلوك المواطنة، ومواجهة التحديات التي تتطلبها.

يبقى أن مساعدة الشباب على رفع هذه التحديات وتوجيهه نحو سبيل الرشاد ليس بالأمر السهل. هناك العديد من المخاطر تهدد طريقه في سعيه نحو تحقيق الإلتزام، وبلوغ مستوى عال على مدارج الرشد التي تضمن له ممارسة المواطنة. إن زهد الشباب في البحث عن سبيل الرشاد، وتخلي المجتمع عن دوره في هذا الإطار، من شأنه أن يعرضهما لمخاطر جمة، ويزيد من حدة التدهور لدى الشاب، ويضعف البناء المؤسساتي للمجتمع، ويجعل هشاشة التكوين تظهر في العديد من المؤشرات، يمكن تناولها كعوائق في مواجهة تحديات المواطنة.

3. هشاشة التكوين النفسي لدى الشاب ومخاطر التشتت

نقصد بهشاشة التكوين النفسي عند الشاب ضعف بنائه النفسي نتيجة ضعف القدرة لدية على تحمل الضغوط والإحباطات من جهة، وضعف قدرته في تسيير نزواته الليبيدية أو العدوانية، علما أن هاتان القدرتان أساسيتان في عملية بناء الفرد والمجتمع معا، ويبذل كل من الفرد والمجتمع جهدا كبيرا ووقتا طويلا في اكتساب التحكم فيهما بالقدر المطلوب. يحتاج الإنسان على مدار حياته لأن يواجه درجات متفاوتة من الإحباط مما يساعده على تكوين تصور سليم عن الواقع الذي يعيش فيه، ويسمح الالتقاء مع الاحباطات المتكررة والمعتدلة باختبار الواقع، وتنمية القدرة على التحمل لدى الفرد، والتي هي ضرورية لوجوده الفردي والاجتماعي. يكتسب الفرد متانة وحصانة نفسية عندما تكون قدرته على التحمل عالية، مما يجعله في مواجهة مستمرة مع ذاته ومحيطه وهو يصبوا إلى التغيير نحو الأفضل. ولما تكون الظروف الاجتماعية والأنماط التربوية تفتقر إلى الإحباط الضروري للحياة فإن ذلك يجعل الشاب يكتسب هشاشة نفسية لا تمكنه من مواجهة التحديات المختلفة التي تتطلبها الحياة عموما، والمواطنة على وجه الخصوص، وحينها يعيش الشاب في حالة من التذبذب وحتى التشتت الذي يؤثر سلبا على مستقبله ومستقبل مجتمعه.

يرى **ليلة** أن الدول العربية لم تلعب دورا في بلورة مفهوم المواطنة نظرا لحداثة نشأة الدولة، إذ أكدت على واجبات المواطن نحوها ولم تهتم كثيرا بحقوقه، مع واستمرار ثقافة الدولة الأبوية بسبب عدم قدرتها على بلوغ سبيل النضج وغياب مبدأ التداول على السلطة، وسيطرة البيروقراطية والانفراد بالقرار وانتشار الفساد، إضافة إلى أن المجتمع الذي تنظمه الدولة يخضع لحالة القهر الفائض، في المجال السياسي أو الاقتصادي أو قهر الظروف المعيشية التى تدفع بغالبية البشر إلى هامش المجتمع، ويجعلهم يعيشون حالة من نصف المواطنة، حيث تفرض عليهم الإلتزامات، دون منحهم فرصة التمتع بالحقوق(ليلة، 2007، 80-81). يقود هذا إلى عدم توازن في علاقة المجتمع بالفرد، بحيث تتحول العلاقة التكاملية بين الطرفين إلى علاقة صراعية وعدوانية، لأن أحد الطرفين يرى أنه لا يستوف حقوقه كاملة، في الوقت الذي يؤدي الواجبات المنوطة به. في هذه الحالة يتطفل المجتمع على الفرد(طغيان الواجبات على الحقوق) نظرا لقلة الرشد الاجتماعي أو المؤسساتي، فيتعرض مفهوم المواطنة للإضطراب.

في حين يرى "**مظهر**" في سياق دراسته لديناميكية المجتمع الجزائري أن العائلة تكفل أعضاءها منذ القدم، ولا تزال تفعل ما في وسعها لتتكفل بهم، رغم الصعوبات التي يتسبب فيها تعدد وتنوع حاجاتهم من جهة، وكونها غير منتجة من جهة أخرى، فيقول: «إنها تأويهم، تغذيهم، تربيهم، تسهر على متابعة دراساتهم، تزوجهم، توظفهم، في حالات مختلفة، تحميهم وتدافع عنهم حتى مماتهم، بل حتى دفنهم». غير أن العائلة لا تقوم بهذه الخدمات مجانا، إذ لا يستفيد أي شخص من هذه الخدمات دون أن يدفع ثمنا، « وأن هذا الثمن باهض...: ذوبان الشخص في الجماعة العائلية التي ينتمي إليها ووضعه تحت تصرف ذويه بصفة مستمرة» (مظهر، 2008، 74). تصور هذه الديناميكية مسار تجريد الأفراد في المجتمع الجزائري من فردانياتهم من خلال ذوبانهم في المجموعة، كما أنها توضح النمط التربوي الحمائي المنتهج، والذي لا يسمح للأفراد بالاستقلالية، واختبار الواقع. يبتعد في هذه الحالة الأفراد من المشاركة الاجتماعية إلا بمقدار ما يرون من استفادة شخصية يمكن تحصيلها من ذلك. لا تتنافى هذه السلوكات مع روح المواطنة فحسب، وإنما تعكس هشاشة في التكوين النفسي والاجتماعي لدى الفرد والمجتمع معا. منذ سنوات طويلة، ورغم الإصلاحات

الجامعية المعلنة، لم يتمكن القائمون على الخدمات الجامعية من رفع سعر وجبة الطالب الجامعي التي بقيت 1,20، والتي يتعذر شراء تذكرتها إلا رزمة، وكأن قيمة الدينار في السبعينيات هي نفسها حاليا، وهذا لا يساعد الشاب على الرشد، بقدر ما يجعله يعيش في عالم غير واقعي.

من جهة أخرى، تفرض الشبكات العائلية والاجتماعية مستويات متزايدة من الامتثالية على الأفراد وتحرمهم من أدنى مبادرة(Medhar, 2013, 103)، وذلك في سبيل تحقيق مظهر زائف من الانسجام الاجتماعي. وبالرغم من ملائمة هذا المسعى أحيانا، إلا أنه كثيرا ما ينطوي على مخاطر من شأنها أن تلحق الأذى بسياق المواطنة ذاته، أو بمؤسسات المجتمع المدني. يميل الشاب أحيانا في مؤسسات المجتمع المدني إلى خدمة العشيرة أو العصبة الدموية أو الشبكات الاجتماعية التي ينحدر منها على حساب قوانين مؤسسات المجتمع المدني. كما أن قتل روح المبادرة والإبداع باعتبارهما محرك العصرنة والتجديد، وعرقلة الذاتية الانسانية يحرم الفرد من التعرف على إمكانياته وقدراته، ويكف سياق المشاركة الاجتماعية الضروري لتنمية روح المواطنة.

كما تكمن الصعوبات التي تواجه الشباب في طريقه نحو تنمية روح المواطنة في المجتمع، في إغفاله لقوى الهدم في ذاته، لأن تعاظمها في النفس يجعل الشاب ينهار من الداخل، ويصبح فريسة لنزواته، فيكون همه الأكبر هو إشباع شهواته دون الاكتراث بالقيم التي تحكم تسيير هذه النزوات في المجتمع. حسب **سي موسي**، يواجه الفرد في المجتمع الجزائري، إلى جانب الصدمات الدرامية المعاشة في العشرية السوداء، أزمات نفسية داخلية أكثر صخبا وقوة، يصفها الأفراد أنفسهم أحيانا "بالحرب الداخلية"، التي كانت تطغى على مسرح العنف البشع أنذاك. يبين هذا بقوة أن الانهيار المؤسساتي للمجتمع والفشل في بناء الفرد وضبط صراعاته قد ساهم إلى حد كبير في انفجار المآسي التي عاشتها الجزائر(Si Moussi, 2003, 107-117). يشير ما سبق إلى ضعف البناء النفسي للشباب في مواجهة التحديات التي تفرضها المواطنة، حتى وإن كان هذا لا يتعلق بذاته فقط، بقدر ما يتعلق أيضا بالبيئة التي يعيش فيها. ويمكن أن تظهر مؤشرات عن هشاشة التكوين النفسي في مواجهة تحديات المواطنة في مجتمعنا في عدة مخاطر، نقتصر على بعضها، ونختصرها فيما يلي:

1.3. خطر المخدرات: يمكن أن يلجأ الشاب للمخدرات كوسيلة للتخفيف من حدة الضغوط النفسية التي يعاني منها والتحرر من سطو الراشدين المحيطين به، وعندما يجد نفسه عاجزا عن تحمل عبء الاحباطات المتكررة. غير أن ما يجعل الشاب في خطر حقيقي، يكمن في تشبثه بهذه المواد لمدة أطول، أو استهلاكه لمواد سامة، مما يؤدي به إلى إلحاق أضرار مختلفة بذاته ومجتمعه، تتزايد كلما زادت مدة وكمية استهلاكه للمادة المخدرة أو الكحولية. إننا نسمع ونرى باستمرار العصابات المروجة للمخدرات بأنواعها المختلفة، وقناطير المواد النفسية والعقاقير المهلوسة التي تغزوا الحدود الجزائرية، وتجد من يروج لها في الداخل من السيكوباتيين، ومن يتميزون بضعف التحصين النفسي ضد مختلف الآفات الاجتماعية التي تهدم الرشد، وتجعل الشاب يفشل في مواجهة تحديات المواطنة. عندما ننتبه إلى هذا ندرك درجة الخطر المحدق بالشباب والمجتمع ككل. بدل أن يتعلم الشباب كيف يمارس المواطنة ويتعامل مع تحدياتها، نجده يهرب إلى عالم الخيال والسلبية اللذان يضران بها ويساعدان على هدم مقوماتها.

2.3. خطر الفساد: في المجتمعات التي تواجه صعوبات ويكون فيها تسيير النزوات لا يستند إلى قيم اجتماعية أصيلة، من السهل أن يجد الفرد نفسه ضمن شبكة اجتماعية تتكفل بتحقيق العديد من حاجياته، لكنها في المقابل تجعله هو أيضا في خدمة مصالح الأفراد الذين تتكون منهم الشبكة(Medhar, 2012, 74). تحت الضغط الذي تجد الشبكة فيه نفسها في سبيل تحقيق مصالح أفرادها، وضمان بقائها في نفس الوقت، فهي كثيرا ما تعمل على جعل الشاب يتقبل الفساد، ليسهل التحكم فيه، ومن هنا فليس من النادر أن نجد عصابات شبانية تحترف مفاسد كثيرة: السيطرة على فضاءات توقف السيارات بالقوة، وفرض غرامة على كل من يركن سيارته في الشوارع العامة، عصابات تزوير العملة التي تكشف عنها مصالح الأمن في عدة جهات، عصابات تزوير الوثائق الرسمية المختلفة، عصابات النهب للعقار أو سرقة السيارات، وعصابات التجارة بالبشر والجنس. ولأن الردع غير فعال، يقول أحدهم مفاخرا: "حبيت انروح انجيب حجة"، للزعم بأنه يرغب في دخول السجن، وبأنه لا يخشى من الدوس على القانون أو مخاصمة ممثليه. وكثيرا ما يصرخ البعض: "ما اعطاوناش، ما اعطاونا والو" كإشارة إلى أن تحصيل الممتلكات ليس مرتبط ببذل الجهد والعمل الجاد والكسب المنتظم، وإنما متعلق بعطاءات الدولة التي توزعها على الأفراد. تهدد هذه المواقف بالتأكيد روح المواطنة، وتحطم هكذا البناء المؤسساتي المتين الذي يفترض أن يقوم على بذل الجهد والعدالة الاجتماعية والمساواة.

3.3. خطر التفكك: إن تهديد المواطنة في بعض المجتمعات الحديثة جعلنا نشهد ثورات واحتجاجات مختلفة في بعض الدول الغربية(اليونان، أكرانيا)، وسميت بالربيع العربي في البلاد العربية(تونس، ليبيا، مصر، وسوريا). تأبى هنا أن تكون ألوان الربيع غير لون الدم فقط، وأن تكون أزهاره غير أرواح الشباب والأطفال والنساء والشيوخ التي تزهق يوميا. أن يتجه الشاب لسفك دم إنسان من بني جنسه، فذلك يعبر عن انهيار الشعور بالمواطنة واختلال الرشد. أفلا يمكن أن يكون الربيع أزهارا متنوعة الألوان بتنوع فردانية ومواهب كل فرد، فيستفيد المجتمع من تجارب ومهارات جميع مواطنيه. تستغل طاقة الشباب من حين لآخر في الهدم بدل البناء، وفي زرع الكراهية والحقد بدل المحبة والتعاون والسلام. وهكذا نغيب عن أنفسنا باستمرار أن الثورة الحقيقية هي التي تبدأ من تغيير النفس من الداخل، وتبتعد قدر الإمكان عن سفك الدماء وهدر الممتلكات. إن التغيير السليم هو الذي يكون هادفا ومتدرجا ومستمرا، والذي يتخذ من تكوين الفرد وبناءه مرماه الرئيسي، لأن تدهور روح المواطنة في المجتمع من شأنه أن يحرك نزوات الموت ويتسبب في تحطيم الوطن والمواطن.

4.3. خطر المواقع الهدامة:

إن الاستخدام غير الراشد للأنترنيت يعد من المخاطر الكبرى على الشباب، ومن العوامل التي قد تهدد روح المواطنة لديه، وذلك عندما يدمن عليها، على حساب وقته الذي هو أغلى ما يمتلكه، أو على حساب واجباته التي يعد مسؤولا عنها. تهدد المواطنة ويتدهور الرشد عندما تسوء سلوكات الفرد عقب التردد على مواقع تدعوا إلى الشعوذة والدجل أو القمار، أو المواقع الإباحية التي تحرض على هتك الأعراض وكسر القيم، وكذلك المواقع التي تدعو إلى الفتن والتحريض على الفوضى أو التآمر أو الحرب. بدل الانتفاع بالمواقع العلمية والتنموية والمهنية التي تعزز روح التعاون والانتماء والمشاركة الاجتماعية، يقضي بعض الشباب ساعات

طويلة في تصفح مواقع لا تسمن ولا تغني من جوع، وقد يقع آخرين ضحية مواقع الفتن والرذيلة. كما أن الإسراف في استعمال الأنترنيت قد يقود للإصابة بتناذر الإدمان عليها، والذي لا تقل عواقبه على المواطنة من الناحية النفسية والسلوكية.

5.3. خطر البطالة:

يقول الرسول الكريم عليه السلام: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ". البطالة غبن بالنسبة للشاب، ينحط فيها تقديره لذاته، وينهار فيها شعوره بانتمائه، ويزداد فيها إحساسه بالاغتراب، فهي بحق من مهددات المواطنة ومن التحديات التي يجدر بالمجتمع والشاب رفعها معا. لقد أدركت كثير من الدول أهمية العمل فراحت تسلح أبناءها بمختلف الحرف والمهن مهما كانت بسيطة، ورفعت من قيمة العمل، مهما كان، كوسيلة لحفظ كرامة الإنسان ودعم استقلاله الذاتي. في حين نجد العمل في الجزائر غير مدرك بصورة سليمة دائما عند الأفراد. ما يهم عند البعض منا ليس هو العمل، وإنما ما يمكن أن يحققه له المنصب من مزايا، حتى ولو كان ذلك على حساب العمل ذاته. يقول البطال عندنا أحيانا: "لماذا بطالو الدول الغربية أو الأوروبية يحصلون على منحة البطال ونحن محرومون منها؟". في رأينا هذا جزء من الغزو الفكري الذي يعاني منه شبابنا، لأن أجدادنا قالوا: "اخدم بدورو او حاسب البطال" نتيجة إدراكهم خطر البطالة على الفرد والمجتمع معا، وكإشارة منهم إلى خطر بقاء الفرد عاطلا مما يجعله يفكر في أمور غير نافعة، وحتى ضارة. ووصل الحال بالبعض إلى المطالبة بمرتب على بطالته، فهل هناك إذن أخطر منها على المواطنة؟ الأجدر بنا إن أردنا تنمية روح المواطنة أن نرفع من قيمة العمل المتقن والعامل الجاد، مهما كان نوع العمل ومقام العامل، لأن العمل من الحقوق الأصيلة للفرد ومن مقومات المواطنة ومن علامات صحة ورشد المجتمع.

6.3. خطر الغزو الفكري:

رغم أن الاستعمار العسكري والسياسي قد انتهى وانحسر عن كثير من البلدان، فإن الغزو الفكري والثقافي الذي بدأ مع بداية الاستعمار، وحتى قبله، قد استمر يعمل عمله في تبديل المباديء وتغيير القيم الثقافية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية(منصور والشربيني، 2005، 64). إن ضعف التحصين النفسي والفكري من شأنه أن يجعل الشباب فريسة للحملات المنظمة التي يخطط لها باستمرار من يمتهنون الفتنة ويعيشون فيها. يظهر ذلك في عدة أساليب وطرق: سواءا جلس الشاب لمشاهدة التلفاز أو لقراءة جريدة أو تصفح مواقع الأنترنيت فإن الأمر لا يخلو من مخاطر وجود مادة إعلامية مضللة، ولا تخدم دائما تنمية روح المواطنة بقدر ما تعمل على هدمه. المتأمل لما ترسله القنوات وتعرضه مواقع الشبكة العنكبوتية عبر مختلف دول العالم، والحرب النفسية والدعائية الدائرة بينها ليجد أنه من الصعب على الشاب أن يتخذ موقفا مبنيا على أسس متينة. ضعف التكوين النفسي للشاب يساعد على إغرائه بأمور مستهجنة، وتنفيره من سلوكات مستحسنة. هذه المواقف المتعارضة لا تهدد نمو روح المواطنة فحسب، وإنما قد تقضي عليه. عندما تتآمر بعض القنوات التحريضية وتنشر أفكارا غريبة، رغم صحة بعضها، وتعمل ما بوسعها لكي تؤلب مواطني بلد ضد دولته ومجتمعه، يكون هذا الغزو خطرا، يجعل الشاب يشعر بالاغتراب النفسي والاجتماعي في وطنه، فهو يتبنى ذهنية مجتمع ويعيش في مجتمع آخر.

7.3. خطر الهجرة غير الشرعية:

عرفت هذه الظاهرة منذ مدة طويلة، غير أن انتشارها بالصورة الراهنة يعد ميزة العصر الحديث، نظرا للظلم والعنف الذي يلحق بالأفراد جراء حرمانهم من حقوقهم من جهة، وكذلك ضعف الإنسان في مواجهة الظروف القاسية في بيئته الأصلية. إن المتتبع لأفواج المهاجرين غير الشرعيين "الحراقة" لينتبه إلى درجة الضغط النفسي الذي يعانيه هؤلاء، فيدفع بهم التذمر إلى الزج بأنفسهم في بحر ممتد بوسائل غير آمنة، حيث لا تكاد تخلو كل محاولة من مخاطر جمة. ففي السنة الماضية(2013) مثلا، مئات الأفراد من فئات مختلفة، بينما كانوا يأملون في الوصول إلى شواطئ القارة الأوروبية ماتوا غرقا. رغم الحصص التلفزيونية التوعوية لصالح الشباب، إلا أن ظاهرة الحراقة بقيت مستمرة، وهي تتفاقم باستمرار مع بقاء مسبباتها، كنقص وسائل التكفل بالشباب. إن كثيرا منهم لقوا حتفهم في أعالي البحار وهم يتطلعون إلى بلوغ شاطئ الأمان، ومن نجا منهم، قد يجد نفسه في وضع مزر وليس بعيدا عما كان عليه في بلده الأصلي. يكفي أن نشير أن كثيرا من الشباب الذين يخاطرون بأرواحهم من خلال الهجرة غير الشرعية في قوارب تفتقر إلى الأمن إنما يرجع ذلك إلى الصور التلفزيونية المغرية التي تصور العالم الغربي وكأنه الجنة الموعودة التي لا ينبغي لأي حي أن يتردد في طلبها. وبسبب هشاشة التكوين النفسي وضعف دعم الأسرة والمحيط لجهود الشاب في محاولاته لمواجهة الصعوبات الاجتماعية، يعجز عن تحمل الإحباطات الصادرة من قساوة المحيط، فيقرر المغامرة.

8.3. خطر العنف:

إن ظاهرة العنف لدى الشباب من العوامل المهددة فعلا لروح المواطنة، فهي تتنافى مع الرشد وتشير إلى تهدد سياق النمو الطبيعي للأفراد، كما يشير إلى أن التوازن بين الحقوق والواجبات غير محقق في المجتمع، ولأن العنف سياق تدميري فهو يضر بالأفراد ويهدم التماسك الاجتماعي. ينتشر العنف في مجتمعنا في أماكن عدة: في البيت، المدرسة، الملاعب، المساجد، الإدارات، وفي الطرقات، وحتى في الجامعة. باختصار الظلم في مختلف الأماكن، وتلعب أحيانا المواقف السياسية والمذهبية والعنصرية... هنا وهناك دورا هاما في تأجيج درجات متزايدة من العنف. يعتبر العنف الطائفي والديني(أحداث بريان، غرداية...) شكل آخر من أنواع العدوان الذي لا يكاد ينطفيء في بقعة من الأرض حتى يشتعل في أخرى. العنف الرياضي في الملاعب هو الآخر يزهق أرواح الشباب ويحطم الممتلكات ويعرض المواطنة والاستقرار الاجتماعي للخطر، كما يؤدي عنف الطرقات إلى حوادث مميتة أو إعاقات مختلفة. العنف أحد السبل التي يُتعامل بها مع التسلط والقهر، وكلاهما عدو للرشد وروح المواطنة، ولذلك يجب أن يجد الشاب ليس فقط من يرشده لتبني أساليب متحضرة في التعبير عن حاجاته، وإنما يجب أيضا أن تفتح قنوات الحوار والاتصال معه، لكي يسمح له بالتعبير عن ذاته بأسلوب أكثر تحضرا.

9.3. خطر السلوك الفوضوي:

ينتشر السلوك الفوضوي في كثير من مؤسسات المجتمع المدني، وهو يعكس بذلك تدني روح المواطنة الناجم عن ضعف البناء النفسي والاجتماعي. في المؤسسات التعليمية منذ سنوات طويلة عجز المجتمع عن حل مشاكل المعلمين، فلا يكاد يخلو موسم دراسي دون احتجاجات وإضرابات في العملية التعليمية قد تمتد لأكثر من شهر، وبهذه الصورة قد ينتقل السلوك الفوضوي إلى المتعلم الناشيء. في الطرقات تعم الفوضى، إذ يعجز كثيرا من السائقين عن احترام الطابور عندما يكون هناك ازدحام في السير، فلا تترك حافة الطريق ولو

للإستعجالات أو الحالات الحرجة، كما تنتشر التجارة الفوضوية في الشوارع المكتظة، والتي لا تكون تحت رقابة رجال الأمن، فيكثر الرمي العشوائي للقمامة والأوساخ. شباب متمرد عن أداء الخدمة الوطنية، ويرى أنه من حقه أن لا يؤديها ما دام كذا وكذا...، ومجموعات طلابية في معظم الجامعات، تسمح لنفسها بغلق أبواب الجامعة أو قاعات التدريس متى أرادت، وتضغط بطرق مختلفة لأغراض غامضة أحيانا، وغير واقعية أحيانا أخرى، ونمط جديد من الطلبة الذين يتغيبون باستمرار، ويبررون غياباتهم مهما كان عددها، فلا يقصون، ويغشون، وينتقلون من سنة لأخرى. كل هذه المظاهر تنم عن هشاشة في التكوين النفسي والاجتماعي، والتي لا تتماشى مع مواجهة التحديات التي تفرضها المواطنة، وإنما تتجه في سبيل الضلال والتدهور.

في الأخير، يمكن القول أنه رغم حجم هشاشة التكوين النفسي لدى الشباب التي يمكن معينتها في مختلف مؤسسات المجتمع الجزائري، وكذلك رغم المخاطر المحدقة بالفرد والمجتمع في أية لحظة، نتيجة ضعف البناء النفسي الذي يعتري العديد من أفراد المجتمع، فإن قوى البناء تظهر نشيطة ومتزايدة، ولو أنها دون صخب قوى الهدم المتعالية. ويعود في الأخير على مؤسسات المجتمع المدني والفرد معا واجب السهر والنضال في سبيل تنمية روح المواطنة باستمرار، فذلك الضامن لنجاح وبقاء كل منهما.

خلاصـــة

يمثل الشباب في كل مجتمع رأس مال بشري هام لابد من الاهتمام به، لأنه الدعامة الأساسية التي تبنى عليه الأمة، فهو الدرع الواقية في الحرب، ومحرك التنمية في السلم. وإلى جانب توفير الحاجات المادية للشاب، يجدر بالمجتمع أن يولي عناية أهم للحاجيات المعنوية والأدبية. عندما يساعد الشاب على اكتشاف ذاته، فهو يعرف قدراته ويثق فيها ثم يستثمرها في إطار الامكانيات المحيطية، ويتفتح على الأفراد من حوله فيقيم معهم العلاقات الفعالة القائمة على الإخلاص والثقة المتبادلة، فيجدد وينتج ويبدع، مساهما بذلك في البناء الاجتماعي، وهنا نتكلم عن الشبيبة الراشدة المتحدية للصعاب.

بث وتنمية روح المواطنة عند الشباب عملية تربوية، ووظيفة اجتماعية تضطلع بها كل المجتمعات، إنها ضرورية وتتطلب جهد كبير ووقت طويل، كما تختلف الأمم فيما بينها في درجة نجاحها في هذه العملية، وهو الذي يحدد مستوى تحضرها وتطورها مستقبلا. النجاح في ترسيخ قيم المواطنة لدى الشاب يعني أن هذا الأخير قد بلغ الرشد واتخذه سبيلا في الحياة، مهما كان المجتمع الذي يعيش فيه. عندما يسيطر مبدأ اللذة على حياة الفرد، فلا يهتم هذا الأخير بالوسيلة أو المنهج السليم، بقدر ما يهتم بالوصول إلى الهدف أو النتيجة بكل الوسائل، وذلك نتيجة جموح الطموح أو السعي الدؤب وراء تحقيق النتائج التي تفضي إلى اللذة، والابتعاد عن تحمل الاحباط نتيجة ضعف القدرة على التحمل. في حين، يمثل الرشد مسعى حياتي لا يهتم صاحبه بالنتائج بقدر ما يهتم فيه بالطريق نفسه، لأنه يعلم أن طريق الرشد لا يوصل إلا إلى نتائج باهرة، ولذلك فإن من يتبع سبيل الرشد فهو في مراقبة مستمرة لمدى أصالة طريقه، أما النتائج فهي مضمونة، حتى وإن لم تتحقق على يديه.

في طريقهم نحو بلوغ النضج واكتساب المواطنة، يواجه الشباب تحديات جمة تثنيهم عن بلوغ رشدهم وتهدد روح المواطنة عندهم. إن هشاشة التكوين النفسي عند الشباب هي سبيل التشتت التي تدعو إلى الفساد وتبديد الثروة وتبني الانتهازية كمسعى لتحقيق نجاح شخصي خادع على حساب المواطنة وتنمية

اجتماعية حقيقية. يظهر ضعف التكوين النفسي في عدم قدرة الشباب على تحمل الإحباط الذي تتطلبه تنمية روح المواطنة في مؤسسات المجتمع المدني، كما تبرز هذه الهشاشة في تبني مبدأ اللذة كمسعى عام في الحياة على حساب مبدأ الواقع، يتجلى في العديد من المخاطر، ويوحي بثقل التثبيتات الطفلية على حساب الرشد والمواطنة.

إن ميل الشباب إلى العنف والمخدرات والبطالة والهجرة غير الشرعية، يعبر عن حجم التحديات التي تواجه الشاب والمجتمع معا في سبيل مقاومة قوى الهدم والحياة الانسانية البدائية. وفي المقابل، تظهر روح المواطنة في المجتمع الجزائري في قوى البناء والنضال الصامدة في مواجهة الفوضى والفساد المنتشرين في مختلف مؤسسات المجتمع المدني التي تنجح باستمرار في التغلب على الصعوبات التي تفرضها كل مرحلة. ويجدر في الأخير بكلا من الفرد والمجتمع أن يقفا معا، للتفكير مليا في مآل طريق الهاوية، فيعودا إلى الوراء خطوة، ويصححا الاتجاه نحو طريق الرشاد، فتزاح الحواجز البيروقراطية التي تجهض المشاريع الفعالة، ويشجع الشباب على المبادرة ورفع مستوى التحمل لديهم في مواجهة الاحباطات المختلفة، وتحصينهم ضد هشاشة أنفسهم، وما يُتَرَبَّصُ بهم من مختلف أشكال الفساد، وتحويلهم إلى لبنات لبناء صرح المؤسسات الاجتماعية المدنية بدل أن يجعل منهم معاول هدم.

المراجع

أماني غازي جرار(2011)، **المواطنة العالمية**، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.

مظهر سليمان(2008)، **نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية**، مصدر المجابهة، ثالة، الجزائر.

على ليلة(2007)، **المجتمع المدني العربي، قضايا المواطنة وحقوق الإنسان**، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.

عبد المجيد سيد أحمد منصور وزكريا الشربيني(2005)، **الشباب بين صراع الأجيال المعاصر والهدى الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر

Duchastel J.(2002), **La citoyennete dans les societes contemporaines**: entre mondialisation des marchés et revendications démocratiques, Montreal, Canada. http://www.chaire-mcd.ca/

Medhar S.(2012), **Manuel d'une Algerie à la dérive**, Thala Editions, Alger, Algerie.

Medhar S.(2008), **Les entraves à la recherches scientifique en Algerie**, Dar Kortoba, Alger, Algerie.

Sandra C. et coll.(2007), **La citoyenneté Un outil analytique pour l'étude de la gouvernance,** IUED, Genève, Suisse.

Si Moussi A. (2003), L'Algérien entre drame connus et drames méconnus, in ***Naqd***, n°18, Revue d'études et de critique sociale, 107-117.

Si Moussi A. et coll.(2003), **Eleve contre enfant**, ENAG/INRE, Alger, Algerie.

United States Office of Personnel Management Investigations Service (2001), **Citizenship laws of of the world**,Washington, USA.

التكيف النفسي وضغط ما بعد الصدمة والحياة الهانئة

لدى النساء المصابات وغير المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن

د . فاطمة العدوان

الجامعة الأردنية

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على التكيف النفسي وضغط ما بعد الصدمة والحياة الهانئة لدى النساء المصابات وغير المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن، تكونت عينة الدراسة من (75) امرأة مصابه بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن، تم تطوير أداه للدراسة تقيس الحياة الهانئة، واستخدام مقياسي التكيف النفسي وضغط ما بعد الصدمة الذين تم تطبيقهما على المجموعتين: المصابات وغير المصابات وأزواجهن وبناتهن. أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلاله إحصائية بين المصابات وغير المصابات ،وخلصت الدراسة إلى استنتاج مفاده أن إصابة النساء بسرطان الثدي أدى إلى انخفاض التكيف النفسي والحياة الهانئة وارتفاع ضغط ما بعدا لصدمه لديهن مقارنه بالنساء غير المصابات.

الكلمات المفتاحيه: التكيف النفسي، ضغط ما بعد الصدمة، الحياة الهانئة، سرطان الثدي.

This study aims at identifying how female patients adapt with post traumatic stress disorder (PTSD) resulting from breast cancer along with their husbands and daughters. They sample consisted from 75 women, the study instrument was developed to measure carefree life, psychological adaptation and PTSD. The sample was divided into two separate groups: women with breast cancer and women free from breast cancer along with their husbands and daughters. The study results showed that there is a statistical difference between cancer patients and non patients; women who had breast cancer were less adaptive and lived more stressful life than non-patients.

Keywords: psychological adaptation, post traumatic stress disorder, carefree life, breast cancer.

مقدمة:

يعتبر سرطان الثدي هو السرطان الأكثر انتشاراً لدى الإناث في الولايات المتحدة الأمريكية ويشكل حوالي 30% من حالات أو بنسبة 13% من النساء لديهم خطورة حدوث سرطان ثدي غازي بأي مرحلة من العمر. ويعتبر سرطان الثدي ثاني سبب للوفاة بسبب السرطان عند النساء بعد سرطان الرئة، فبرغم التناقض الكلي للوفيات بسبب سرطان الثدي في العقد الأخير، فقد سجلت أكثر من 40000 حالة وفاة في سنة 2007 لوحدها. وبالرغم أن سرطان الثدي هو مرض النساء، فإن حوالي 1% من سرطانات الثدي تحدث عند

الرجال، وقدر أن حوالي 2030 رجل تطور لديهم سرطان ثدي غازي في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2007. فالأشخاص ذوو الأمراض المزمنة يعانون من مشكلات نفسية تفوق من حيث شدتها المشكلات التي تواجه الأشخاص المصابين بالأمراض المزمنة، فجميع الأشخاص يتعرضون للعديد من المشاكل والضغوطات النفسية إلا أن الشخص المصاب بمرض مزمن قد تظهر لديه مشكلات نفسية في جوانب مختلفة في حياته أشد وأكثر خطورة من التي قد يتعرض لها الشخص العادي، وذلك لأن طبيعة المرض المزمن تفرض ضغوطاً معينة على الشخص.(Stella & Maciel, 2009)

أنواع سرطان الثدي:

لسرطان الثدي أكثر من نوع باعتباره سرطانا خبيثا ينشأ من خلل في الثدي نفسه، يصيب سرطان الثدي الرجل والمرأة إلا أن معظم الحالات تحدث لدى السيدات بينما تكون نادرة الحدوث لدى الرجال . (جمعية مكافحة السرطان الأردنية، 2002). ويعتبر سرطان الثدي أكثر أنواع السرطان الذي تمت دراسته من حيث المظاهر النفسية والنفسية الاجتماعية، وذلك بسبب معدل انتشاره المرتفع وزيادة نسبة حالات الوفاة من النساء بسبب هذا المرض، إضافة إلى التأثيرات النفسية لجراحة عضو غني بالمعاني كالثدي. فالثدي هو رمز ثقافي مهم للأنوثة وعامل مهم في تقدير الذات لدى المريضة، لذلك فإن تشخيص الإصابة بسرطان الثدي وعلاجه والآثار الجانبية للعلاج هو عبارة عن عوامل ضغط أساسيه لأي إمراه، فسرطان الثدي وعلاجه يمكن أن يسبب حزنا متزايدا باستمرار وخوفا وقلق وغضب. على أي حال فإن الأثر النفسي للتشخيص والاستجابات الانفعالية للنساء تختلف بشكل كبير اعتمادا على كل من التقييم الطبي للمرض وخطورته والقدرات التكيفيه للمريضة ومدى توفر الدعم العاطفي والمالي. وهكذا فإن الفهم الشامل لردود فعل النساء النفسية تجاه سرطان الثدي أمر ضروري لتحديد معايير الرعاية وموجهات العلاج للنساء المصابات بسرطان الثدي الأصحاء نفسيا واللواتي لديهن اضطرابات نفسيه قد تؤخر وتعقد العلاج بشكل كبير. وقد تزايد عدد النساء المصابات بسرطان الثدي في ال5 سنوات الماضيات بشكل ملحوظ وسريع وهذا جعل تقديم المعالجة ضروري لهؤلاء النسوة وأزواجهن وخصوصا المعالجة النفسية لمساعدتهن على التكيف والمساعدة الانفعالية والتأثير الجسمي للمرض والأدب النظري يشير إلى تأثير سرطان الثدي على علاقة الأزواج مع بعضهم البعض مما جعل العلاقة تضعف تدريجيا وتؤثر في العلاقة الصراع مع المرض، ومشاكل في الاتصال وعدم التوافق .ومن العوامل التي قد تؤدي إلى التصادم بين الأزواج الصعوبات الجنسية وضعف الاتصال بين الأزواج والعلاقة المهنية مع الآخرين.ويتبوأ سرطان الثدي المرتبة الأولى من حيث انتشاره عند النساء في الأردن فهنالك 513 حالة مقابل 153 حالة سرطان للأمعاء الغليظة والقولون و93 حالة سرطان دم .وعليه يشكل سرطان الثدي 37% من حالات السرطانات عند النساء في العمر 20 – 49 سنة ويشكل نسبة 33% من حالات السرطانات عند النساء الأكبر من 50 سنة. أضف أنه لم يتم تسجيل أي حالة سرطان ثدي تحت سنة 19 سنة عام 1999 . (خليل، 2000).

. وتركز هذه الدراسة على جانب العلاقة بين الأزواج بعد الإصابة بسرطان الثدي وخصوصا الانخفاض في العلاقة والتغير في نوعية العلاقة والرضا وتكيف الأزواج مع بعضهم بعد الإصابة بسرطان الثدي ودور العلاقة المهنية. ويرتبط السرطان باضطراب ما بعد الصدمة لدى النساء المصابات بسرطان الثدي ويؤثر على

إدراك بنات هؤلاء النسوة بأن لديهن عامل خطورة للإصابة ويحدث لديهن اضطراب ما بعد الصدمة مرتبط بإصابة أمهاتهن بسرطان الثدي. سرطان الثدي متصل بالنساء ويعتبر ثاني سبب يقود إلى الوفاة لدى النساء. (Kenya, et al, 2005).

وتتناول هذه الدراسة أيضا عامل ضغط ما بعد الصدمة لدى النساء المصابات بسرطان الثدي وبناتهن وطبيعة الشخصية التكيفية والمشاكل الصحية المزمنة ويتم التركيز على دور أعضاء الأسرة في التكيف. وكذلك تأثير الضغوط الصحية على أعضاء الأسرة. والبحوث تشير بدرجة عاليه إلى المستوى المرتفع للضغوط لدى بنات النساء المصابات بالسرطان (Bret & Boyer, 2005).

وأصبح مرض السرطان غير مرتبط بشخص واحد بعينه ولكن الآن يتم التركيز على تشخيص التهديد لهذه الأمراض مثل تأثير سرطان الثدي على الأشخاص الآخرين مثل الزوج، البنات.

والنتائج السلبية لهذه الأمراض مثل ضغط ما بعد الصدمة وتأثر التكيف ونمط الحياة الهانئة وظهور اليأس والخوف الذي يقود إلى الاكتئاب والقلق.

الحياة الهانئة Vellbeing

إن مفهوم الحياة الهانئة مفهوم ديناميكي يتضمن التفاعل بين البعد الذاتي والبعد الاجتماعي،البعد النفسي، البعد الصحي، ويرتبط المفهوم – بإشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية أو الوجودية ويتضمن المفهوم كذلك المعنى العام للإحساس بالرضا عن الحياة وتحقيق الأفراد لأهدافهم في الحياة (Felicity, et a1, 2005).

قام كرامير وزملاؤه (Kraemer, et al, 2011) بدراسة هدفت إلى التعرف على العلاقة بين استراتيجيات التعامل مع الضغوط التي تستخدمها النساء المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن والتغير في تكيف الزوجات في السنة التي بدأن فيها العلاج كذلك تم فحص استجابة الأزواج في عينة النساء المصابات بسرطان الثدي والبالغ عددهم في هذه الدراسة 139 زوج وزوجه وقد تم دراسة عوامل الاستقلالية بشكل عام والرضا عن العلاقة، والتكيف النفسي مع السرطان وقد أظهرت النتائج أن السرطان أثر بشكل سلبي على التكيف.

وفي دراسة قام بها كاثرين وزملاؤه (2006) حول نمو ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي لدى بنات النساء المصابات بالسرطان. وتغيرات الحياة الايجابية بالمقارنة مع التكيف النفسي لدى البنات اللواتي لديهن أمهات غير مصابات بسرطان الثدي. تكونت العينة من 30 بنت راشدة أمهاتهن مصابات بسرطان الثدي و16 بنت راشدة لديهن أمهات غير مصابات بسرطان الثدي وأظهرت النتائج أن البنات اللواتي أمهاتهن مصابات بسرطان الثدي كان لديهن ظهور وتطور لأعراض ضغط ما بعد الصدمة وكان هناك تغير في مظاهر الحياة الهانئة والدعم الاجتماعي والرضا عن الحياة بالمقارنة مع الإناث اللواتي لديهن أمهات غير مصابات بسرطان الثدي واللواتي لم تتغير الحياة الهانئة لديهن.

وفي دراسة قام بها (Costanzo 2006, حول ضغط ما بعد الصدمة والتكيف والتغير السلوكي لدى النساء المصابات بسرطان الثدي. وقد استندت الدراسة إلى اختبار فرضية أن النساء ممكن أن يعانوا من مشاكل في التكيف خلال الأشهر التي تلي اكتشاف إصابتهن بسرطان الثدي وأثناء معالجتهن. وقد بلغ عدد

أفراد العينة 89 أمرأه. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن النساء المصابات في سرطان الثدي في هذه الدراسة اختبروا الضغوط و تغير في نوعية الحياة، وتغير في التكيف خلال الأشهر الثلاثة التي تلت العلاج بعد اكتشاف الاصابه بسرطان الثدي.

وفي دراسة أجراها (Taylor, (2005) هدفت إلى التعرف على خبرة بنات النساء المصابات بسرطان الثدي. وقد ركزت الدراسة على العوامل النفسية المتنوعة التي تؤثر على ردود أفعال 142 فتاه من بنات النساء المصابات بسرطان الثدي ومنها التفاؤل والدعم الاجتماعي والرضا. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن الدعم الاجتماعي وأنماط التعامل في الوقت الذي يتم فيه تشخيص إصابة المرأة بسرطان الثدي ذو علاقة بنمو اضطراب ما بعد الصدمة..

وفي دراسة قام بها كوهين وزملاؤه (2005) ركزت على النساء المصابات بسرطان الثدي وبناتهن والعلاقة بين ردود الأفعال الانفعالية لدى الأمهات المصابات بسرطان الثدي وبناتهن. وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الضغوط النفسية لدى الأمهات المريضات بسرطان الثدي وبناتهن وقد تكونت العينة من 80 أمراه مصابه بسرطان الثدي و80 بنت شاركوا في هذه الدراسة. وقد أظهرت النتائج أن الضغوط النفسية لدى الأمهات المصابات بالسرطان وبناتهن متشابهه وذات تأثير على البنات والضغوط الجسمية ذات تأثير على البنات والأمهات .

وفي دراسة قام بها (Tzipi & Weises, 2004) هدفت إلى دراسة نمو وظهور وتطور ضغط ما بعد الصدمة لدى أزواج النساء المصابات بسرطان الثدي وقد بلغ عدد أفراد العينة 72 وقد تم تشخيص اضطراب ما بعد الصدمة وفق معايير DSM-IV بعد إصابة النساء بسرطان الثدي بوقت قصير وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الأزواج لا يشاطرون زوجاتهم الألم فقط وإنما يشاطرونهن الصدمة أيضا .

وفي دراسة قام بها ستيلا وماكيلا (Stella & Maciel, 2009) هدفت إلى الاجابه على السؤال التالي ما هي خبرة الزوج عندما تعاني الزوجة من سرطان الثدي وقد بلغت العينة 11 زوج وزوجه استخدمت فيها المقابلة والمسجل للتسجيل. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن جميع الأزواج أكدوا على أنه ظهر تغير في الاتصال بينهم وبين زوجاتهم وكذلك أكدوا على أنه كان هناك تغير في الأنشطة اليومية المنزلية .كما أن إصابة الزوجات بسرطان الثدي أثرت على التكيف النفسي للمريضات وأزواجهن وعلى الحياة الهانئة التي يعيشونها.

وفي دراسة قام بها بريت (Bert, 2002) هدفت إلى فحص ضغط ما بعد الصدمة لدى 133 أمرأه مصابه بسرطان الثدي و64 بنت من بناتهن. وقد ظهرت أعراض ما بعد الصدمة لدى النساء الأخريات. وقد تم استخدام أسلوب التقرير الذاتي وقد خلصت الدراسة إلى أن النساء اللواتي لديهن تاريخ عائلي للإصابة بسرطان الثدي شعروا بضغوط نفسيه أعلى من النساء الغير مصابات بسرطان الثدي .أيضا في هذه الدراسة بنات السيدات المصابات بسرطان الثدي شعرن باكتئاب وقلق بالإضافة إلى اضطراب ما بعد الصدمة وفق معايير(DSM-IV ,2000).

وفي دراسة قام بها الين وزملاؤه (Ellyn,et al, 2009) هدفت إلى فحص العلاقة بين التفاؤل والحياة الهانئة والأفراد وعلاقة ذلك بالدعم الاجتماعي، وأساليب التعامل مع المشاكل ومفهوم الذات لدى النساء المصابات بسرطان الثدي. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك ارتباط قوي بين التفاؤل والحياة الهانئة

للمصابات بسرطان الثدي وعلاقة ذلك بالتكيف النفسي لهن وأن التدخل المبكر جيد لتنمية التكيف النفسي.

التعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح من استعراض الدراسات السابقة وجود العديد من الدراسات التي أكدت على وجود أعراض ضغط ما بعد الصدمة وتكيف سلبي لدى النساء المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن وكذلك أكدت الدراسات السابقة على أهمية الدعم الأسري والاجتماعي والنفسي في وجود التفاؤل والحياة الهانئة للمصابات بسرطان الثدي .

مشكلة الدراسة:

لعل زيادة نسبة حدوث سرطان الثدي في الأردن في الآونة الأخيرة يستدعي توجيه مزيد عن الدراسة والاهتمام من حيث التعرف على المشكلة وإمكانية تفاقمها وانتشارها في الأردن، والتعرف على العوامل النفسية المتصلة بها مثل ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة وأثر إصابة المرأة بسرطان الثدي وأثره على أزواجهن وبناتهن.ويشير المرض المزمن إلى اضطراب طويل المدى يمكن أن يتطور ويصبح مهلكاً أو مميتاً، أو قد يرتبط لفترة حياة عادية نسبياً، وفي الحالتين لا يمكن إنكار أو تجاهل العديد من المشكلات النفسية و الاجتماعية والأكاديمية التي يتعرض لها الشخص المصاب بمرض مزمن وتعد المشكلات التي يتركها هذا المرض على النساء المصابات بسرطان الثدي من أهم العوامل التي تستحق الدراسة والبحث عنها، ونظرًا لقلة الدراسات حول هذه الموضوع، فقد غدت الحاجة ملحة للبحث فيه، وعليه تتمحور المشكلة البحثية في محاولة التعرف إلى مشكلات النساء المصابات بسرطان الثدي، والتأثيرات المترتبة عليهن وعلى أزواجهن وبناتهن وفقا لمتغيرات الدراسة.

أسئلة الدراسة

س1 هل توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في مستوى ضغط ما بعد الصدمة، ومستوى التكيف النفسي، ومستوى الحياة الهانئة بين المصابات بسرطان الثدي وغير المصابات بسرطان الثدي؟

س2 هل توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α =0.05) في مستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف النفسي بين أزواج المصابات بسرطان الثدي وأزواج غير المصابات بسرطان الثدي؟

س3 هل توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α =0.05) في مستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف النفسي بين بنات المصابات بسرطان الثدي وبنات غير المصابات بسرطان الثدي؟

س4 هل يختلف مستوى التكيف ومستوى الحياة الهانئة لدى المصابات بسرطان الثدي باختلاف مستوى ضغط ما بعد الصدمة ؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة إجراء هذه الدراسة في المرتبة التي يحتلها مرض سرطان الثدي من حيث نسبة الإصابة بين الأنواع السرطانية المختلفة بين السكان في الأردن بشكل عام والنساء منهم بشكل خاص، حيث

يحتل المرتبة الأولى في الإصابة من مجمل الإصابات السرطانية وبالتالي يعتبر مرض السرطان كمسبب للوفيات في الأردن بشكل عام ومسبب لوفيات النساء بشكل خاص، وبكونه مرض يصيب المرأة أكثر ما يصيبها في مرحلة الشباب(السجل الوطني للسرطان،2010).

وتنطلق أهمية هذه الدراسة انطلاقا من أهمية تقديم الخدمات العلاجية والارشاديه للمصابات بسرطان الثدي ويعد اضطراب ما بعد الصدمة من الاضطرابات التي ظهرت نتيجة للتعرض بسرطان الثدي وبهذا تبرز أهميه تقديم الإرشاد والعلاج النفسي في مساعدة الأفراد الذين تأثروا سلبيا وبهذا المرضى ، ومن هنا تبرز أهمية الدراسة الحالية.كما وتهتم الدراسة الحالية إلى تزويد الأشخاص المهتمين بصحة المصابات بسرطان الثدي بفهم أعمق لمدى تأثير الإصابة بأعراض سرطان الثدي على الصحة النفسية ،ومدى تأثير اضطراب ضغط ما بعد الصدمة على التكيف النفسي ، ويمكن أن تكون نتائج هذه الدراسة ذات فائدة في لفت أنظار المهتمين بهذا الشأن بوضع برامج وقائية وعلاجيه تساعد في تحسين الصحة النفسية للمصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن خاصة وإن الدراسات العربية قليله بهذا الشأن ولهذا تعد هذه الدراسة من الدراسات النفسية القليلة التي تبحث في اضطراب ما بعد الصدمة وتأثيره على التكيف النفسي للمصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن وتأتي الدراسة الحالية نظرا للزيادة المستمرة للإصابة بسرطان الثدي. ولم تتطرق بعض الدراسات السابقة إلى بعض جوانب هذا الموضوع مثل اضطراب ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة لدى المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن.

حدود الدراسة :

تتحدد الدراسة بطبيعة أفراد الدراسة الذين تم اختيارهم كما تتحدد بالأدوات المستخدمة والمعدة لأهداف الدراسة .

مصطلحات الدراسة:

التكيف النفسي:Psychological adjustment

هو عملية ديناميكية مستمرة يهدف بها الشخص إلى أن يعدل من سلوكه أو بناءه النفسي ردا على ظروف محيطه أو خبرات جديدة ليحدث علاقة أكثر توافقا بينه وبين بيئته(الرفاعي،1987).

ويعرف إجرائيا بأنه الدرجة التي يحصل عليها الفرد على مقياس التكيف النفسي .

اضطراب ما بعد الصدمة(post traumatic stress disorder) استجابة متأخرة لحادث أو موقف ضاغط جدا، ذا طبيعة تهديديه أو كارثية ويسبب كربا نفسيا لكل من يتعرض لها تقريبا مثل كارثة من صنع الإنسان أو معركة أو حادثه خطره، أو مشاهدة موت آخرين في حادث عنف أو أن يكون الفرد ضحية تعذيب أو إرهاب أو اغتصاب أو أي جريمة أخرى وهذه الاستجابة تكون على شكل خوف شديد أو عجز أو رعب ونتيجة لذلك يصاب الشخص بأعراض من القلق والاستثارة التي لم تكن موجودة لديه قبل تعرضه للصدمة.(DSM-IV-2000) .

ويعرف إجرائيا بالدرجة التي يحصل عليها الفرد على مقياس ضغط ما بعد الصدمة .

الحياة الهانئة: حالة من الشعور بالرضا والسعادة والقدرة على أداء وظائف الحياة اليومية (اليونيسف، 2008).

ويعرف إجرائيا بأنه الدرجة التي يحصل عليها الفرد على مقياس الحياة الهانئة .

سرطان الثدي: هو نوع من الأمراض السرطانية التي تصيب أنسجة الثدي، وعادة ما تظهر في قنوات الأنابيب التي تحمل الحليب إلى الحلمة وغدد الحليب). ويصيب الرجال والنساء على السواء ولكن الإصابة لدى الذكور نادرة وقليلة الحدوث فمقابل كل إصابة للرجال يوجد 210 اصابه للنساء. Catherine E.Mosher, (MA.Sharon, D, 2006)

الطريقة و إجراءات الدراسة :

نظرا لطبيعة الدراسة فقد استخدمت الباحثة الأسلوب الوصفي التحليلي من أجل الإجابة على تساؤلات الدراسة.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من:

أ- الأمهات المصابات بسرطان الثدي في مركز الحسين للسرطان وأزواجهن وبناتهن والبالغ عددهن (75).

ب- الأمهات غير المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن.

عينة الدراسة: تألفت عينة الدراسة من:

أ- (75) أم مصابة بسرطان الثدي ممن كان لديهن وأزواجهن وبناتهن ممن لديهن رغبة في الاشتراك في الدراسة (عينة متيسرة) وقد حاولت الباحثة في البداية أن يكون اختيار العينة بشكل عشوائي إلا أن اعتذار عدد كبير من المصابات عن الاشتراك جعل الباحثة تعتمد على أسلوب العينة المتيسرة.

ت- (75) أم غير مصابة بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن، وقد روعي عند اختيارهن ان يكون مستواهن الاقتصادي والتعليمي وكذلك أعمارهن مماثل قدر الإمكان للمصابات بسرطان الثدي.

إجراءات الدراسة:

تمت مخاطبة مركز الحسين للسرطان وبعد الحصول على الموافقة تم تفقد القاعة التي سوف يتم اللقاء فيها في المركز وذلك لعمل الترتيبات اللازمة لتسهيل عملية تطبيق مقاييس الدراسة.

- قامت الباحثة بكتابة التعليمات على الاستبيان وتم شرح الهدف من الدراسة ووضع أمثله للإجابة على الغلاف للتوضيح كما ذكر أن المعلومات سوف تبقى سريه ولن يطلع عليها أحد وأنها لغايات البحث العلمي فقط ولذلك لم يطلب من أفراد عينة الدراسة كتابة أسمائهم والهدف من ذلك الحصول على إجابات صادقه ودقيقه .
- تم أخذ الموافقات الرسمية لإجراء الدراسة.
- تم تحديد المصابات بسرطان الثدي في مركز الحسين للسرطان.
- تم اختيار عينة الدراسة من المصابات اللواتي لديهن رغبة للمشاركة في الدراسة
- تم تطبيق أدوات الدراسة على عينة الدراسة.
- تم إدخال البيانات إلى الحاسب الآلي وتحليلها باستخدام برنامج SPSS.

أدوات الدراسة

1- مقياس الحياة الهانئة:

قامت الباحثة ببناء مقياس الحياة الهانئة بإتباع الخطوات التالية:

- مراجعة الإطار النظري والدراسات السابقة التي تناولت ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة لدى النساء المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن.
- تم صياغة فقرات الاستبيان بصورته الأولية اعتمادا على الإطار النظري الذي تمت مراجعته، حيث تكون من (41) فقرة.
- تم عرض المقياس على مجموعة من المحكمين، وبناء على ملاحظاتهم تم تعديل المقياس ليتألف في صورته النهائية من 38 فقرة.

صدق المقياس

صدق المحتوى: للتأكد من صدق المحتوى للمقياس تم عرضه على أربعة عشر محكماً من المتخصصين في الجامعة الأردنية، وجامعة العلوم الإسلامية، وجامعة البلقاء التطبيقية، في مجالات علم النفس التربوي، والقياس والتقويم، والنمو؛ للتأكد من مدى ملائمة الفقرات، ووضوح الفقرات، والدقة والصياغة اللغوية، وتحديد نوع الفقرة إيجابية أم سلبية؛ وبناء على اقتراحات المحكمين وملاحظاتهم تم تعديل بعض الفقرات لغوياً، وحذف (3) فقرات من فقرات المقياس، واعتماد (38) فقرة أجمع عليها المحكمون من الأصل (41) فقرة.

ثبات المقياس

تم التحقق من ثبات المقياس بطريقتين

أ- **الاتساق الداخلي**: وذلك من خلال استخدام معادلة كرونباخ ألفا، حيث بلغ معامل الثبات (0.84)، وهي قيمة جيدة ومقبولة لأغراض الدراسة

ب- **الثبات بالإعادة:** حيث تم تطبيق المقياس على عينة مؤلفة من (30) فردا من خارج عينة الدراسة مرتين بفاصل زمني مقداره أسبوعين بين مرتي التطبيق وحساب معامل الارتباط بينهما، وقد بلغ معامل الثبات بالإعادة (0.90)، ويعد هذا العامل مناسباً لأغراض الدراسة.

2- مقياس اضطراب ضغط ما بعد الصدمة Post traumatic stress Disorders Test (PCL) 1994

وهو من إعداد (Russell, 1994) الذي صمم المقياس وفق معايير الدليل التشخيصي لاضطرابات العقلية (DSM-1994)، وقد قامت الباحثة أسماء النجار (2010) بتعريبه والتحقق من صدق المحتوى والصدق التمييزي للمقياس، وحساب معامل الثبات بطريقتي الإعادة والاتساق الداخلي حيث كان معامل الثبات المحسوب بهاتين الطريقتين على التوالي (0.96) (0.90). وقد قامت الباحثة بحساب معامل الثبات للمقياس بطريقة الاتساق الداخلي وذلك بعد تطبيقه على عينة استطلاعية مكونة من 70 فرد حيث بلغ معامل الارتباط (0.91) .

مقياس التكيف النفسي:

تم إعداد مقياس التكيف النفسي من قبل جبريل (1995)، حيث تكون من 40 فقرة، وقد قام معد المقياس بالتحقق من صدق المقياس من خلال استخراج الصدق المنطقي للاختبار بعرضه على عشرة محكمين في التربية وعلم النفس، كما تم الحصول على الصدق التمييزي للمقياس عن طريق مقارنة الأداء على المقياس في مجموعتين متطرفتين في الخصائص التقويمية التي وضع المقياس لقياسها وقد تم تصنيف أولئك الطلبة بواسطة المرشد النفسي بالاشتراك مع معلم واحد زودوا بمعلومات كافية عن التكيف النفسي وبالتالي تم تصنيفهم على عينة مؤلفة من (60) طالبا نصفهم ضمن مجموعة التكيف الايجابي والنصف الآخر ضمن مجموعة التكيف السلبي. وبعد التطبيق تبين أن المقياس قادر على التمييز حيث كانت قيمة (ت =5.7) بدرجة حرية (58) وهذه القيمة دالة عند مستوى دلالة (0.001).

كما قامت الباحثة بالتحقق من ثبات الاختبار بطريقة إعادة الاختبار حيث بلغ معامل ثبات التكيف النفسي 0.94 .

متغيرات الدراسة

- المتغيرات التابعة (ضغط ما بعد الصدمة، التكيف النفسي، الحياة الهانئة)
- المتغير المستقل الإصابة بالسرطان وله مستويان (الأم مصابة بالسرطان، الأم غير مصابة بالسرطان)

المعالجة الإحصائية

للإجابة عن الأسئلة الثلاث الأولى تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المصابات بسرطان الثدي على كل فقرة من فقرات المقاييس الثلاث وهي (مقياس مستوى ضغط ما بعد الصدمة، التكيف النفسي، الحياة الهانئة) وللدرجة الكلية أيضا على هذه المقاييس، وللإجابة عن السؤال الرابع والخامس والسادس فقد تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الأمهات وأزواجهن وبناتهن على المقاييس المستخدمة في الدراسة وفقا لمتغير الإصابة (الأم مصابة بالسرطان، غير مصابة) واستخدام اختبار ت للحكم على دلالة هذه الفروق بين المتوسطات الحسابية.

النتائج:

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة لدى السيدات المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن وقد عمدت الدراسة إلى الإجابة عن الاسئله التالية، وكانت النتائج كالآتي:

س1 هل توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى ضغط ما بعد الصدمة، ومستوى التكيف النفسي، ومستوى الحياة الهانئة بين المصابات بسرطان الثدي وغير المصابات بسرطان الثدي؟

للإجابة عن السؤال الأول تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف النفسي ومستوى الحياة الهانئة للمصابات وغير المصابات بسرطان الثدي، كما تم استخدام اختبار ت للتحقق من دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية وفيما يلي عرض لهذه النتائج:-

نتائج اختبار ت لدلالة الفروق في ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي ومستوى الحياة الهانئة بين المصابات بسرطان الثدي و غير المصابات بسرطان الثدي

المقياس		العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة
ضغط ما بعد الصدمة	غير مصابات	75	33.96	5.05	45.74	148	0.000
	مصابات	75	71.43	4.98			
التكيف النفسي	غير مصابات	75	121.03	9.15	14.06	148	0.000
	مصابات	75	101.40	7.89			
الحياة الهانئة	غير مصابات	75	106.92	8.70	5.58	148	0.000
	مصابات	75	99.59	7.34			

يتضح من الجدول رقم (1) ما يلي:

- وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى ضغط ما بعد الصدمة بين المصابات وغير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت قيمة ت (45.74)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)،وقد كانت هذه الفروق لصالح المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت المتوسط الحسابي للمصابات (71.43)، ولغير المصابات (33.96).
- وجود فروق دالة إحصائيا في التكيف النفسي بين المصابات وغير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت قيمة ت (14.06)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)، وقد كانت هذه الفروق لصالح غير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت المتوسط الحسابي لغير المصابات (121.03)، وللمصابات (101.40).
- وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الحياة الهانئة بين المصابات وغير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت قيمة ت (5.58)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α =0.05)، وقد كانت هذه الفروق لصالح غير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت المتوسط الحسابي لغير المصابات (106.92)، وللمصابات (99.59).

س2 هل توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α =0.05) في مستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف النفسي بين أزواج المصابات بسرطان الثدي وأزواج غير المصابات بسرطان الثدي؟

للإجابة عن السؤال الثاني تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف لأزواج للمصابات وأزواج غير المصابات بسرطان الثدي، كما تم استخدام اختبار ت للتحقق من دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية وفيما يلي عرض لهذه النتائج:-

جدول 2. نتائج اختبار ت لدلالة الفروق في ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي بين أزواج المصابات بسرطان الثدي وأزواج غير المصابات بسرطان الثدي

المقياس		العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة
ضغط ما بعد الصدمة	غير مصابات	75	36.07	6.28	20.15	148	0.000
	مصابات	75	55.16	5.28			
التكيف النفسي	غير مصابات	75	106.59	10.11	0.94	148	0.349
	مصابات	75	104.92	11.58			

يتضح من الجدول رقم (2) ما يلي:

- وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى ضغط ما بعد الصدمة بين أزواج المصابات وأزواج غير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت قيمة ت (20.15)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)،وقد كانت هذه الفروق لصالح أزواج المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت المتوسط الحسابي لأزواج المصابات (55.16)، وأزواج غير المصابات بسرطان الثدي (36.07).
- عدم وجود فروق دالة إحصائيا في التكيف النفسي بين أزواج المصابات وأزوج غير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت قيمة ت (0.94).

س3 هل توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α =0.05) في مستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف النفسي بين بنات المصابات بسرطان الثدي وبنات غير المصابات بسرطان الثدي؟

للإجابة عن السؤال الثالث تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف لبنات المصابات بسرطان الثدي وبنات غير المصابات بسرطان الثدي، كما تم استخدام اختبار ت للتحقق من دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية وفيما يلي عرض لهذه النتائج:-

جدول 3. نتائج اختبار ت لدلالة الفروق في ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي بين بنات المصابات بسرطان الثدي وبنات غير المصابات بسرطان الثدي

المقياس		العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة
ضغط ما بعد الصدمة	غير مصابات	50	32.56	7.18	27.06	98	0.000
	مصابات	50	70.52	6.85			
التكيف النفسي	غير مصابات	50	109.72	11.18	0.25	98	0.805
	مصابات	50	109.16	11.40			

يتضح من الجدول رقم (3) ما يلي:

- وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى ضغط ما بعد الصدمة بين بنات المصابات وبنات غير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت قيمة ت (27.06)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)، وقد كانت هذه الفروق لصالح بنات المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت المتوسط الحسابي لبنات المصابات (70.52)، ولبنات غير المصابات بسرطان الثدي (32.56).
- عدم وجود فروق دالة إحصائيا في التكيف النفسي بين بنات المصابات وبنات غير المصابات بسرطان الثدي، حيث كانت قيمة ت (0.25).

س4 هل يختلف مستوى التكيف ومستوى الحياة الهانئة لدى المصابات بسرطان الثدي باختلاف مستوى ضغط ما بعد الصدمة ؟

للإجابة عن السؤال الثالث تم تقسيم عينة الدراسة إلى مصابات لديهن ضغط ما بعد الصدمة مرتفع ومصابات لديهن ضغط ما بعد الصدمة منخفض اعتماد على قيمة الوسيط، ثم تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى ضغط ما بعد الصدمة ومستوى التكيف لكلا الفئتين واستخدام اختبار ت للتحقق من دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية وفيما يلي عرض لهذه النتائج:-

جدول 4، نتائج اختبار ت لدلالة الفروق في مستوى التكيف النفسي ومستوى الحياة الهانئة بين المصابات بسرطان الثدي اللواتي كان لديهم مستوى ضغط ما بعد الصدمة منخفضا واللواتي كان لديهم مستوى ضغط ما بعد الصدمة مرتفعا

المقياس	الضغط النفسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة
التكيف النفسي	منخفض	75	121.03	9.15	14.06	148	0.000
	مرتفع	75	101.40	7.89			
الحياة الهانئة	منخفض	75	106.92	8.70	5.58	148	0.000
	مرتفع	75	99.59	7.34			

-

- وجود فروق دالة إحصائيا في التكيف النفسي بين المصابات بسرطان الثدي ممن كان لديهن ضغط ما بعد الصدمة منخفض والمصابات اللواتي كان لديهم ضغط ما بعد الصدمة مرتفع، حيث كانت قيمة ت (14.06)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)، وقد كانت هذه الفروق المصابات بسرطان الثدي اللواتي كان لديهن ضغط ما بعد الصدمة منخفضا.
- وجود فروق دالة إحصائيا في الحياة الهانئة بين المصابات بسرطان الثدي ممن كان لديهن ضغط ما بعد الصدمة منخفض والمصابات اللواتي كان لديهم ضغط ما بعد الصدمة مرتفع، حيث كانت قيمة ت (5.58)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)، وقد كانت هذه الفروق المصابات بسرطان الثدي اللواتي كان لديهن الضغط ما بعد الصدمة منخفضا.

مناقشه النتائج:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة لدى المصابات بسرطان الثدي وأزواجهن وبناتهن من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

1. ما مستوى ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة لدى المصابات بسرطان الثدي وغير المصابات بسرطان الثدي؟
2. ما مستوى ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة لدى أزواج المصابات بسرطان الثدي وغير المصابات بسرطان الثدي؟
3. ما مستوى ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي والحياة الهانئة لدى بنات المصابات بسرطان الثدي وبنات غير المصابات بسرطان الثدي؟

وقد أظهرت نتائج الدراسة من خلال استخدام نتائج تحليل ت لوجود الفروق ذات دلاله إحصائية عند مستوى الدلالة (a=0.05) في الأداء بين المصابات وغير المصابات على مقياس اضطراب ما بعد الصدمة ولصالح المجموعة الغير مصابة مما يشير إلى فروق واضحة بين المجموعة المصابة مقابل المجموعة الغير مصابه.

وقد أظهرت نتائج الدراسة من خلال استخدام نتائج تحليل ت وجود فروق ذات دلاله احصائيا عند مستوى دلالة (a=0.05) في الأداء بين المصابات وغير المصابات على مقياس التكيف النفسي ولصالح المجموعة الغير مصابه مما يشير إلى وجود فروق واضحة بين المجموعة المصابة مقابل المجموعة الغير المصابة.وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة كاثرين وزملاؤه (2006) ونتيجة دراسة Costanzo,2006

وقد أظهرت نتائج الدراسة من خلال استخدام تحليل التباين للمتوسطات لأفراد الدراسة وجود فروق ذات دلاله احصائيا عند مستوى الدلالة(a=0.05) في الأداء بين المجموعة المصابة بسرطان الثدي والمجموعة غير المصابة على مقياس الحياة الهانئة لصالح المجموعة غير المصابة .وقد اتفقت نتيجة الدراسة مع نتيجة دراسة الين وزملاؤه (Ellyn,et al, 2009) وقد أظهرت نتائج الدراسة من خلال استخدام تحليل التباين للمتوسطات لأفراد الدراسة وجود فروق ذات دلاله إحصائيا عند مستوى دلالة (0.05) في الأداء بين أزواج المصابات بسرطان الثدي على مقياس ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي بين أزواج المصابات بسرطان الثدي وأزواج غير المصابات بسرطان الثدي ولصالح أزواج غير المصابات بسرطان الثدي . وقد أظهرت نتائج الدراسة من خلال استخدام تحليل التباين للمتوسطات لأفراد الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائيا عند مستوى دلالة (a=0.05) في الأداء بين بنات المصابات بسرطان الثدي على مقياس ضغط ما بعد الصدمة والتكيف النفسي ولصالح بنات الغير مصابات بسرطان الثدي.

وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة كرامير وآخرون (Kramer, et.al 2011) ودراسة كاثرين وآخرون (Kathren et, al. 2006)) ودراسة كوهين وآخرون (2005) ودراسة وايس (weises, 2000) ودراسة ستيلا وماكيلا (Stella & Maciel, 2009) ودراسة رود وأربور(Road & Arbor, 2000) ودراسة وايس وتزيبي (weiss, Tzipi, 2002) ودراسة الين وآخرون (Ellyn,et al.2009).

التوصيات

1. حث وسائل الإعلام المرئية والمسموعة على الاهتمام بالبرامج التي تشجع على الاكتشاف المبكر لهذا المرض، ومدى حجم الإصابة به.
2. توسيع مراكز علاج المرض لتصل إلى كافة محافظات المملكة.
3. إجبارية الفحص عن مرض سرطان الثدي للنساء في الأردن في سن معين وفق معايير مدروسة.

المراجع :

المراجع العربية:

- جمعية مكافحة السرطان الأردنية، (2002) "ما تحتاج أن تعرفه عن السرطان"، **جمعية مكافحة السرطان الأردنية**، 3146، عمان، الأردن.
- خليل، رانيا جميل (1999-2000) "**استقصاء آفات الثدي**: دراسة ميدانيه على عينه من المريضات في مشفى الأسد الجامعي الطبي النووي"، سوريا.
- الرفاعي، نعيم(1987):**الصحة النفسية: دراسة في سيكولوجيه التكيف** .الطبعة السابعة.جامعة دمشق.
- وزارة الصحة (2010).السجل الوطني للسرطان،**www.jcr@moh.gov.jo**
- النجار، أسماء(2010) **أثر برنامج علاجي لخفض أعراض اضطراب ما بعد الصدمة وتحسين التكيف النفسي لدى عينة من المراهقين العراقيين المقيمين في الأردن** .رسالة دكتوراه غير منشوره، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن.
- اليونيسيف(2008)،توفير الحماية والرعاية النفسية والاجتماعية للأطفال في أوضاع الأزمات: دليل تدريبي، عمان، الأردن: اليونيسيف.

- **المراجع الانجليزية:**

✓ Bert A.Boyer,Denise B, Sheri R (2005). Jacobs, Michelle L.Knolls Valerie D. Harwell, and magdolen, G. Posttraumatic stress in women with breast cancer and their daughters. **The American journal of family therapy**, 30: 323-338.

Costanzo,E.(2006).Post-treatment adjustment and behavior change among women with breast cancer. **http:ir.uioea.edu/etd/56.**

✓ Catherine E.Mosher, MA.Sharon, D, (2006) Post- Traumatic growth and psychological adjustment of daughters of breast cancer survivors. **Journal oncology nursing forum,** V.33(v3), P543-551.

✓ Choen, M.Pollacksh. (2005). Mothers with breast cancer and their adult daughters: the relationship between mothers, reaction to breast cancer and their daughters emotional and neuroimmune status. **Psychosomatic medicine** 67: 64-71.

✓ Corney,S(2005).The impact of breast cancer on couple satisfaction and quality of life :areview of the literature.

✓ **www.oneplusone.org.uk**

✓ Costanso. E.(2006). Post- treatment and behavior change among women with breast cancer lowa research online: Http://ir.uiowa.edu/etd/56.

Diagnostic and Statistical Mental Disorders, DSM-IV-TR (2000), Washington, D.C: American Psychiatric Association.

- Felicity,H.Nick,B&Barry,K.(2005).Positive Psychology Resources,well-being,Overview,centreforconfidence **http://www.systemic.org.uk/id60.html**.
- Google Answers, prof-ga, (2002). Human Psychological Wellbeing.
- **http://answers.google.com/answers/threadview/id/32811.htm/25/10/2010**
- Goss,P.(2000).**The Effects of Type of Surgery and Time on Psychological Adjustment in women After Breast Cancer Treatment.Annals of Surgical Oncology**,7(6):427-434.
- Kramer,Lia mistanton, Annettel.,Meyerowitz,beth E., Rowland, JuliaH.,Ganz,Patricia A (2011)Alogintudinal examination of couples coping stragies as predictors of adjustment to breast cancer. **Journal of family psychology**, Sep19. No. pagination specified.
- Kenya R. Urcuyo, AmyE.boyers, Charles S. Carver, Michael H. Antoni. (2005). Finding benefit in breast cancer: Relations with personality, coping and concurrent well-being**. Journal of Psychology and health.** 20(2): 175-192.
- Stella G. (Maciel. (2009) **Breast cancer and the couple relationship capella university** p.p 147.
- Taylor N, (2005) **perceived threat in daughters of women with breast cancer proguest information and learning company**.
- Taylor,K.,Lamdan,R.,Siegel,J.,Shelby,R.,Hrywna,M.,AND Moran-Klimi,K.(2002).Treatment Regimen,Sexual Attractiveness Concerns and Psychological Adjustment Among African American Breast Cancer Patients. **Psycho-Oncology Journal**,11(6):505-517.
- Yazdani,F,.(2006).**Subjective Well-Being Among University Students Through The Model of Human Occupation, An Unpuplished PH.D Thesis,Amman**,Jordan University.
- Cohen,L,Hack,T.,DeMOOR,C.,Katz,J.andWeisst,T. (2000). Posttraumatic growth in husbands of women with breast cancer. Adelphi university School of social work garden city.
- Weiss, Tzipi. (2004) posttraumatic growth in women with breast cancer and their husbands. **Journal of psychology oncology**, V20(z) 65-80.

عزيزي/عزيزتي

ضع إشارة (×) في الخانة التي تصف شعورك.أرجو الإجابة بكل صدق وموضوعية حيث لا توجد إجابة صحيحة أو خاطئة.

الرقم	العبارات	أبدا	قليلا	أحيانا	معظم الوقت	دائما
1	أشعر إنني إنسان له قيمة					
2	أعاني من تقلبات في المزاج دون معرفة السبب					
3	أتعاون مع أفراد أسرتي					
4	اجرح عند الضرورة شعور الآخرين					
5	لا أثق بنفسي					
6	اشعر بالسعادة					
7	تحدث خلافات بيني وبين أفراد أسرتي					
8	أتمتع بشعبية بين معارفي وأصدقائي					
9	اجعل حياتي مليئة بالتفاؤل					
10	اشعر بالحزن والاكتئاب					
11	أحب أفراد أسرتي					
12	أتجنب مقابلة الغرباء					
13	أتمنى لو كنت شخصا أفضل مما أنا عليه					
14	أحب نفسي					
15	اشعر أن أفراد أسرتي لا يحبون بعضهم					
16	أشارك في النشاط الاجتماعي					
17	لا استسلم للفشل وأحاول من جديد					
18	أشكو من القلق					
19	أثق في أفراد أسرتي					
20	اشعر أن معارفي يغارون مني.					
21	اشعر إنني مظلوم وسيء الحظ(مظلومة وسيئة الحظ)					
22	لا أغضب بسرعة					
23	اشعر إنني غريب(غريبة) بين أفراد أسرتي					
24	أتقبل نقد الآخرين					
25	اعدل من أفكاري أو سلوكي عند الضرورة					
26	اشعر برغبة في البكاء					
27	أتشاور مع أفراد أسرتي في اتخاذ قراراتي					
28	اشعر أن معاملة الآخرين لي سيئة					
29	اشعر إنني أقل من غيري					
30	أشعر أنه ليس من السهل جرح مشاعري					
31	اشعر أن وضع أسرتي يحد من حريتي					
32	اشعر أن علاقاتي حسنة مع الآخرين					
33	اعمل على حل المشكلات التي تواجهني					
34	اشعر بالتململ وعدم الرغبة في الاستقرار في مكان معين					
35	أحب إن اقضي كثيرا من الوقت مع أفراد أسرتي					

36	اشعر بالراحة إذا التزم الآخرون لإرادتي					
37	أتردد كثيرا قبل قبولي بالأمور					
38	اشعر أن حياتي مليئة بالفرح					
39	أتمنى لو كنت من أسرة غير أسرتي					
40	أتطوع لتقديم المساعدة لمن يحتاجها					

تصميم برنامج تدريبي مقترح يعتمد على مهارات الذكاء الوجداني لخفض مستوى العصابية لدى عينة من طلبة البكالوريا
– دراسة ميدانية بولاية الأغواط-

أ.قويدري علي
جامعة عمار ثليجي الأغواط

الملخص

تهدف الدراسة إلى قياس مدى فعالية برنامج تدريبي مقترح في تنمية الذكاء الوجداني لدى عينة من طلبة البكالوريا بثانويات ولاية الأغواط من الفئة العمرية (17-19)، والتعرف على تأثير هذا البرنامج في خفض مستوى العصابية لديهم. وقسمت عينة الدراسة إلى مجموعتين بطريقة عشوائية مجموعة تجريبية: تتكون من (20) طالبا يطبق عليهم برنامج تدريبي من إعداد الباحث، ومجموعة ضابطة: تتكون من (20) طالبا من طلاب السنة ثالثة ثانوي لم يطبق عليهم البرنامج التدريبي، وقد استخدم الباحث مقياس الذكاء الوجداني، ومقياس العصابية، واستمارة تقييم الحصص التدريبية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس الذكاء الوجداني – و أبعاده الفرعية - لصالح القياس البعدي، ووجود فروق بين متوسطات درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي -بعد تطبيق البرنامج - على مقياس الذكاء الوجداني، لصالح المجموعة التجريبية، ووجود فروق بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس العصابية -وذلك لصالح القياس القبلي، ووجود فروق بين متوسطات درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي بعد تطبيق البرنامج على مقياس العصابية، لصالح المجموعة الضابطة. وعدم وجود فروق بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في القياس التتبعي في كل من مقياس الذكاء الوجداني والعصابية.

The study aims to measure the effectiveness of the proposed training program in the development of emotional intelligence in a sample of baccalaureate Secondary state Laghouat aged students (17-19), and to identify the impact of this program is to reduce the level of neuroticism have a level. And divided the study sample into two groups at random experimental group: consists of 20 students applied to them training program prepared by the researcher, and a control group: consists of 20 students from year students a third secondary has not applied to them the training program, the researcher has used a measure of emotional intelligence , and the the measure of neuroticism, and evaluation of training sessions form, and study results to the presence of statistically significant differences between the averages of Order Group of the experimental in the two measurements pre and post on a scale of emotional intelligence - and the dimensions of the sub - for the benefit of telemetric, and the existence of differences between the mean scores two groups experimental

and control measurement - after the application of the program - on a scale of emotional intelligence, in favor of the experimental group, and the existence of differences Between the mean group scores of the experimental in the two measurements pre and post on a sub-scale neuroticism - for the benefit of measurement tribal, and the existence of differences between the mean scores of the two groups experimental and control in telemetric after applying the program and gauge neuroticism, in favor of the control group. And the lack of differences between the mean scores of the experimental group in the iterative measurement in each of emotional intelligence, and neuroticism scale.

أولا: مشكلة البحث:

تبدو أهمية الذكاء الوجداني خصوصا ونحن في بداية الألفية الثالثة، حيث نجد المجتمع يواجه العديد من المشكلات المتعلقة بالمجال السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وليس هناك شك في أن الحلول لمعظم هذه المشكلات التي تسبب الضيق والقلق للمجتمع هو أن يمتلك الفرد ليس فقط للقدرات الفكرية المطورة بطريقة جيدة بل عليهم أيضا أن يمتلكوا مهارات اجتماعية ووجدانية تتكامل مع المهارات الفكرية لحل هذه المشكلات الراهنة.

فقد ظهرت نظرية الذكاءات المتعددة على يد هوارد جاردنر سنة 1983 التي فسرت الذكاء في ضوء سبعة أنواع من الذكاءات، وهذه النظرية فتحت المجال لنظريات أخرى مثل نظرية الذكاء الوجداني على يد "بار-أون" Bar-on عام 1985 عندما اقترح مصطلح معامل الانفعالية، وظهر الذكاء الوجداني أيضا على يد Mayer et Salovey عندما ألفا كتابا بعنوان "الخيال والمعرفة والشخصية" عام 1990، وأصبح مفهوم الذكاء الوجداني أكثر اتساعا وتداولا على يد دانيال جولمان Danial Golman الذي ألف كتابين عن الذكاء الوجداني عام 1995، 1998 حيث أكد كتابه الأول أن معامل الذكاء IQ يسهم بنسبة 20% فقط من العوامل التي تحدد النجاح في الحياة، بينما تسهم العوامل الأخرى وأهمها الذكاء الوجداني بنسبة 80%. كما أن الغالبية العظمى من الحاصلين على مراكز متميزة في المجتمع لم يحدد معامل الذكاء تميزهم هذا، بل لعوامل أخرى، فالنجاح لا يتوقف فقط على الذكاء العام، إنما يتوقف على ذكاءات متعددة والقدرة على التحكم في الانفعالات والمهارات الشخصية.

ومفهوم الذكاء الوجداني يضم مجموعة كبيرة من المهارات الفردية والميول، يشار إليها بالمهارات داخل الشخص وبين الأشخاص، والتي تقع خارج نطاقات المجالات التقليدية للمعرفة الخاصة والذكاء العام والمهارات الفنية والمهنية، ولكي يؤدي الفرد وظائفه كاملة ويكون متوازنا فلا بد أن يتمتع بالذكاء التقليدي والذكاء الوجداني، حيث إن النجاح في الحياة يحتاج أكثر من مجرد المخ، والفرد يجب أن يكون قادرا على تنمية علاقاته الشخصية والمحافظة عليها، وأن يتيح لنا الفرصة كي نفكر بإبداع وأن نستخدم عواطفنا لحل المشكلات، وبناء على ذلك فإن الذكاء الوجداني يتكون من نظامين: نظام معرفي، ونظام انفعالي، حيث يقوم

النظام المعرفي بالاستدلال المجرد حول الانفعالات، في حين يعزز النظام الانفعالي القدرة المعرفية. **(عبد العظيم المصدر، 2008،ص 589).**

ومن المؤكد أن الذكاء الوجداني يرتبط ارتباطا موجبا ومرتفعا بالصحة النفسية للفرد وبدافعيته للقيام بأدواره الاجتماعية والتعليمية المختلفة. وبقدر ما يتوفر للفرد من عوامل الذكاء الوجداني ومكوناته بقدر ما يتمتع بالانبساط والاتزان الانفعالي ويبتعد عن الانطواء والعصابية حيث تتسع دائرة علاقاته الناجحة المتناغمة وتزداد تفاعلاته الإيجابية وتتنوع مهارته الاجتماعية والحياتية. **(زيدان والإمام، 2003، ص 14)**.كما أن المرحلة الثانوية بجوانبها الاكاديمية والاجتماعية والنفسية والسلوكية تمثل مصادر لضغوط يتعرض لها الطلبة في هذه المرحلة. حيث أن طلبة البكالوريا يعانون من مواقف أزمات عديدة تتمثل في مواجهة الامتحانات والعلاقات مع الزملاء والاساتذة، والمنافسة من أجل النجاح والمشكلات العاطفية، ومن عوامل الضغط التي يتعرض لها الطلبة نجد الصراع مع الآباء والصراع القيمي بين ما هو أصيل وما هو وافد والتخطيط لمستقبل، ومحاولة تأكيد الذات وتحقيقها، وتوصلت دراسة (حسين) 2000 في نتائجها إلى أن الضغوط النفسية لها علاقة وثيقة بضعف التركيز والذاكرة وتضاؤل القدرة على حل المشكلات والإدراك الخاطئ للمواقف والاشخاص، كما إنها تؤدي الى اضطرابات اجتماعية مثل الانسحاب الاجتماعي والشك والعجز عن التوافق الاجتماعي**(حسين 2000، ص:04)**.فضلا على أن مرحلة التعليم الثانوي تقابل أهم مرحلة عمرية وهي مرحلة المراهقة التي تعد الأشد إرهاقا للفرد، ففيها تظهر أزمات المراهقة نتيجة للمتغيرات المتسارعة والمتلاحقة والمتعددة (جسمية، واجتماعية، وعقلية) التي تؤثر على سلوكه وقيمه واتجاهاته وتضاعف من حدة الضغوط النفسية التي يتعرض لها.**(الغندور، وإيمان، 1999، ص:66)**

فالأشخاص الذين يكون قلقهم مرتفعا في مواقف الامتحان أو الأداء، يميلون إلى إدراك المواقف التقويمية على أنها مهددة لهم شخصيا، وهم يميلون للتوتر والكدر والاهتياج الانفعالي في تلك المواقف، وهم أيضا يعايشون انشغالات عقلية سالبة مركزة حول الذات تشتت انتباههم وتتدخل مع التركيز المطلوب أثناء الامتحان فتشوشه وتعرقله. **(Hill ,K ,1984,105-126)**

وهناك بعض البحوث والدراسات قد اهتمت بدراسة علاقة الذكاء الوجداني ببعض سمات الشخصية، منها سمة العصابية، فقد استطاع "آيزنك" في الأربعينيات من هذا القرن استخراج بعد العصابية كعامل مستقل وأساسي في الشخصية، تتميز بالشيوع العالمي من خلال ما أثبتته نتائج الدراسات العاملية المتكررة التي أجريت على عينات مختلفة في الثقافات والحضارات والجنس والعمر ومستوى التعليم والصحة والمرض وغيرها، ونجحت كلها في استخراج هذا العامل.

والعصابية – الاتزان بعد أو متصل متدرج من سوء التوافق وعدم الاتزان الانفعالي وضعف الأنا كطرف إلى حسن التوافق والاتزان الانفعالي وقوة الأنا كطرف مقابل. وهي من المتغيرات الأساسية في الشخصية التي ظهرت فيها فروق فردية واضحة ومتميزة بين الأفراد في الثقافات المختلفة وفي الثقافة الواحدة وبين الجنسين وداخل الجنس الواحد. **(معمرية، 1995، ص 161)**. منها: دراسة "ميورينسك" عام 2000 التي كان من أهدافها دراسة علاقة الذكاء الوجداني بسمات الشخصية الكبرى، أظهرت الدراسة بواسطة معاملات الارتباط بين درجات المديرين (90 مديرا) على قائمة جولمان للكفاءات وجود علاقة سالبة دالة بين الذكاء الوجداني وسمة

العصابية Neuroticism، بينما توجد علاقة موجبة دالة مع سمات الانبساطية والانفتاح على الخبرة والمقبولية الضمير الحي. **(الدردير، 2004، ص 15)** ويميل الأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا البعد إلى أن تكون استجابتهم الانفعالية مبالغ فيها، كما أن لديهم صعوبة في العودة إلى الحالة السوية بعد مرورهم بالخبرات الانفعالية، وتتكرر الشكوى لدى هؤلاء الأشخاص من اضطرابات بدنية غامضة من نوع بسيط مثل الصداع والاضطرابات الهضمية والأرق وآلام الظهر وغيرها، كما يقررون بأن لديهم كثيرا من الهموم والقلق وغيرها من المشاعر الانفعالية السلبية أو السيئة. **(أحمد عبد الخالق،1990، ص72).**

كما تتسم الشخصية العصابية بمجموعة من الخصائص وإن كانت هذه الخصائص تأخذ صورا من حالة لأخرى، وأهم هذه الخصائص بصفة عامة: عدم تحمل الضغوط وسرعة الاستثارة والقلق والخوف وعدم الرضا والشعور بضعف الثقة في الذات والحساسية وإلقاء اللوم على الآخرين أو على الحظ في مواقف الفشل والإحباط وبعض الأعراض النفسية الجسمية كاضطراب الهضم وفقدان الشهية والصداع النصفي والإعياء. **(نبيل سفيان، 2004، ص 177).** ولقد أشارت دراسة (جان أونيل، Oneil Gohn، 1996) إلى أن الذكاء الوجداني يجعل الفرد يتحكم في انفعالاته ويتخذ قرارات صائبة في حياته، ويجعل لدى الفرد الحافز على البقاء متفائلا ويستطيع مواجهة مشكلات العمل وأن يكون متعاطفا مع من حوله أيضا، ويجعله يقيم مع المحيطين به علاقات اجتماعية ناجحة ومنسجمة ويستطيع من خلال معرفته بمشاعر ووجدان وانفعالات المحيطين به أن يكون قادرا على إقناعهم ومن ثم قيادتهم، وتشير الدراسة إلى أن نجاح الفرد في حياته اليومية يتوقف على ما لديه من ذكاء وجداني.**(فراج، 2005، ص 107).**

وفي ضوء ما سبق، ومع قلة البحوث العربية والمحلية التي اهتمت ببناء برامج مقترحة لتنمية الذكاء الوجداني لدى طلبة البكالوريا، جاءت هذه الدراسة للتفكير ببناء برنامج يعتمد على مهارات الذكاء الوجداني لخفض مستوى العصابية لدى عينة من طلبة البكالوريا، فهناك ضرورة اجتماعية وأخلاقية تدعو الى الاهتمام بتنمية الذكاء الوجداني، وخاصة ما نراه من تدني التحصيل الأكاديمي للطلبة وعنف في العلاقات الاجتماعية بين تلاميذ المدارس من مشاحنات وعدوان وعراك وهذه الظاهرة آخذة في الازدياد بشكل متسارع، فضلا عن تدني دافعية الطلبة للذهاب إلى المدرسة جراء الاتجاهات السلبية تجاه المدرسة والمعلمين.

كما أن من أهداف هذه الدراسة هو التحقق من فاعلية برنامج تدريبي يعتمد على مهارات الذكاء الوجداني لخفض الضغوط النفسية ومستوى العصابية لدى عينة من طلبة البكالوريا.

وعليه تتحدد مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

ما مدى فاعلية برنامج تدريبي مقترح يعتمد على مهارات الذكاء الوجداني لخفض العصابية لدى عينة من طلبة البكالوريا؟

1-هل توجد فروق دالة إحصائيا في الذكاء الوجداني بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج المقترح ؟

2- هل توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى العصابية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج المقترح ؟

3-هل توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على أبعاد مقياس الذكاء الوجداني تعزى إلى البرنامج التدريبي المقترح ؟

4-هل توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على مقياس العصابية تعزى إلى البرنامج التدريبي المقترح ؟

ثانيا: فرضيات الدراسة

1-لا توجد فروق دالة إحصائيا في الذكاء الوجداني بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج المقترح.

2-لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى العصابية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج المقترح .

3-لا توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على أبعاد مقياس الذكاء الوجداني .

4-لا توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على مقياس العصابية .

5-لا يتميز البرنامج التدريبي المقترح في هذه الدراسة بقدر كاف من الفعالية.

ثالثا: أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأمور التالية:

1- إعداد برنامج تدريبي لتنمية مهارات الذكاء الوجداني لفائدة طلبة البكالوريا.
2- قياس مدى فعالية البرنامج المقترح في تنمية الذكاء الوجداني لدى طلبة البكالوريا.
3- التعرف على تأثير هذا البرنامج في خفض مستوى العصابية لدى عينة الطلبة.
4- معرفة مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة في مستوى كل من الذكاء الوجداني والعصابية قبل وبعد تطبيق البرنامج.
5- الكشف عن استمرارية تأثير البرنامج بعد تطبيقه بفترة زمنية في تنمية الذكاء الوجداني في خفض مستوى العصابية لدى عينة الطلبة.

رابعا: أهمية الدراسة:

يمكن تقسيم أهمية الدراسة إلى أهمية نظرية، وأهمية تطبيقية.

1-4: الأهمية النظرية:

سعت هذه الدراسة إلى تقديم إضافة علمية جديدة من خلال تناولها موضوع الذكاء الوجداني لدى طلبة الثالثة ثانوي في التنمية الذكاء الوجداني ومهاراته لديهم وفحص أثر ذلك في خفض مستوى العصابية لديهم، كما تسعى هذه الدراسة إلى توعية الطلبة بمشاعرهم واكتساب مهارات ضبط الذات مما يسهم في تحقيق الاستقرار النفسي وبناء منظور إيجابي للذات.

كما تلفت هذه الدراسة الانتباه إلى أهمية الذكاء الوجداني من حيث الاهتمام بدور المشاعر وتنظيم المزاج وتقدير الاستجابات الانفعالية بما يؤدي إلى تكوين سلوكيات متوافقة اجتماعيا وإقامة علاقات، تؤدي إلى تنمية شخصية الطلاب من النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية.

-كما تنبع أهمية الدراسة من كونها تتناول فئة من طلاب المرحلة الثانوية وهي مرحلة تعتبر بمثابة العمود الفقري بالنسبة لمراحل التعليم المختلفة، حيث إنها تضم شبابا في مرحلة متميزة من مراحل نموهم وتعدهم ليكونوا مواطنين صالحين، كما أن الكثير من مشكلات طلاب المرحلة الثانوية نابعة مما يجرى في المجتمع من أحداث وما يحيط به من أزمات.

2-4:الأهمية التطبيقية:

1- إعداد برنامج تدريبي يفيد في تنمية الذكاء الوجداني لخفض مستوى العصابية لدى الطلبة المقبلين على شهادة البكالوريا.

2- تصميم برامج التربية السيكولوجية والتوجيه النفسي والاجتماعي وكذلك التوجيه المدرسي.

3- تحفيز الباحثين والدارسين للقيام بدراسات أخرى تتعلق بمتغيرات البحث الحالي بما يحقق الثراء العلمي للجوانب المعرفية المرتبطة به.

خامسا: منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التجريبي القائم على استخدام المجموعات المتكافئة Equated Groups بطريقة المجموعة التجريبية الواحدة والمجموعة الضابطة الواحدة، مع ضبط التصميم بما يقيد التكافؤ بين المجموعتين من حيث تماثل النزعة المركزية والتشتت لدرجات الاختبار القبلي Pres- test وإيجاد فرق الزيادة بين متوسطي النتائج للاختبار البعدي Post - test للمجموعة التجريبية التي تعرضت للمتغير التجريبي والمجموعة الضابطة، بهدف الوقوف على فعالية البرنامج التدريبي المقترح في تنمية مهارات الذكاء الوجداني لدى أفراد المجموعة التجريبية .
كما أستخدم المنهج الوصفي القائم على استقراء الأدبيات المتوافرة حول الموضوع، وما يستلزمه من عمليات الوصف والتحليل والتفسير في بيان النتائج المترتبة على التجريب.

سادسا: الحدود الزمانية والمكانية للدراسة:

يتحدد مجال الدراسة الحالية بالأبعاد التالية:

1-6 البعد البشري (عينة الدارسة):

بلغ عدد أفراد العينة المسحوبة للدراسة الأساسية 40 طالبا من طلاب السنة الثالثة ثانوي، ينطبق عليهم التعريف الإجرائي لطلاب شهادة البكالوريا، ينتمون إلى القسم الثالث ثانوي بثانويات ولاية الأغواط، تراوحت أعمارهم ما بين17 و19 سنة، بمتوسط عمري قدره 18 سنة، تم اختيارهم من عينة كلية عشوائية من ثلاث ثانويات اختيرت هذه الثانويات بطريقة عشوائية . وبعد تطبيق مقاييس الذكاء الوجداني، ومقياس العصابية، على عينة بلغت 300 طالب من الطلبة المقبلين على شهادة البكالوريا، اختار الباحث منهم الطلبة الأقل درجة في مقياس الذكاء الوجداني، والأكثر درجة في مقياس العصابية.

ثم قام الباحث بعد ذلك بتقسيمهم بطريقة عشوائية إلى مجموعتين متساويتين ومتكافئتين:

مجموعة تجريبية:

تتكون من 20 طالبا من المقبلين على شهادة البكالوريا يخضعون إلى فعاليات البرنامج التدريبي المقترح.

مجموعة ضابطة:

تتكون من 20 طالبا من المقبلين على شهادة البكالوريا لا يخضعون إلى فعاليات البرنامج التدريبي المقترح.

خضعت المجموعتين التجريبية والضابطة إلى قياسات قبلية وقياسات بعدية شملت مجموع الاختبارات المعتمدة في الدراسة، تلقت المجموعة التجريبية بين القياسين فعاليات برنامج تدريبي مقترح، بينما لم تتلق المجموعة الضابطة فعاليات البرنامج .

وبعد انقضاء فترة فاصلة قدرت بشهرين (08 أسابيع)، خضعت المجموعة التجريبية إلى قياس تتبعي شمل مجموع الاختبارات المعتمدة قصد الوقوف على النمو الفعلي الحاصل في مختلف المهارات المستهدفة.

2-6 البعد الجغرافي:

تم اختيار العينات التي أجريت عليها الدراسة بطريقة عشوائية من ثانوية المقاومة الشعبية-ثانوية أبو بكر الحاج عيسى- ثانوية عمر دهينة بولاية الأغواط .

3-6 البعد الزمني:

تم تطبيق أدوات الدراسة من بداية شهر أكتوبر 2014 إلى نهاية شهر ديسمبر 2014، والتأكد من استمرارية تأثير البرنامج بعد تطبيقه بشهرين أي في بداية شهر مارس 2015.

4-6 البعد المنهجي:

تتحدد نتائج الدراسة في ضوء مناهج الدراسة الحالية وأدواتها والمعالجات الإحصائية المستخدمة.

سابعا: أدوات الدراسة:

تم استخدام الأدوات التالية في الدراسة الحالية:

أدوات ضبط العينة:

1- مقياس الذكاء الوجداني (إعداد الباحث)
2- مقياس العصابية (إعداد آيزنك)

أ- أدوات القياس:

1- مقياس الذكاء الوجداني (إعداد الباحث)
2- مقياس العصابية (إعداد آيزنك)
3- البرنامج التدريبي المقترح المستخدم في هذه الدراسة (إعداد الباحث)
4- استمارة تقييم الجلسات التدريبية (إعداد الباحث)

ج-الأدوات الإحصائية:

- اختبارت T.test للعينات المستقلة (Independent samples test)
- المتوسط الحسابي
- الانحراف المعياري
- معامل ألفا كرونباخ (Alpha-Cronbach)

- اختبار "مان-وتني" لحساب دلالة الفروق بين المجموعات الصغيرة، وهي دلالة الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

- اختبار "ويلكوكسن" لحساب دلالة الفروق بين المجموعات الصغيرة، وهي دلالة الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياسين القبلي والبعدي، وأيضا في القياسين البعدي والتتبعي.

- نسبة الكسب المعدل لبلاك لحساب فعالية البرنامج التدريبي المقترح.

- النسب المئوية.

ثامنا: إجراءات الدراسة:

في إطار تنفيذ الدراسة قام الباحث بالخطوات التالية:

- جمع و تحليل الدراسات والبحوث السابقة ذات الصلة بمتغيرات البحث وتوظيفها في مجال الدراسة.

-تصميم أداة من أدوات الدراسة مقياس الذكاء الوجداني خاص بطلبة البكالوريا.

-أخذ رخصة من مديرية التربية لولاية الأغواط للسماح للباحث بتطبيق القياس على طلبة الثانويات

-اختيار بعض الثانويات بولاية الأغواط بطريقة عشوائية لإجراء الدراسة الاستطلاعية والدراسة الأصلية.

-ضبط بقية أدوات الدراسة وإجراء اختبارات الصلاحية من صدق وثبات من خلال إجراء الدراسة الاستطلاعية

-اختيار عينة عشوائية من الطلبة المقبلين على شهادة البكالوريا والبالغ عددهم (300 متمدرس) وتطبيق مقاييس الذكاء الوجداني والعصابية عليهم.

-اختيار 40 طالبا من الذين تحصلوا على نتائج منخفضة في مقياس الذكاء الوجداني ونتائج مرتفعة في كل من مقياس ومقياس العصابية.

- تقسيم الطلبة بطريقة عشوائية إلى مجموعتين متكافئتين مجموعة تجريبية يطبق عليها البرنامج المقترح وعددها (20 طالبا)، ومجموعة ضابطة لا يطبق عليها البرنامج عددها (20 طالبا).

-تنفيذ البرنامج المقترح على أفراد المجموعة التجريبية.

- إجراء القياسات البعدية بالنسبة لمختلف أدوات البحث ورصد نتائج المجموعتين التجريبية والضابطة .

- تقييم الحصص التدريبية وذلك عن طريق استمارة للتقييم الحصص من إعداد الباحث.

- إجراء القياسات التتبعية بالنسبة لأفراد المجموعة التجريبية، وذلك بعد انقضاء فترة زمنية فاصلة قدرت بشهرين (60 يوما).

- تحليل و تفسير النتائج.

-عرض ما توصلت إليه الدراسة من توصيات و مقترحات.

تاسعا: التعريف بمصطلحات الدراسة:

الذكاء الوجداني: تبنى الباحث في هذه الدراسة مفهوم "جولمان" للذكاء الوجداني عام 1998 حيث يعرفه بأنه: "قدرة الفرد على معرفة انفعالاته وأسبابها وقدرته على التعبير عنها وقدرته على ربط مشاعره بما يفكر فيه، وقدرته على تقدير ذاته باكتشاف جوانب القوة والضعف فيها، وتقديره الدقيق لانفعالاته وعواطفه، والثقة

في ذاته وإمكاناتها، وقدرته على ضبط انفعالاته والتحكم فيها، وقدرته على تحمل الضغوط والإحباط لإنجاز الأعمال والتفاؤل والرغبة في التفوق وحساسيته في معرفة واكتشاف انفعالات ومشاعر الآخرين والاستماع إلى مشاكلهم والسعي إلى حلها، وقدرته على تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين وفهمهم والاتصال بهم، والتأثير فيهم بتطوير بعض سلوكياتهم وتدعيم قدراتهم وحل الخلافات والمنازعات بينهم، وقدرته على أداء الأدوار القيادية بنجاح، والعمل بصورة فاعلة مع فريق عمل متميز". **(الدردير، 2004، ص.ص 30-31)** .

في ضوء ذلك يمكن تحديد الذكاء الوجداني في الدراسة الحالية في الأبعاد التالية: الوعي بالذات، إدارة الانفعالات، الدافعية، التعاطف، المهارات الاجتماعية.

العصابية: العصابية Neuroticisme مقابل الإتزان الانفعالي بعد أساسي في الشخصية، يشير إلى الاستعداد للإصابة بالاضطراب النفسي أي العصاب Neurosis، وحتى يظهر العصاب الفعلي فلا بد أن يتوافر إلى جانب الدرجة المرتفعة من العصابية قدر مرتفع من الضغوط البيئية الخارجية أو الداخلية أي المشقة أو الإنعصاب Stress لأن: العصاب=العصابية x الإنعصاب أو المشقة **(أحمد عبد الخالق، 1996، ص72).**

ويعتقد "أيزنك" أن العصابية قد تعتبر جزئيا مماثلة لضعف الإرادة أو في القدرة على المثابرة في السلوك المدفوع، ويفسر "أيزنك" نتائج الفرد الحاصل على درجة مرتفعة على بعد العصابية هو شخص يشكو قصورا في العقل والجسم، وذكاءه نحو المتوسط وكذلك إرادته وقدرته على الضبط الانفعالي ودقة إحساسه وقدرته على التعبير عن نفسه، وهو قابل للإيحاء تنقصه المثابرة وبطيئ التفكير والعمل وغير اجتماعي وينزع إلى كبت الحقائق غير السارة .

طلبة شهادة البكالوريا: هم الطلبة النظاميون الذين يدرسون في السنة الثالثة ثانوي للموسم الدراسي 2014-2015 والمقبلون على اجتياز امتحان البكالوريا لأول مرة.

فاعلية : أوضح أحمد زكي بدوي أن الفاعلية هي القدرة على تحقيق النتيجة المقصودة طبقا لمعايير محددة مسبقا **(أحمد زكي بدوي، 1980، ص 140).**

وتعرف الفاعلية إجرائيا في هذه الدراسة بأنها مدى الأثر الذي يمكن أن يحدثه البرنامج التدريبي المقترح في تنمية الذكاء الوجداني لدى عينة من طلبة البكالوريا.

البرنامج: تعريف معجم مصطلحات التربية والتعليم بأنه: جميع الدروس في أحد الحقول الدراسية التي تنظم معا لتحقيق أهداف واحدة عامة أو تسير في اتجاه واحد **(أحمد زكي بدوي، 1980، ص 205).**

ويعرف البرنامج التدريبي المقترح إجرائيا في هذه الدراسة: بأنه مجموعة من الخطوات والإجراءات لمساعدة الطالب المقبل على شهادة البكالوريا على تنمية مهارات ذكاءه الوجداني.

عاشرا: البحوث والدراسات السابقة

بحوث و دراسات تناولت برامج في تنمية الذكاء الوجداني

1-دراسة كريتس Curtis,L (2000): التي اهتمت بتقييم المخرجات المرتبطة بتنمية الذكاء الوجداني ومفهوم الذات، وهدفت الدراسة إلى تعزيز معرفة الطلاب بذاتهم وبالآخرين، وتقديم مناهج ابتكارية للطلاب تركز على مكونات الذكاء الوجداني، وقد اختيرت ثلاث مجموعات من الطلاب من فصول اللغة الأنجليزية والدراسات الاجتماعية وعلم النفس ومجموعة من المتطوعين، تم تصميم ثلاث أدوات تقييم ذاتية تم تطبيقها في

القياس القبلي والبعدي، وقد تم عمل مقارنات ما إذا كان هناك دلالة لاستخدام المنهج الجديد، وتم استخدام اختيار (ت) وتحليل التباين لتحليل البيانات، وأسفرت النتائج عن وجود دلالة إحصائية لمهارات الذكاء الوجداني داخل المجموعات وبين المجموعات، فالمتغير الذي أظهر دلالة هو مفهوم الذات، وكانت المجموعة المتطوعة أفضل المجموعات من حيث نمو الذكاء الوجداني.

2-دراسة الخوالدة (2003): هدفت هذه الدراسة التي عنوانها " أثر برنامج تدريبي لتطوير مهارات الذكاء الانفعالي في التحصيل الاكاديمي لطلبة الصف السادس الاساسي في مبحث التربية الاسلامية" إلى التعرف على أثر تطبيق برنامج لتطوير مهارات الذكاء الانفعالي في التحصيل الأكاديمي لطلبة الصف السادس الأساسي في مبحث التربية الإسلامية باختلاف جنسهم. وقد تكون أفراد الدراسة من (1243) طالباً وطالبة من طلبة الصف السادس في مديرية مأدبا، وعيّن عشوائيا شعبتين بلغ عدد شعب الذكور شعبتين: شعبة للمجموعة التجريبية وأخرى ضابطة بواقع (30) طالباً في كل شعبة، كما بلغ عدد شعب الإناث شعبتين صفيتين: شعبة للمجموعة التجريبية وأخرى ضابطة بواقع (30) طالبةً في كل شعبة. ولجمع البيانات قام الباحث بتطوير برنامج لتنمية الذكاء الوجداني. كما تم تطوير اختبار للتحصيل في مبحث التربية الاسلامية مكون من (50) فقرة. وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية ($\alpha = 0.05$) في متوسطات إجابات أفراد عينة الدراسة على اختبار التحصيل في مستوى المعرفة ومستوى الفهم والاستيعاب ومستوى المهارات العقلية العليا تعزى إلى البرنامج التدريبي ولصالح المجموعة التجريبية، في حين لم يظهر أثر للجنس أو للتفاعل بين الجنس والطريقة في اختلاف متوسطات درجات مجموعات الدراسة على اختبار التحصيل ككل.

3-دراسة توم Thom (2004): حيث قام بعمل برنامج لتنمية مهارات الذكاء الوجداني والانفعالات الإيجابية وتأثيره على مواجهة الضغوط لدى الطلاب واتبع الباحث المنهج التجريبي مع عينة قوامها 99 طالبا، تكونت المجموعة التجريبية من 62 طالبا والمجموعة الضابطة من 37 طالبا، واستخدم الباحث القياس القبلي والبعدي بتطبيق عدد من الأدوات منها قائمة الذكاء الوجداني لبار-أون، مقياس القلق STAI، كما استطاع الباحث أن يتتبع قياس نبضات القلب للطلاب باستخدام مقياس (HRV) أثناء التجربة واستمر البرنامج ثلاثة أشهر تعرضت فيه المجموعة التجريبية لبعض المواقف الإيجابية وأحداث اجتماعية حياتية، وأسفرت النتائج عن وجود ارتباط دال إحصائيا بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية، حيث استطاعوا أن يستفيدوا من الخبرات الإيجابية في مقاومة القلق والضغوط، وأن الطلاب الذين يستفيدون من المواقف الإيجابية هم الذين حققوا درجات مرتفعة على مقياس الذكاء الوجداني.

4-دراسة فاطمة بركات 2010: تهدف الدراسة إلي التعرف على فعالية برنامج إرشادي نفسي ديني لتنمية مهارات الذكاء الوجداني في ضوء نموذج بار-أون لدي مجموعة من الفتيات المراهقات، تكونت عينة الدراسة من 16 طالبة منهم 08 طالبات مجموعة تجريبية 08 طالبات مجموعة ضابطة تتراوح أعمارهن من 14-16 من محافظة القاهرة، حيث كان عدد الجلسات للبرنامج 12 جلسة بمعدل جلستين أسبوعا، وقد استغرقت كل جلسة نحو 60 دقيقة، وتوصلت نتائج الدراسة إلي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية على مقياس الذكاء الوجداني (الدرجة الكلية والأبعاد) لصالح القياس البعدي،

ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس الذكاء الوجداني (الدرجة الكلية والأبعاد) لصالح المجموعة التجريبية.

5-دراسة محمود الخولي (2010): تهدف الدراسة إلى قياس مدى فعالية البرنامج الإرشادي في تنمية الذكاء الوجداني لدى المراهقين الذكور من طلاب المدارس الثانوية الفنية، والتعرف على تأثير هذا البرنامج في خفض حدة سلوك العدواني لدى المراهقين الذكور من طلاب المدارس الثانوية الفنية، تم اختيار عينة الدراسة من طلاب الصف الثالث الثانوي الفني المراهقين الذكور بمحافظة البحيرة من مدرسة دمنهور الثانوية الصناعية للبنين من الفئة العمرية (16-19 سنة) وذلك بطريقة عمدية. وتقسم عينة الدراسة إلى مجموعتين كما يلي :مجموعة تجريبية: تتكون من (15) طالب من المراهقين الذكور من طلاب الثانوي الفني، ويتم تطبيق عليهم البرنامج، ومجموعة ضابطة:تتكون من (15) طالب من المراهقين الذكور من طلاب الثانوي الفني، ولم يتعرضوا لأي نوع م الإرشاد، ولم يطبق عليهم البرنامج الإرشادي، وقد استخدم الباحث مقياس السلوك العدواني، ومقياس الذكاء الوجداني، ومقياس المستوى الثقافي، استمارة تقييم الجلسات الإرشادية، البرنامج الإرشادي، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس الذكاء الوجداني – و أبعاده الفرعية - وذلك لصالح القياس البعدي، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي -بعد تطبيق البرنامج - على مقياس الذكاء الوجداني، لصالح المجموعة التجريبية ، ووجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس السلوك العدواني – و أبعاده الفرعية - وذلك لصالح القياس القبلي ، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي بعد تطبيق البرنامج على مقياس السلوك العدواني، لصالح المجموعة الضابطة.

تعليق على الدراسات السابقة :

- على الرغم من هذا الاهتمام من قبل الباحثين إلا أنه نلاحظ قلة الدراسات – في حدود علم الباحث- التي تناولت الذكاء الوجداني وسمة العصابية كسمة منفردة. حيث نجد غالبا مجموعة من الدراسات التي تناولت الذكاء الوجداني وعلاقته بسمات الشخصية في آن واحد.

- قلة الدراسات – في حدود علم الباحث – على مستوى البيئة الجزائرية بصفة عامة والبيئة المحلية بصفة خاصة حول تصميم برامج تعتمد على مهارات الذكاء الوجداني للتخفيف من مستوى العصابية لدى على طلبة سنة ثالثة ثانوي، مما ارتأى بالباحث أن يختار هذا الموضوع للدراسة.

- من خلال استعراض الدراسات السابقة التي بحثت موضوع الذكاء الوجداني يتضح أنّ الذكاء الوجداني مرتبط بالعملية التربوية ككل، وأحد مفاتيح تحسين التكيّف الأكاديمي والاجتماعي واتجاهات الطلبة نحو المدرسة والثانوية والجامعة وذلك في جميع الدراسات التي تناولت موضوع الذكاء الوجداني.

-إن المتتبع للدراسات التي تم استعراضها يلاحظ قلة الدراسات التي تناولت متغيرات الدراسة الحالية لدى الطلبة السنة ثالثة ثانوي المقبلون على اجتياز شهادة البكالوريا، كما يلاحظ أنه في الوقت الذي بات موضوع الذكاء الوجداني يشغل بال الباحثين والمهتمين والعاملين مع الطلبة، إلا أن الميدان التربوي العربي

والأجنبي لم يعط هذا الموضوع الاهتمام الكافي من حيث الدراسة والاستقصاء وفقا للمتغيرات التي تناولتها الدراسة الحالية، (تنمية الذكاء الوجداني للتخفيف من العصابية) وهذا ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة العربية والأجنبية التي تمت مراجعتها.

مناقشة وتحليل النتائج:

1-الفرضية الأولى: لا توجد فروق دالة إحصائيا في الذكاء الوجداني بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج المقترح.

للتحقق من صحة هذه الفرضية، قام الباحث بتطبيق مقياس الذكاء الوجداني على المجموعتين التجريبية والضابطة بعد تعرض المجموعة التجريبية لفعاليات البرنامج التدريبي ثم قام الباحث باستخدام اختبار "مان-وتنى" لحساب دلالة الفروق بين متوسطات رتب درجات أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي على مقياس الذكاء الوجداني، ويبين الجدول رقم (01) نتائج هذا الإجراء.

جدول رقم (01) يبين نتائج اختبار "مان-وتني" لدلالة الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس الذكاء الوجداني

البعـــــد	المجموعة التجريبية (ن=20)			المجموعة الضابطة (ن=20)			قيمة U	مستوى الدلالة
	المتوسط	مجموع الرتب	متوسط الرتب	المتوسط	مجموع الرتب	متوسط الرتب		
البعد1: الوعي بالذات	33,40	610,00	30,50	22,25	210,00	10,50	00	0.001
البعد2: إدارة الانفعالات	23,30	599,50	29,98	16,40	220,50	11,03	10.50	0.001
البعد3: الدافعية للإنجاز	25,78	607,00	30,35	17,95	213,00	10,65	3.00	0.001
البعد4: التعاطف	24,20	567,50	28,38	17,90	252,50	12,63	42.00	0.001
البعد5: التواصل الاجتماعي	22,75	610,00	30,50	14,90	210,00	10,50	00	0.001
الدرجة الكلية	129,63	610,00	30,50	88,65	210,00	10,50	00	0.001

يتضح من الجدول رقم (01) وجود فروق بين متوسط الرتب لدرجات المجموعة التجريبية والضابطة في القياس البعدي على الأبعاد الأساسية والدرجة الكلية لمقياس الذكاء الوجداني وهذه الفروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.001 ، وبالتالي نرفض الفرض الصفري، ونقبل الفرض البديل.

-مناقشة الفرضية الأولى:

يتضح من خلال العرض السابق لنتائج الفرض الأول للدراسة حدوث تحسن ملحوظ في مستوي الذكاء الوجداني بأبعاده المختلفة لدى أفراد المجموعة التجريبية بعد التعرض للبرنامج التدريبي المقترح ذلك مقارنة بأفراد المجموعة الضابطة التي لم تتعرض لفعاليات البرنامج.

حيث يعزو الباحث هذا التحسن في مستوى الذكاء الوجداني وأبعاده الفرعية إلى الفنيات والأنشطة المختلفة المستخدمة في البرنامج المقترح، كفنية النمذجة ولعب الدور، والحوار والمناقشة والواجبات المنزلية لما لهذه الفنيات من أثر في تنمية الوعي بالذات وإدارة الانفعالات والتحكم فيها، وتساهم في التفكير الإيجابي مما يزيد في دافعية الفرد للإنجاز واكتساب مهارة التعاطف والتواصل بشكل فعال مع الآخرين. فقد احتوى البرنامج على مجموعة من القصص الواقعية لعظماء استطاعوا أن يتحدوا الصعوبات والعراقيل التي واجهتم في طريق النجاح مثل "هيلين كيلر" التي تغلبت على الإعاقة البصرية والسمعية، واستطاعات أن تتعلم مجموعة من اللغات وتتحصل على 03 شهادات دكتوراه، وكنموذج آخر "أديسون" الذي صمم أن يخترع المصباح الكهربائي رغم المحاولات العديدة كلها باءت بالفشل وفي الأخير استطاع أن يحقق نجاحا مبهرا، فمثل هذه القصص وغيرها من الفنيات تزيد من الطالب مقبل على شهادة البكالوريا الإصرار والعزيمة والثقة بالنفس والتفاؤل مما يزيد في دافعيته للإنجاز لتحقيق أهدافه المستقبلية وعلى رأسها نجاحه في شهادة البكالوريا.

وأوضح (Randal. Brawn, 2003) أنه يمكن تنمية مهارات الذكاء الشخصي كأحد مكونات الذكاء الوجداني عن طريق النشاط القصصي، واستخدام فنية النمذجة ولعب الدور والواجبات المنزلية.

كما بينت دراسة (Jean Anne Craig, 2006) أنه يمكن من خلال النمذجة تنمية الذكاء الشخصي عن طريقة قراءة خبرات الآخرين والتعلم منهم والتعرف على الطرق التي استطاعوا من خلالها أن يتغلبوا على الصعوبات التي واجهتهم ثم تطبيق هذه الدروس على حياة الأفراد العملية.

أما بالنسبة لتنمية مهارات الذكاء الاجتماعي الذي هو أحد مكونات الذكاء الوجداني فقد بينت دراسة (Finely, 2002) أنه يمكن تنمية مهارات الذكاء الاجتماعي من خلال مشاركة الطلاب في الأنشطة ومساعدة الآخرين والإهتمام بهم والعمل الجماعي التعاوني، مثل التعاون في عمل مجلة جماعية، وطريقة المناقشة الجماعية.

وأكد (Loris, Schereier, 2002) أنه يمكن تنمية التفهم من خلال تنمية مهارة الاستماع الجيد للآخرين ومهارة الحوار والمناقشة.

و تتفق هذه النتائج مع نتائج الدراسات السابقة في نفس المجال كدراسة (2000 , كيرتيس Curtis)، ودراسة (فاطمة بركات، 2010)، ودراسة (محمود الخولي، 2010)، ودراسة (سامية خليل، 2010)، ودراسة (صفية مبارك، 2011)، حيث أكدت نتائج هذه الدراسات حدوث تحسن في مستوى الذكاء الوجداني لدى أفراد المجموعة التجريبية مقارنة بأفراد المجموعة الضابطة.

3-الفرضية الثانية: لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى العصابية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج المقترح .

للتحقق من صحة هذه الفرضية، قام الباحث بتطبيق مقياس العصابية لآيزنك على المجموعتين التجريبية والضابطة بعد تعرض المجموعة التجريبية للبرنامج التدريبي ثم قام الباحث باستخدام اختبار "مان - وتنى "لحساب دلالة الفروق بين متوسطات رتب درجات أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي على مقياس العصابية، ويبين الجدول رقم (02) نتائج هذا الإجراء.

جدول رقم (02) يوضح نتائج اختبار "مان-وتني" لدلالة الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس العصابية

البعـد	المجموعة التجريبية (ن=20)			المجموعة الضابطة (ن=20)			قيمة U	مستوى الدلالة
	المتوسط	مجموع الرتب	متوسط الرتب	المتوسط	مجموع الرتب	متوسط الرتب		
الدرجة الكلية	9.90	210,00	10,50	18.70	30,00	570,00	00	0.001

يتضح من الجدول رقم (02) وجود فروق بين متوسط الرتب لدرجات المجموعة التجريبية والضابطة في القياس البعدي على الدرجة الكلية لمقياس العصابية وهذه الفروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.001 ، حيث نشاهد في الجدول رقم (02) ما يلي:

- الدرجة الكلية لمقياس العصابية لدى المجموعة التجريبية 9.90 ولدى المجموعة الضابطة 18.70 وبالتالي توجد فروق عند مستوى دلالة 0.01 لهذا المقياس لصالح المجموعة الضابطة.

وبالتالي نرفض الفرض الصفري القائل بعدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى العصابية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج المقترح، ونقبل الفرض البديل.

-مناقشة الفرضية الثانية:

يتضح من خلال العرض السابق لنتائج الفرض الثاني للدراسة حدوث انخفاض واضح في مستوى درجات العصابية لدى أفراد المجموعة التجريبية بعد التعرض للبرنامج التدريبي المقترح ذلك مقارنة بأفراد المجموعة الضابطة التي لم تتعرض للبرنامج.

وتؤكد هذه النتائج إجمالا أن البرنامج التدريبي أسهم في خفض مستوى العصابية لدى أفراد المجموعة التجريبية المقبلين على شهادة البكالوريا، حيث بلغ مستوى العصابية لديهم قبل تنفيذ البرنامج (14.00)، بينما انخفض إلى (9.90) بعد تنفيذ البرنامج المقترح، كما أن التدريب على مهارات الذكاء الوجداني وخاصة أبعاد الوعي بالذات وإدارة الانفعالات والتعاطف والتواصل مع الآخرين ساهمت في زيادة الطالب لوعيه بذاته ولمشاعره السلبية والإيجابية والقدرة على إدارتها والتحكم فيها، كما أن التفاعل الذي حدث بين أفراد المجموعة التجريبية والانسجام والمشاركة الوجدانية بينهم والتعبير عن مشاعرهم وتفريغها بكل حرية أدى إلى اكتساب مهارة التعاطف والتفاهم والقدرة على التواصل مع الآخرين مكنتهم من تخفيض مستوى العصابية لديهم .

كما ساهمت الفنيات المستخدمة في البرنامج التدريبي المطبق عليهم وخاصة المحاضرة والمناقشة ولعب الدور، والنمذجة إلى تبصير الطلبة بمصادر الإحباطات وأسبابها وأثرها عليهم نفسيا وصحيا، كما ساهمت أيضا الواجبات المنزلية التي كلف بها الطلبة من طرف الباحث، وهو ما ساهم بدرجة كبيرة في زيادة وعي الطلبة بمشاكلهم وبضرورة البحث عن وسيلة للتغلب عليها مما ساعدهم كثيرا في تبصيرهم بكيفية مواجهة تلك الضغوط، والانفعالات السلبية.

كما أن المرحلة العمرية لطلبة البكالوريا هي مرحلة حساسة، فهؤلاء الطلبة في مرحلة المراهقة التي تحدث فيها تغييرات فزيولوجية سريعة مما تؤثر على حياتهم من الناحية الجسمية والنفسية والانفعالية والدراسية، كما أن معاناة الآباء والأمهات مع أبنائهم المراهقين وأيضا بعض الصراعات داخل الثانوية بين بعض الأساتذة وبعض الطلبة ناتج عن عدم معرفتهم وإلمامهم بصفات وخصائص تلك المرحلة، والتغييرات التي تطرأ ، وكثير من الآباء يعامل أبناءه في تلك المرحلة على أنهم ما زالوا أطفالا لابد أن يستجيبوا له في أوامره و نواهيه، ونسي هذا الأب التغيرات الكبيرة التي طرأت على ابنه ودخوله في مرحلة أخرى، وهنا تنشأ المشكلة بين الوالدين وأبنائهم المراهقين. وتزداد صعوبة كلما ازداد ضغط الوالدين تجاه أبنائهم؛ فيحدث العناد والتمرد وينتج عنه مشكلات كثيرة.

إضافة إلى كل هذا خشية الطالب المقبل على شهادة بكالوريا الرسوب في الإمتحان والخوف من الفشل مما يحرمه الإنتقال إلى الجامعة التي يرى فيها حلمه في تحقيق طموحاته وآماله، فهنا تزداد معاناته النفسية الإجماعية، مما يزيد من ضغوطاته وقلقه وارتفاع مستوى العصابية عنده، فهو محتاج في هذه الفترة وفي هذه المرحلة من يمد له يد العون من مساندة نفسية واجتماعية لزيادة الثقة في نفسه، وزرع روح الأمل والتفاؤل حتى يستطيع التغلب على هذه الصعوبات والعوائق واجتياز هذه المرحلة بأقل التكاليف.

وبناء على ذلك يمكن أن نرجع التحسن الذي طرأ على أفراد المجموعة التجريبية إلى فاعليات البرنامج التدريبي، حيث ساعدهم على تنمية الإمكانات الكامنة لديهم ومكنهم من التعرف على نواحي القوة والضعف لديهم، وبالتالي تقوية النواحي الضعيفة ومساعدتهم على تحقيق أهدافهم والإستفادة من إمكانياتهم وقدراتهم التي لم يدركوها من قبل.

بينما نجد أفراد المجموعة الضابطة الذين لم يتعرضوا للبرنامج التدريبي قياس درجتهم في مستوى العصابية بلغ (14.00) في القياس القبلي بينما في القياس البعدي (18.70)، وهي زيادة ملحوظة تعكس مدى توتر وقلق هذه الفئة، وخاصة مع اقتراب اجتياز شهادة البكالوريا مما يزيد في حجم الضغوط النفسية والأسرية عليهم، إضافة إلى خصائص المرحلة العمرية التي يمرون بها وهي مرحلة المراهقة وما تصاحبها من انفعالات وتوترات، مما يلفت عناية المربين والمختصين للاهتمام بهذه الفئة وتقديم يد العون لهم.

ولم يعثر الباحث على دراسة تتطابق مع هذه الفرضية تتعلق ببناء برنامج يعتمد على مهارات الذكاء الوجداني لخفض مستوى العصابية لدى الطلبة.

3- الفرضية الثالثة: لا توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على أبعاد مقياس الذكاء الوجداني.

تنص الفرضية الثالثة على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط رتب المجموعة التجريبية في القياسين البعدي و التتبعى على مقياس الذكاء الوجداني.

وللتحقق من صحة هذه الفرضية، قام الباحث بتطبيق مقياس الذكاء الوجداني على المجموعة التجريبية بعد تعرضها للبرنامج التدريبي ثم قام الباحث بإعادة تطبيق الاختبار بعد فترة زمنية مقدارها (60) يوما من انتهاء البرنامج، وباستخدام اختبار"ويلكوكسن" للأزواج المتماثلة المرتبة ذات الإشارة، تم حساب دلالة الفروق بين

متوسطات رتب درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسات البعدية المتكررة على مقياس الذكاء الوجداني، ويبين الجدول رقم (03) نتائج هذا الإجراء.

جدول رقم (03) يبين نتائج اختبار" ويلكوكسن" لدلالة الفروق بين القياسين البعدي والتتبعى للمجموعة التجريبيةعلى مقياس الذكاء الوجداني ن= 20

البعد	اتجاه الرتب	العدد	المتوسط الحسابي		مجموع الرتب	متوسط الرتب	قيمة Z	الدلالة
			البعدي	التتبعي				
الوعي بالذات	-	04	33.40	33.29	5.00	2.50	-1.000	غير دال
	+	16			5.00	2.50		
إدراة الانفعالات	-	01	23.30	23.32	1.00	1.00	-1.000	غير دال
	+	19			00	00		
الدافعية	-	3	25.78	25.61	6.00	2.00	-1.732	غير دال
	+	17			00	00		
التعاطف	-	1	24.20	24.17	1.00	1.00	-1.000	غير دال
	+	19			00	00		
التواصل الاجتماعي	-	2	22.95	22.64	1.50	1.50	-1.001	غير دال
	+	18			1.50	1.50		
الدرجة الكلية	-	03	129.63	129.03	6.00	2.00	-1.732	غير دال
	+	17			00	00		

يتضح من الجدول رقم (03) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي الرتب لدرجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية لمقياس الذكاء الوجداني، حيث أن قيمة (Z) النسبة الحرجة لا تتجاوز القيمة الحدية المطلوبة للدلالة الإحصائية، وهذا يشير إلى استمرار تأثير البرنامج التدريبي المقترح في سلوك أفراد المجموعة التجريبية.

من خلال النتائج السابقة نقبل الفرضية الصفرية القائلة بعدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على أبعاد مقياس الذكاء الوجداني .

-مناقشة الفرضية الثالثة:

يتضح من خلال العرض السابق للفرضية السابعة للدراسة استمرار التأثير الإيجابي للبرنامج لدى أفراد المجموعة التجريبية بعد مرور ثمانية أسابيع من الانتهاء من البرنامج، حيث استمر تأثيره في سلوك أفراد المجموعة التجريبية وشمل مواقف حياتهم المختلفة. وبالتالي تحقق الفرض الصفري بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي في درجات الذكاء الوجداني وأبعاده الخمسة.

وتتفق هذه النتائج مع نتائج الدراسات السابقة في نفس المجال كدراسة (Curtis كيرتيس ، 2000) ودراسة (فاطمة بركات، 2010)، ودراسة (سامية خليل، 2010)، ودراسة (محمود الخولي، 2010)، ودراسة (صفية مبارك، 2011)، الذين توصلوا إلى فاعلية استخدام البرامج التدريبية في تنمية الذكاء الوجداني واستمرار أثره.

ويفسر نتائج الدراسة الحالية في ضوء تعدد الفنيات والأنشطة كالقصة، ولعب الدور، والنمذجة، والمناقشات، والواجبات المنزلية، وكما لاحظه الباحث من التفاعل الإيجابي لدى أفراد المجموعة التجريبية في هذه الحصص التدريبية وحرصهم على الحضور والمشاركة في هذه الأنشطة، وأيضا من عدم رغبتهم في انتهاء الوقت المخصص لكل حصة والمقدر بـ 45 دقيقة.

وأيضا ما لمسه الباحث من التفاعل الإيجابي بينه وبين أفراد المجموعة التجريبية من تفاهم وانسجام، وهذا ما حرص عليه الباحث في الحصص الأولى من تنفيذ البرنامج من بناء جسور الثقة بينه وبين الطلبة وفتح المجال أمامهم لتفريغ انفعالاتهم والتعبير عنها بكل حرية، وإخراجهم من الروتين المدرسي مع ما يصاحبه من ضغوط دراسية.

وقد أكد جولمان أن برامج تنمية المهارات الوجدانية والاجتماعية تؤدي إلى أفضل النتائج عندما تمتد لفترة طويلة، ويقوم بها مدربون ومعلمون على درجة عالية من الخبرة والمهارة، وقبل ذلك لديهم صحة وجدانية جيدة، كما أنه يرى ضرورة تقديم هذه البرامج كجزء من المقرر الدراسي والحياة المدرسية على أن تشمل الآباء والمعلمين وكل من يقوم بالريادة في المجتمع.

4-الفرضية الرابعة: لا توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على مقياس العصابية .

جدول رقم (04) يبين نتائج اختبار" ويلكوكسن" لدلالة الفروق بين القياسين البعدي والتتبعى للمجموعة التجريبية على مقياس العصابية (ن = 20)

البعد	اتجاه الرتب	العدد	المتوسط الحسابي		مجموع الرتب	متوسط الرتب	قيمة Z	الدلالة
			البعدي	التتبعي				
العصابية	-	01	09.90	09.95	08.50	08.50	-3.662	غير دال
	+	19			162.50	09.56		

يتضح من الجدول رقم (04) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي الرتب لدرجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على الدرجة الكلية لمقياس العصابية، حيث أن قيمة (Z) النسبة الحرجة لا تتجاوز القيمة الحدية المطلوبة للدلالة الإحصائية.

حيث نشاهد في الجدول رقم (04) ما يلي:

الدرجة الكلية لمقياس العصابية لدى المجموعة التجريبية في القياس البعدي 09.90 وفي القياس التتبعي نجد 09.95 وبالتالي لا توجد فروق بين القياسين.

وبالتالي فإن الفرضية الصفرية قد تحققت بعدم وجود فروق بين درجات مقياس العصابية وأبعاده الفرعية في القياسين البعدي والتتبعي لدى أفراد المجموعة التجريبية.

-مناقشة الفرضية الرابعة:

يتضح من مقارنة الدرجات في الجدول رقم (04) أن مستوى العصابية في القياس التتبعي ارتفع إلى (09.95) بينما كان في القياس البعدي (9.90)، والفرق بين الدرجات في القياسين كان طفيفا، حيث أنه لم توجد أية فروق ترتقي لمستوى الدلالة بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي بعد مرور شهرين من أداء البرنامج.

ويمكن تفسير هذا الارتفاع الطفيف في مستوى العصابية إلى الفترة التي أجري فيها هذا القياس وهو شهر مارس وهي فترة امتحانات الفصل الثاني، وما يصاحب ذلك من توتر وقلق لدى الطلبة، كما شهدت هذه الفترة إضراب لبعض أستاذة التعليم الثانوي وهو ما يؤثر سلبا على نفسية ومعنويات الطلبة وهم بأمس الحاجة إلى فهم الدروس واستيعابها استعدادا لاجتياز شهادة البكالوريا التي لا يفصلنا عنها في هذه المدة إلا شهرين.

إضافة إلى ذلك فإن المرحلة العمرية التي يمر أفراد المجموعة التجريبية هي مرحلة حساسة، فهم في مرحلة المراهقة وتتسم هذه المرحلة بسرعة التقلبات المزاجية والنفسية والانفعالية، وعدم الثبات الانفعالي أو ما يسمى العصابية، نتيجة للتغيرات الفزيولوجية والجسمية السريعة، كما أن هذه الفئة في مرحلة البحث عن الذات مما يجعل سلوكات بعض الأفراد وتصرفاتهم تتسم بنوع من العنف والصدام والصراع مع الآخرين، لذا كان لزاما على أولياء الأمور والأساتذة والمربين الوعي بطبيعة هذه المرحلة وإدراكها إدراكا جيدا يسمح لهم بالتواصل الفعال والحوار البناء مع المراهقين حتى يستطيعوا التكيف مع هذه المرحلة تكفيا صحيحا يشعرهم بالأمان والتوافق النفسي والاتزان الانفعالي.

ورغم هذا الارتفاع الطفيف لمستوى العصابية لدى أفراد المجموعة التجريبية، فإن التأثير الإيجابي للبرنامج التدريبي الذي يعتمد على مهارات الذكاء الوجداني ما زال مستمرا بعد مرور شهرين من انتهاء البرنامج، فحينما نقارن بين درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسات الثلاث (القبلي، البعدي، التتبعي) في مستوى العصابية ندرك هذا التحسن الكبير لديهم، فقبل التنفيذ البرنامج كانت درجات أفراد المجموعة التجريبية (15.00)، وفي القياس البعدي بلغت (9.90)، أما في القياس التتبعي (09.95)، فهناك انخفاض ملحوظ وتحسن كبير لدى أفراد العينة الذين استفادوا من فعاليات هذا البرنامج، والفنيات والتقنيات المستعملة فيه، وسرعة تأقلم المجموعة التجريبية معه والتجاوب الكبير الذي لاحظه الباحث أثناء تطبيق هذا البرنامج.

وهذا ما أكدته دراسات عديدة كشفت العلاقة بين الذكاء الوجداني وسمة العصابية منها دراسة (زيدان والإمام، 2003) وأظهرت وجود علاقة سلبية بين الذكاء الوجداني وسمة العصابية، أي كلما ارتفعت درجات الذكاء الوجداني انخفض مستوى العصابية، ومنها (دراسة "روبرتس وآخرون "2002) التي طبقت على عينة بلغت (704) من الرجال والنساء، وأكدت الدراسة على وجود علاقة سالبة دالة بين الذكاء الوجداني مع سمة العصابية.

ونفس النتيجة أكدتها دراسة (ليندلي Lindley ، 2001) التي أظهرت وجود موجبة دالة بين الذكاء الوجداني وسمة الإنبساطية، ووجود علاقة سالبة دالة بين الذكاء الوجداني مع سمة العصابية.

05-الفرضية العاشرة: لا يتميز البرنامج التدريبي المقترح في هذه الدراسة بقدر كاف من الفعالية.

لاختبار صحة الفرض العاشر تم إجراء ما يلي:

-حساب متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية على مقياس الذكاء الوجداني المستخدم في الدراسة قبل و بعد تطبيق البرنامج التدريبي المقترح.

-تم حساب نسبة الكسب المعدل لبلاك(Black) وفقا للمعادلة التالية:

$$\text{نسبة الكسب المعدل لبلاك} = \frac{\text{ص} - \text{س}}{\text{د} - \text{س}} + \frac{\text{ص} - \text{س}}{\text{د}}$$

حيث:

ص : متوسط درجات الاختبار البعدي.

س : متوسط درجات الاختبار القبلي.

د : النهاية العظمى للاختبار.

ويوضح جدول رقم (05) فعالية البرنامج التدريبي المقترح من خلال استخراج نسبة الكسب المعدل لبلاك لكل من مقياس الذكاء الوجداني وأبعاده الخمسة المستخدم في الدراسة:

جدول رقم (05) فعالية البرنامج التدريبي المقترح من خلال استخراج نسبة الكسب المعدل لبلاك لكل من مقياس الذكاء الوجداني وأبعاده الخمسة المستخدم في الدراسة

الاختبار	التطبيق	المتوسط	النهاية العظمى	نسبة الكسب المعدل لبلاك	الدلالة
الوعي بالذات	قبلي	19.52	36	1.22	دالة
	بعدي	33.40			
إدارة الانفعالات	قبلي	15.20	24	1.25	دالة
	بعدي	23.30			
الدافعية للإنجاز	قبلي	15.11	27	1.28	دالة
	بعدي	25.78			
التعاطف	قبلي	17.90	24	1.29	دالة
	بعدي	24.20			
التواصل الاجتماعي	قبلي	14.90	24	1.21	دالة
	بعدي	22.95			
الدرجة الكلية	قبلي	82.63	135	1.23	دالة
	بعدي	129.63			

يتضح من الجدول السابق أن جميع نسب الكسب المعدل لبلاك في مقياس الذكاء الوجداني وأبعاده الفرعية (الوعي بالذات- إدارة الانفعالات- الدافعية للإنجاز – التعاطف – التواصل الاجتماعي) أكبر من 1,2) (وهو المدى الذى حدده بلاك للحكم بفعالية البرنامج.

وهذه النتيجة تدل على فعالية البرنامج التدريبي المقترح في تنمية مهارات الذكاء الوجداني لدى أفراد المجموعة التجريبية.

وهذا ما أكدته نتائج المقياس التتبعي على أفراد المجموعة التجريبية بعد مرور ثمانية أسابيع (شهرين) من انتهاء البرنامج، فقد استمر التأثير الإيجابي للبرنامج التدريبي في تنمية مهارات الذكاء الوجداني وخفض مستوى العصابية لدى هذه العينة.

-مقترحات الدراسة: في ضوء نجاح تطبيق البرنامج التدريبي الحالي وإثبات فاعليته في خفض مستوى العصابية لدى عينة من طلبة شهادة البكالوريا يقترح الباحث ما يلي:

- الاستفادة بأدوات البحث الحالي سواء ما تعلق منها بمقياس الذكاء الوجداني أو بالبرنامج المقترح وتطبيقه مع مجموعات أخرى من تلاميذ المرحلة الابتدائية ومرحلة المتوسط، مما يقدم دعما للنتائج التي تم التوصل إليها.وتعميم الفائدة منه.

- ضرورة توجيه برامج الذكاء الوجداني لدى الأخصائي النفسي بالمدارس، لأنه عنصر أساسي من خلاله تتم تنمية مهارات الطلاب الوجدانية والاجتماعية والتي لها دور هام في علاج بعض الاضطرابات السلوكية لدي الطلاب.

- ضرورة العمل على تصميم برنامج التدريبي يعتمد على مهارات الذكاء الوجداني لفئة المعلمين والأساتذة لخفض الضغوط النفسية والضغوط المهنية تسمح لهم من أداء وظيفتهم في ظروف حسنة تنعكس بالإيجاب على طلبتهم ومحيطهم الأسري والاجتماعي.

- ضرورة توعية الآباء بأهمية الذكاء الوجداني في تنمية الثقة بالنفس والحد من مستوى الضغط النفسي والعصابية ومن السلوكيات العنيفة والعدوانية الموجه للآخرين من الأبناء، والذي يتطلب توفير مناخ مناسب لنمو هذا الجانب من خلال تقديم نموذج وجداني جيد، وتقديم النصائح في جو من الود والحب.

- العمل على تثقيف العناصر العاملة في القطاع التربوي بأهمية الذكاء الوجداني من خلال تضمين مناهج الإعداد التربوي ودورات تدريب المعلمين أثناء الخدمة على برنامج الذكاء الوجداني المتضمن بالدراسة الحالية أو برامج مشابهة كي يتمكنوا من تنمية الذكاء الوجداني لدى الطلبة في كافة المناهج الدراسية.

- ضرورة التحسيس بأهمية تنمية مهارات الذكاء الوجداني في حياة الفرد والمجتمعات من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

مراجع الدراسة:

-الدردير، عبد المنعم أحمد.(2004). **دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي**. القاهرة: عالم الكتب.

-المصدر، عبد العظيم.(2008).**"الذكاء الوجداني وعلاقته ببعض المتغيرات الانفعالية"**. **مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)**. المجلد السادس عشر. العدد الأول. يناير. ص-ص 587-632.

-بدوي، أحمد زكي. (1980). **معجم مصطلحات التربية والتعليم**. القاهرة: دار الفكر العربي.

-حسين ، محمود.(2000). **الضغوط النفسية وآثارها الفسيولوجية والنفسية والعقلية والسلوكية**. ورقة عمل. جامعة البتراء. الاردن.

-زيدان عصام محمد و الإمام كمال أحمد. **"الذكاء الانفعالي وعلاقته ببعض أساليب التعلم وأبعاد الشخصية". دراسات عربية في علم النفس.** دار غريب للطباعة والنشر. المجلد 2، العدد1، يناير، القاهرة، 2003، ص ص 11-62 .

-عبد الخالق ، أحمد (1990). **الأبعاد الأساسية للشخصية**: دار المعرفة الجامعية.

-عبد الخالق. أحمد.(1996). **قياس الشخصية**. الكويت: جامعة الكويت.

-فراج. محمد أنور.(2005). **"الذكاء الوجداني وعلاقته بمشاعر الغضب والعدوان لدى طلاب الجامعة"**. دار غريب للطباعة والنشر. دراسات عربية في علم النفس. المجلد4، العدد1. يناير. القاهرة. ص ص 93-101 .

-نبيل. سفيان.(2004). المختصر **في الشخصية والإرشاد النفسي**. ط1. القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع.

Hill,Kwigfield**.**(1984).Test **Anxiety:Amajor educational problem** .Elementary school Journal 85,105-126.

مقياس الذكاء الوجداني الخاص بطلبة البكالوريا

الرقم	البنـد	تنطبق دائما	تنطبق أحيانا	لا تنطبق
01	أشعر بالثقة في نفسي			
02	أستطيع التحول من مشاعري السلبية إلى الإيجابية بسهولة			
03	أستطيع التحكم في رغباتي النفسية			
04	لديّ القدرة على اكتشاف مشاعر أصدقائي			
05	أستطيع أن أقيم علاقات ممتازة مع الآخرين			
06	أستطيع أن أتحدث بسهولة عن مشاعري			
07	أتجاهل ما مر بي في الماضي من إخفاقات في الدراسة وأستطيع أن أتجاوزها			
08	أسعى دائما لأن أكون من المتفوقين			
09	أتعاطف مع معاناة الآخرين وأحزانهم بشكل فعّال			
10	لا أجد صعوبة في التحدث مع الغرباء			
11	لديّ القدرة على معرفة صفاتي الايجابية			
12	أسيطر على نفسي عندما أواجه أمرا مزعجا			
13	أستطيع تحقيق النجاح رغم الضغوط			
14	أستمع باهتمام لمشاكل زملائي في الدراسة			
15	عندي قدرة على التأثير في الآخربن			
16	لدي القدرة على تحديد جوانب القوة والضعف في نفسي			
17	أكون هادئا عند تعرضي لأي ضغوط			
18	أستطيع إنجاز أعمالي بنشاط وتركيز عاليين			
19	أشارك الآخرين أفراحهم وأحزانهم			
20	أتبادل مع زملائي الأفكار والمهارات والخبرا ت			
21	لدي الوعي بما أقوم به من أعمال			
22	يبقى لدي الأمل والتفاؤل حينما لا أتحصل على نقاط جيدة			
23	أسعى باستمرار إلى تنمية إمكاناتي وقدراتي			
24	أقوم بتشجيع زميلي عند شعوره بالإحباط			
25	أستطيع أن أكوَن الصداقات بسهولة			
26	عند الفشل في أي عمل من الأعمال فإنني ألق اللوم على نفسي			
27	لدي القدرة على التحكم في انفعالاتي تجاه أي موقف			
28	أبذل أقصى جهدي لإنجاز المهام التي أكلف بها			
29	أظهر احترامي وتقديري لأساتذتي			
30	أسعى لحل مشاكل زملائي في الدراسة			
31	عندما أشعر بالضيق فإنني أعرف سببه			
32	أبحث عن حلول للمشكلات التي تواجهني بدلا من لوم الآخرين			
33	أثق في نجاحي عند القيام بأي مهمة			

			أبادر بتقديم المساعدة لأي شخص يتعرض للأذى أو الضرر	34
			أشعر بأنني كفء في إدارة المناقشات الاجتماعية .	35
			أعرف قدراتي وأوجهها لتحقيق أهدافي	36
			أعترف بأخطائي وأسعى لمعالجتها	37
			لدي طموح كبير في إكمال مشواري الدراسي في الجامعة	38
			أبتسم عند مقابلة الآخرين	39
			أستطيع أن أنسجم بسهولة وبسرعة مع أي موقف اجتماعي.	40
			أنا واضح في أهدافي ومبادئي	41
			أستطيع أداء أي عمل لفترة طويلة دون شعور بالملل أو الإجهاد	42
			أقدر أسوء العقبات الممكنة قبل الشروع في أي عمل	43
			أتقبل النقد البنّاء	44
			أتعلم من خبرات الماضي	45

أبعاد مقياس الذكاء الوجداني

45-44-43-41-36-31-26-21-16-11-06-1	الوعي بالذات
37-32-27-22-17-12-07-02	إدارة الانفعالات
42-38-33-28-23-18-13-08-03	الدافعية للإنجاز
39-34-29-24-19-14-09-04	التعاطف
40-35-30-25-20-15-10-05	التواصل الاجتماعي



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N°35

JUIN 2015

ISSN 1112-4652